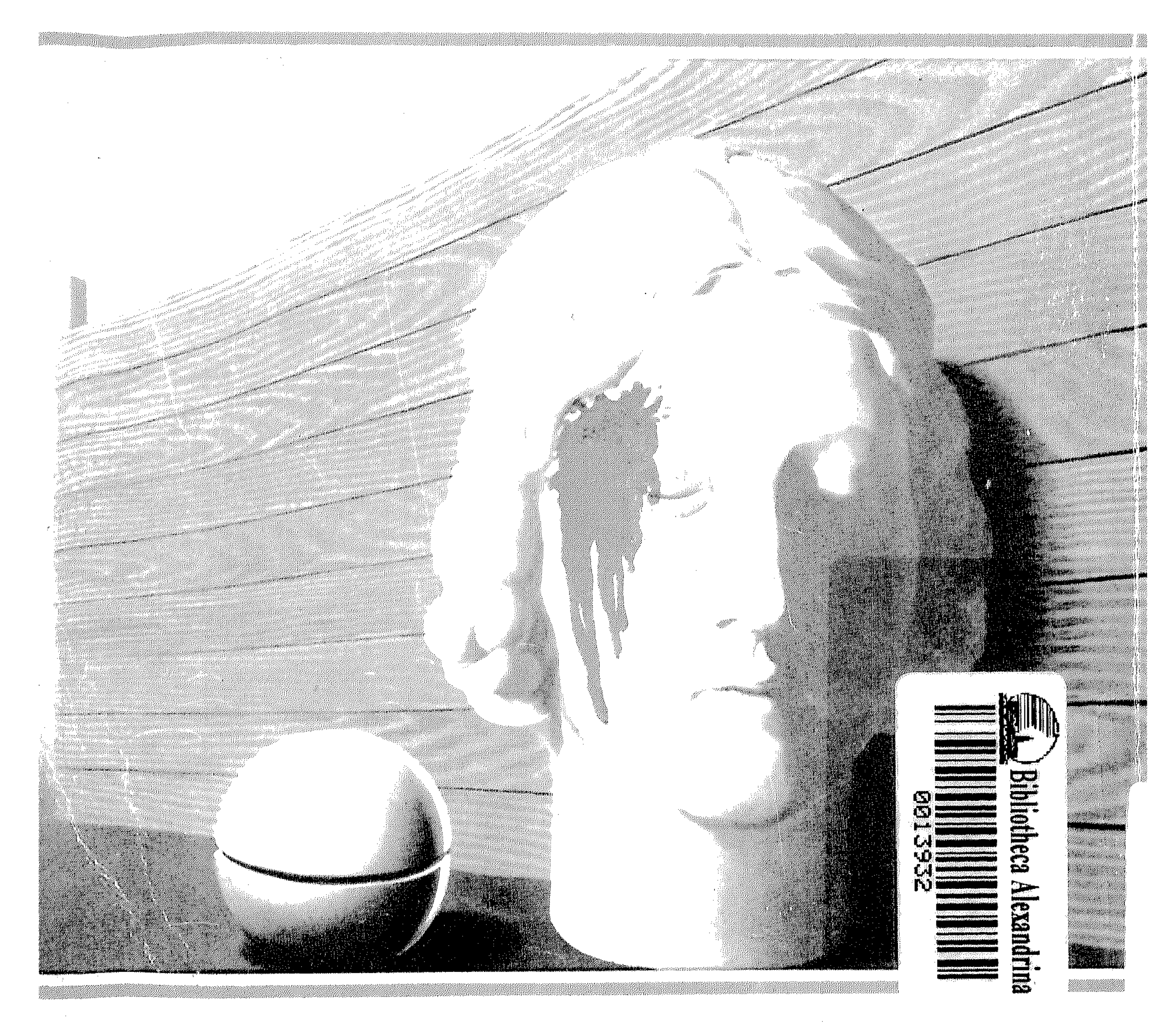
غادة السمّان

تسكّعُ داخلَ جرْحٍ



منشورات غادة السمان

الاعمال غير الكاملة ١٤

الأعمال غير الكاملة

١٤

تسكع داخل جرح

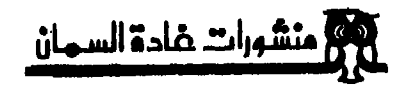
بيروت ـ لبنان
ص.ب : ١١١٨١٣
تلفون : ٣٠٩٤٧٠ ـ ٣١٤٦٥٩

الطبعة الأولى
ايلول (سبتمبر) ١٩٨٨ م

غادة السمّان

تسكّع داخل جرح

الأعمال غير الكاملة ١٤



لوحة الغلاف للفنان الكبير : رينيه ماجريت

الإهداء

الى الذين لامسوا جرحي بالمحبة ،
ورصدوه بالحنان ، ومدوا جسر الضوء اليه . .
الى كل من استجوبني في هذا الكتاب
وكل من كان يرغب في استجوابي ،
لو التقينا . . .

غادة

مصـارحـة

١ ـ مع كل كتاب أخطه ، أموت قليلاً .

وبين موت وآخر ، تأتي وجـوههم الأليفة . تـأتي أصواتهم لتستجـوب القتيلة . يعرفونها ، ولا يعرفونها ، تعرفهم ولا تعرفهم ، ولكنهـا واثقة من أمـرين : أنها تنتمي إليهم ، وأنها لم تعد موؤودة . صار لها صوتها واستعادت حنجرتها المسكـونة بعشـرات الإيقاعات بما في ذلك حقها في اتهام القبيلة بين موت وآخر من ميتاتها .

٢ ـ حصيلة ذلك التفاعل المحرض الخلاق والزخم الحي نجد بعضه في هذا الكتاب . وهو الجزء الرابع عشر في سلسلة « الأعمال غير الكاملة » .

٣ ـ يضم هذا الكتاب مختارات من الأحاديث الصحافية بـين رفاق القلم وبيني . وقـد صنفتها في خمسة أبواب وهي :

أ ـ أحاديث لم تحدث : الأحاديث الصحافية التي لم أدل بها ولم أكتبها ولم أكن على علم بمعظمها إلا مصادفة وبعد صدورها متحدثة باسمي ! وهي ليست كما يتوقع الانسان رديئة . بعضها متقن التزوير ويحمل الطابع الخاص لأسلوبي وتوقيع بعض وكالات الأنباء ، وبعضها تبنى اسلوب المراسلات الادبيـة الحميم وصاغ عـلى لسان قلمي رسائل لم اكتبها ولكن لو كتبت لجاءت مشابهة جداً .

وأنا لا أستطيع أن أنفي غضبي كلما فوجئت بها . ها أنـا ما أزال حيـة ، وها هم يقلدون صوتي ويخربون صدق الاستجواب . قد تكون الأجوبة التي يلـصقونها على حنجرتي أفضل من أجوبتي ، وقد تكون أسوأ ، لكنها تخلو من الصدق الذي يمنح الفن مذاقه وقيمته . ومن هنا لا أحبذها بوجه عام .

ولعل أجمل نموذج للأحاديث التي لم أكتبها هـو حواري مـع الأديب الكبير غسـان كنفاني وله حكاية مختلفة .

فقـد كان يـومئذ يـراسل احـدى المجلات المصـرية . والـذين عرفـوا الشهيد غسـان

كنفاني يذكرون موهبته الخارقة الممزوجة بروح النكتة العملية التي تروق لي . سألني حواراً صحافياً شفهياً فرفضت وأصريت على أن يكون الحوار مكتوباً، واستمهلته أسابيع لانشغالي يومئذ بروايتي «السقوط الى القمة » أشهر رواية عربية غير منشورة ! فماذا فعل غسان ؟ لقد ذهب وكتب الاسئلة ، وكتب الأجوبة وجاءني بالحوار قائلاً : إني أعرف أفكارك ؛ وأعرف أسلوبك ، وها هو حوارنا !! . . . وقرأت الحوار ، وفوجئت بأنه كتب الأجوبة عني . ووافقت على نشره . .
فقد كان منبثقاً من روح حواراتنا الشفهية ، وكان أفضل ما كتبت وما لم أكتب من أحاديث في نظري . والحوار منشور في« القبيلة تستجوب القتيلة» وهو الجزء الأول من الكتب التي تضم احاديثي الصحافية التي صدر جزؤها الثاني « البحر يحاكم سمكة » وهذا هو الجزء الثالث لها « تسكع داخل جرح » .

أما أجمل نموذج للرسائل التي لم اكتبها فهي بالتأكيد الرسالة المنشورة في هذا الكتاب تحت باب «احاديث لم تحدث» واعني بها رسالتي (غير المرسلة) الى الصحافي المصري الكبير وصديقي الحميم مفيد فوزي . فهو يكره كتابة الرسائل الى المدى الذي يجعله قلما يجيب على رسائلي الا هاتفياً ، وكثيرا ما جاءني صوته آخر الليل من اسبانيا او جنوب فرنسا ليقول لي ما كان يشتهي كتابته . ولكن كراهيته لكتابة الرسائل لم تمنعه من كتابة رسالة طويلة بالنيابة عني وجهها الى نفسه ثم اجاب عليها ونشرهما معاً بصورة حوار صحافي في مجلة صباح الخير المصرية . وكانتا رسالتين جميلتين بالرغم من كراهيته للمراسلات ، أو بسبب ذلك ، كأنه أقدم على (المراسلة) ليمنحني هدية خاصة جداً بالعناء والمشقة في حقل لا يمتعه عادة .

والرسالة التي تحمل توقيعي جميلة ، وهي مغزولة كاللؤلؤ حول رسالة من حبة رمل عادية بعثت بها اليه . فأعاد كتابتها بلغتي الخاصة واسلوبي الشخصي ولذا أتبنى كل ما فيها من افكار وبعضها أرفض البوح به بسبب كبريائي (كالمقطع الخاص بمعاناتي في الغربة) ولكنها بمجملها تعبر عني اصدق تعبير تماماً كحواري الذي لم يحدث مع الشهيد كنفاني، كأن الصداقة الحميمة حالة تقمص، ومفيد الصديق القديم صار يعرف (حالاتي) وما يمكن ان اكتبه اليه مطولاً . . . ويتقن لغتي النفسية والابجدية معاً ! وقد تقمص حنجرتي وارتدى هواجسي واحزاني فجاء صوته حاملاً همي ونبرتي الخاصة وطريقتي في البوح حين اعاد صياغة رسالتي اليه . وقد وجدت هذا الحوار بالمراسلة من أصدق ما كتبنا وفيه من الاضاءة الكشافة على عملنا

وحياتنا اكثر من اي حوار صحافي آخر غزلناه معاً .

ب ـ الفصل الثاني من الكتاب اسميته « سيرة ذاتية » وجمعت فيه الأحاديث التي تنصب مباشرة على حياتي الخاصة كإنسانة وعن علاقة ذلك بفني . هذا الفصل رتبته وفقاً للتسلسل الزمني ولكن بدءاً بالماضي وانتهاءً بالحاضر . . فقد أحسست وأنا أعيد قراءة أحاديثه انني أقرأ حياتي موجزة في سلسلة محاورات . . وان قراءتها بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر له مذاق من يقرأ قصة مواطنة طموح ، والناس تحب قراءة القصة ، وأنا أحب خلق المذاق القصصي في كل ما أكتبه أو حتى أرتبه وأبوبه .

جـ ـ هنالك صدفة بيولوجية ـ هي أنني ولدت أنثى ـ نجمت عنها اسئلة صحافية من نوع خاص تدور حول علاقة المرأة والرجل و« الثورة الجنسية » المعاصرة وتحرر المرأة . . لقد طرح عليَّ هذا النمط من الاسئلة أكثر مما طرح على أديب آخر ذكر . الفصل الثالث من الكتاب أسميته « **استجواب حول الجنس ـ المرأة ـ الرجل ـ التحرر** » وهو يضم مختارات من المحاورات التي تغطي رقعة من هذه الأفكار . وأنا أجد الحوار حول هذه الأمور مجدياً وراهناً وأتمنى على رفاق القلم طرح الاسئلة ذاتها على الأدباء (الذكور) أيضاً ليكون البحث شاملاً في مشاكل تخص مجتمعنا العربي ككل واحد . وقد رتبتها أيضاً بدءاً بالماضي وانتهاء بالحاضر لأن لها أيضاً مذاق القصة : قصة امرأة مع قمع معين .

د ـ الفصل الرابع من الكتاب اسميته « **استجواب حول قضايا ادبية** » وهو يضم مختارات من أحاديثي الصحافية التي تتعلق مباشرة بقضايا القصة والرواية خاصة والأدب بوجه عام . وقد رتبتها كبعض فصول الكتاب وفقاً للتسلسل الزمني بدءاً بالحاضر وانتهاء بالماضي . والقارىء الذي يرغب في إلقاء نظرة سريعة على موقفي الراهن من قضايا فكرية تشغله يستطيع ان يكتفي بمطالعة الصفحات الأولى من كل فصل . أما القارىء الأكثر فضولاً فيستطيع أن يقلب الصفحات ، ومع كل صفحة يخطو الى ماضيَّ الفكري ليرى تطور نمو الأشياء في وجداني ، وبأي اتجاه كان ذلك يتم .

هـ ـ الفصل الخامس من الكتاب أسميته « **من كل بحر موجة** » وهو يضم محاورات حول قضايا متفرقة تأخذ من كل فن وعلم بطرف ، أو كما يقول إخوان الصفا عن رسائلهم : فيها من كل فن بلا إشباع ولا كفاية . في هذا الفصل من الكتاب يتم استجوابي حول امور شتى : شيء من السيرة الذاتية وشيء عن قضية المرأة ،

وشيء عن الأدب والنقد ، وسواها من القضايا والطابع الغالب عليها هو الشمول ، وهكذا لم يكن من الممكن إدراجها تحت باب دون الآخر من الأبواب السابقة .

٤ ـ هذه الأبواب في تقسيم الكتاب ليست قوالب جامدة . بمعنى ان القارىء قد يجد في حوار بالفصل الثالث (الخاص بقضايا المرأة بوجه عام) سؤالاً يتعلق بأمر آخر ، وهذا طبيعي وبدهي . لقد تم تقسيم أبواب الكتاب وفقاً للطابع الغالب على الاسئلة بوجه عام .

٥ ـ قد يجد القارىء اكثر من حوار صحافي مع (مُستجوب) واحد . وهذا يحدث مع اصدقاء واكبوا بداياتي ولديهم الاطلاع الوافي على مسيرتي ، وبالتالي فان استجوابهم لي ينطلق من أرضية المعرفة الشاملة بإنتاجي ، ولذا وجدته خطأ شكلياً اعتباطياً أن أقوم باختيار حوار واحد لكل محاور . فالمهم في النهاية هو المضمون .

٦ ـ هنالك اسئلة تنبشنا من الداخل لأنها طرحت في اللحظة المناسبة ، فنتفجر كتابة . وهنالك أسئلة قد تكون اقدر منها على تفجيرنا ، لكنها قد تطرح علينا في لحظة نكون فيها مستغرقين بشيء آخر يشغلنا عن كل ما عداه . وهكذا فإن أفضل الأجوبة في هذا الكتاب ليست بالضرورة ملازمة لأفضل الاسئلة ، والأنغام التي تصدرها أعماقي إثر ضربة السؤال لا ترتبط بمهارة العازف فحسب ، بل بحالة آلة العزف ، وأوتارها المشدودة أو المسترخية في لحظة معينة .

للسبب ذاته قد نجد اسئلة متشابهة لكنني لم أجب عليها بدرجة واحدة من العمق فالكومبيوتر هو الوحيد الذي يقدم لك الاجابة نفسها على السؤال نفسه في كل لحظة . . اما النفس البشرية ، فلا .

٧ ـ هنالك احاديث تبقى كوثيقة ثقافية وكشاهد على الكاتب وعصره . وقد شهدنا مؤخراً وعي العرب باهمية الحوار الصحافي كوثيقة : جبران . الريحاني . . الى آخره .

٨ ـ لقد التزمت الدقة العلمية وضرورات البحث الاكاديمي ما وسعني إلى ذلك سبيل . وهكذا عدت الى النسخة المصورة الـ (فوتوكوبي) الأصلية للحوار ، وهو أمر يلجأ إليه الباحث عادة حينما يستخرج أعمال مؤلف ما ـ بعد موته ـ اذ يفتش عن النص الأصلي لدى أسرته بدلاً من النص كما نشر . فكل ما يدخل إلى (مطبخ الصحافة) قد يتعرض إلى حذف أو تعديل تتطلبه الضرورات الصحافية الآنية .

وقد اكتشفت ان معظم محاوراتي الصحافية تعرضت لذلك نظراً لضرورات الإخراج الفني (الميزامباج) أو لوجهة نظر المشرف على الصفحات الثقافية . واكتشفت

أن يد التعديل طالما امتدت الى الاسئلة ايضاً في عملية تشذيب هي في جوهرها قتل لحقيقة الحوار . فالاسئلة ثم الأجوبة تشكل في نظري وحدة عضوية لا تتجزأ ، وأي تبديل في صيغة السؤال وتفريغ له من نبرته الأصلية ونكهته ـ بعد أن اكون قد أجبت عليه ـ أو الجواب يشوه روح النص ، وهذا ينسحب على تبديل التتابع الأصلي للأسئلة . ولكنني للأسف لا أحتفظ بنسخ مصورة (فوتوكوبيز) عن أحاديثي كلها ، كما ان الذاكرة لم تسعفني إلا في مرات محدودة تذكرت فيها وجود تعديل رئيسي في الاسئلة ومناخها . وفي حال كهذه ، لجأت إلى استبعاد الحوار بأكمله (لأنني ببساطة كنت قد أجبت عن أسئلة أخرى !)

٩ ـ هذا العمل الأكاديمي كان محدود الأثر جداً لافتقاري الى نسخ مصورة (فوتوكوبيز) ما قبل عام ١٩٧٦ التي احترق معظمها في الحرب اللبنانية من جهة ، وسهوي عن استخراج صور (فوتوكوبيز) لبعض أحاديثي لضيق الوقت حينما يمر عملي بمراحل محمومة ومكثفة .

١٠ ـ الحوار الذي فاتتني فرصة الحصول عليه منشوراً ولم يزودني صاحبه به ، نشرته عن النسخة المصورة الأصلية (الفوتوكوبي) بدون مقدمة ـ ما دمت لم أحصل عليها ـ مع التاريخ التقريبي لكتابته بقدر ما أسعفتني الذاكرة .

١١ ـ كما أفردت فصلاً موجزاً لأحاديث لم تحدث ، كذلك كنت أطمح إلى أن أفرد فصلاً للاسئلة التي لم أجب عليها ، مع تحليل لجوهرها ومدلولها وبالتالي أسباب رفضي الإجابة عليها . لكن المجال لم يتسع لذلك حتى في هذا الجزء الثالث من محاوراتي وأطمح إلى تنفيذ ذلك في الجزء الرابع .

١٢ ـ لم أتمكن من استعادة أحاديثي في مرحلة الستينات إلا فيما ندر . وهكذا فالكتاب بمعظمه يغطي رقعة السبعينات والثمانينات . وانتهز هذه الفرصة لأوجه نداء إلى رفاق القلم لتزويدي بما قد يكون لديهم من محاورات في مرحلة الستينات التي بدأت الكتابة في أوائلها او بنسخ مصورة عنها إلى صندوق بريد ١١١٨١٣ بيروت . وبالرغم من افتقار الكتاب الى نماذج وافية من محاورات الستينات فانه قد يساهم في التأريخ لأسلوب الصحافة في طرح الاسئلة وتطوره خلال اكثر من عقدين من الزمن . إنه تأريخ لتطور الصحافة يعكس صورة لهذا التطور اكثر مما يعكس صورة لاختلاف النظرة اليَّ وتطورها .

١٣ ـ أحب ان أنوه بالمحاورات مع رفاق القلم باللغة الفرنسية ، مع كتّاب وكاتبات

مبدعين اذكر بعضهم (بالتسلسل الأبجدي) : ايرين موصللي ـ ايفلين مسعود ـ جميل جبر ـ كلير جبيلي ـ نهاد سلامة ـ كما أنوه بحواري مع المشرفة على الصفحات الثقافية في جريدة أيك والصادرة باللغة الأرمنية .

وقد تعذر نشر نماذج من محاوراتنا في هذا الجزء .

١٤ ـ لقد طرح عليَّ كل ما يمكن أن يخطر ببال الأطفال والفلاسفة من اسئلة . . .

أحدهم سألني «الى اين تذهب روحي بعد موتي ؟». وهو السؤال نفسه الذي طرحه الصحافي جراهام فيشر على الأديب البريطاني الكبير جويس كاري . . مع فارق بسيط وهو أن جويس كاري كان لحظتها يحتضر على فراش الموت في سن الثامنة والستين وكانت مناسبة الحوار . . . موته !

وقلة نادرة من الصحافيين ، كتبت حوارات موهومة معي ، مخصصة للسخرية من شخصي والأذى والايلام ، ولكن هذه القلة هي الشواذ الذي يؤكد القاعدة : الاهتمام المتدفق على عملي ككاتبة . والحنان المتدفق عليَّ بصورة اسئلة .

١٥ ـ هذا الكتاب الاخير من الأعمال غير الكاملة (الذي يقع في اربعة اجزاء) وهذا جزأه الثالث هو أقربها الى قلبي . فهو أيضاً سجل انساني للحظات من الصدق المتبادل المكثف ، المحرض والخلاق : لحظات الحوار .

كأن كل حوار صحافي ناجح حكاية حب بالمعنى الجوهري للكلمة : لغة مشتركة . لحظة تفرغ مطلق متبادلة . محاولة التقاء . محاولة معرفة .

وكل حوار صحافي ناجح هو كالحب : كسر للوحشة وتدمير للغربة وعلى الأقل خلال الفترة التي يستغرقها الحوار .

وبعد . . .

فالحوار الصحافي الحقيقي حكاية حب لا تعقبها المرارة وإنما ترفد الفن وتساهم في بلورة الإبداع .

غادة السمان

تم تعديل المصارحة في ٨٧/٩/١٢ الساعة ٢,٥٣ فجراً

الجرح يرحل داخل ذاته في لحظة شك مستمرة :

الآن وقد أنجزت « الأعمال غير الكاملة » بأكملها تقريباً أكرر : لست واثقة من أنني اخترت الافضل من أعمالي . . . ولعل التي استبعدتها من دائرة النشر كانت اكثر دلالة وخصباً . . . ولكن . . .

- ١ -

أحاديث لم تحدث

● الفن يستعرض أمام الناس جميعاً ما يحرص الفنان على اخفائه عن اقرب، الناس اليه

- جين روستاند -

● كل عبارة تدفع بك الى قراءتها مرتين ثق ان صاحبها فكر بها قبل كتابتها اكثر من مرتين

- ثورو -

● من بعض متع قراءة الرسائل القديمة هي انها لم تعد بحاجة الى كتابة الرد .

- اللورد بايرون -

● الصوت وجه آخر .

- جيرار بوير -

١٩٨٥/١٠/١٧

من غادة الى مفيد بقلم مفيد فوزي

●اتقن قراءة صمتك الفصيح .

عزيزي مفيد . .

. . . تابعتك حتى الصيف حرفا حرفا وشهقة شهقة ، ثم غادرت باريس وتشردت في بلاد لا تبيع الصحف العربية والهموم والمذابح العربية . فأنا ـ كما تعلم ـ طلقة نارية شردت في ليل العالم الواسع تخترق اجنحة طائرات يغسلها مطر الاعالي الوحشي . لبنان هي جرحي المتقن التخدير ودمعتي السرية كلما فاجأني الحلم . وبيروت زرعت جروحها تحت جلدي قبل ان يبتلعها الافق .

صداقتنا نوع من أنواع الخلاص ، نسمة رطبة في هذا الجحيم . صداقتنا كما تكتب لي دائما هي بكاء بعيون الاخرين . عيناك وعيني ! حين اكتب لك اشعر اني اتحرر من عذابات وهموم خاصة، فلم يبق في عالمنا المثخن بالجراح سوى المشاركة. انها الحلم المستحيل في زمن الوجود الطحلبي . وكان لا بد من الرحيل . فكلما اقتربنا من الشيء فقدنا الرؤية بوضوح لان اتحاد الانسان بالاشياء يفقده شروط الرؤية الصحيحة من موضوعية وتجرد وصفاء ذهن . ارحل ربما لاثبت انه لا رحيل الا لو رحلت عن ذاتي . ولكني في كل رحيل . . . امعن إبحاراً نحو حقيقتي . ارحل ربما بحثاً عن المجهول والمدن الغارقة في غلالات التاريخ ، ربما لأن كل رحيل يقود الى الوطن ما دام الوطن . . يسكننا . صدقني انا لا اعرف « النوم العذب » كما يسميه شكسبير . هل نجد في المتاحف بعد مائة عام تمثالا لانسان دخل التاريخ لانه استطاع ان ينام كل حياته دون ان يتناول قرصا مهدئا واحدا .

رحلت عن باريس حين صارت المدينة فارغة كمدن الاساطير العربية التي تحجر سكانها واستحالت ابنيتها نحاسية مسحورة . ليس في المقاهي والمطاعم والشوارع إلا نساء عيونهن مزيج من خيبة وخوف وجوع . كنت غارقة في العمل، فقد أصدرت الطبعات الثامنة لـ « اعلنت عليك الحب » و« عيناك قدري » و« حب » والطبعة الرابعة

لـ « السباحة في بحيرة الشيطان » وأعد للنشر كتابين جديدين « البحر يحاكم سمكه » و« الاعماق المحتلة » .

وعندما شعرت اني محاصرة ، رحلت الى لندن ، مدينتك المفضلة . لا أجمل من لندن حين تصفو سماؤها وتنبت فيها شمس ويتلصص فوق أبراجها قمر . لا حل عندي للتطهر . . . الا بالمسرح . لا اعتقد ان المسرح ترف فكري . المسرح يمكن ان يكون مدرسة شعبية لتلقين ابجدية الوعي والرقي . ما زلنا في الارض العربية نزهر كلاما ولا يثمر ، ونطلق سحبا ترعد ولا تمطر . ليتنا نتخلى عن اسلوب امرىء القيس والوقوف على الاطلال في قضايانا الشخصية والعامة وسلام على حقول البرتقال الحزين .

نحن عطشى للحوار الحضاري الهامس . اننا نصرخ حينما ننطق كلمة حق والعالم الغربي لا يستطيع ان يفهم لماذا نصرخ ونحتد ما دمنا ننطق بكلمة حق . اصارحك بانه تغمرني احيانا تعاسة هي اكبر من ان اعبر عنها او احيط بأبعادها . ادخل محارتي واتدثر بها ، فان من حولي لن يفهم سر تعاستي ، وللدقة اكثر ، سيعجزون عن الفهم . في بعض الاحيان اقلدك لانجو بنفسي . اصمت ! اوغل في الصمت . اهبط الى قاع الصمت . صحيح اكون غاضبة كحدقة عين محارب ومتناقضة كأسنان منشار . ولكن الصمت يحتويني واشعر انه مظاهرة احتجاج على اشياء كثيرة . تمثال بوذا الصامت يحرك في نفسي هذا الشجن . عندما كنت أراك صامتا كنت اثقب صمتك باسئلتي . ثم فهمت ان هذا « الخرس » له دلالة . صرت اقرأ صمتك جيدا ، فأنا ـ كما تعلم ـ اتقن قراءة صمتك الفصيح .

حين يكون الصمت موقفا في العمل او الحب ، يكون مراجعة للنفس مع النفس . فالبوصلة العقلية لكل منا تختلف عن البوصلة العقلية للاخر لكننا جميعا نتحرك على خط عرض واحد ونخضع لمغناطيسية اجتماعية وتاريخية واحدة . اختلف عنك في قدرتي على الحلم . انني أؤمن بضرورة الزواج بين الحلم والواقع في محراب العقل . فللأحلام دور في بلورة اي فكرة لي . الحلم رافد هام لما استخف به . انه السراب الجميل !

لا ادري كيف تمضي الحياة داخل « الجمهورية المستقلة » ابنتك حنان ولكني اعرف درجة حرارة ابوتك . اما أنا ـ كأم ـ لجمهورية مستقلة اخرى اسمها « حازم » فتتنازعني مشاعر شتى . فأنا كما تعلم أم لطفلين : بشير وحازم . زوجي بشير ليس

سعيدا هنا في باريس ويحن الى الوطن . مثلك يلوذ بالصمت الموجع ، وانا اقرؤه جيدا . انين حنينه الى الوطن له صوت . انه يشعر بالضبط كما وصفته يوم التقينا الصيف الماضي في باريس «جالس على مقعد في صالة الترانزيت ينتظر طائرته المسافرة الى بيروت ، ويصغي ليلتقط نداء المذيعة على رقم الرحلة » !!! باريس - يا مفيد - صارت صالة ترانزيت كبيرة . . ! حب بيروت لا يعادله في الدنيا حب مهما أمعنت في الرحيل . فأنت تسافر وتسافر ولكن هناك « محطة » داخل نفسك تسكن فيها وتسكنك . حتى وأنت في باريس ، اقرأ صمتك المشتاق . . للقاهرة . نحن نحلق في الافاق دائما . لا نكف عن التحليق . وكل فنان طائر بمعنى ما ، كما يقول صديقنا المشترك غالي شكري ، لا اتخيلك مطلقا بلا تذكرة سفر . ولا اتخيلك بدون جواز سفر . ولا اتخيلك بدون رحيل . لا اراك الا « سواح » .

ان السفر صمت من نوع آخر . انه أحلى انواع الصمت . انه صمت القادر على مواجهة النفس والنزول الى بئر الذاكرة والتجول في سراديبها . انه صمت النظرة الثاقبة وليس حياد الموت للاشياء . انه ليس صمت السكوت على الظلم بل هتك عرض الظلم والتشهير به . انه صمت الذين يعرفون . . ويحزنون ! اذا كنت تفكر في الصيف القادم بالسفر الى اوروبا ، فاقصد فيينا. انها لؤلؤة الدهشة الدائمة في صدفة التاريخ . ستدور في حدائقها ومتاحفها وتنصت الى انشاد مبدعيها : جوته وشيللر وشوبرت وموزار . حتى جدران فيينا تنطق . ستأخذك من نفسك برهة لعلك في حاجة اليها . ستخفض نسبة السكر في دمك الى الصفر . . . جرب ولن تندم .

أرهقتني الطائرات - يا عزيزي مفيد - ولا زلت متشبثة بالرحيل . احيانا افعل مثلك ، السفر في المكان والزمان ثم اخاف من اجترار ايام الحزن والمرارة واتذوق طعم العلقم .

مشتاقة للقاهرة ، مشتاقة . مشتاقة لبسطاء الناس ودعواتهم العفوية بالستر . مشتاقة لزمن اخضر وقلب اخضر .

هل لا بد لكل خطاب من نهاية ؟

هل هو قانون الازل . البدايات لها نهايات ؟

سأضع قلمي دون كلمة وداع . . . فلا نهاية لمشاعر استرسلت شلالا فوق الورق .

من مفيد الى غادة بقلم مفيد فوزي

● الأنثى تتوارى بالخمار الأسود

صديقة العقل غادة .

. . . لعل اجمل ما في صداقات العقول انها لا تفرق بين رجل وامرأة ولا تعرف الملل والصدود . . والذبول . اجمل ما فيها ذلك الابحار المتجدد الذي نادراً ما يرسو . انها « سباحة » ذهنية ، تعمر متعتها طويلا طويلا . . وتفوق اي متعة اخرى عابرة . وقد اعتدت في الليالي المعتمة ان اتحاور معك فوق الورق ، فتنبت شمس من بين سطورك وتفل السحب الداكنة هاربة من سماء نفسي !

الصمت عندي يا غادة هو الاحتراق . والاحتراق معناه التجدد . معناه الخروج من الرماد . انسان آخر يحمل بواحدة من يديه الشعلة وبالاخرى « يخربش » على الحيطان . للصمت لغة ومفردات ونزيف خاص . . وقليلون جدا في هذا العالم يفهمون هذه اللغة وتصلهم حروفها بجملة مفيدة . التحاور معك علمني ان المرأة ـ احيانا لا دائما ـ ليست مجرد عيون جميلة او قد مياس . انما عقل فواح بالازهار . . . ورياض يتمرغ الانسان على اعشابها .

أعرف انك كامرأة شرقية في حاجة بعد الى كلمة طرية من الرجل ، رغم إنجازاتك المتقدمة، ورغم عقلك الوثاب . علمني التحاور معك انه لا فرق في المشاعر الانسانية بين رجل وامرأة . الفرق في مقدار الحرية وكمية الشجاعة وحجم الثقافة . الفرق في هذا العضو الذي يكسوه الشعر ، ويعلو الكتفين ! الرحيل عندي ، اعادة نظر في الكون . . ونفس عميق للمتابعة . متابعة الحياة المعقدة الشرسة والمليئة بالمطبات .

كنت اظن ان العبقرية للرجل واكتشفت الخطأ بل الوهم الذي وقعت فيه. فالمرأة قادرة على التصميم على شيء وتنفيذه . لا مسافة عندها بين الفكرة والقرار وهذه عبقرية . المرأة تملك عبقرية الارادة والارادة صانعة معجزات . اما عن « الجمهورية المستقلة » حنان فان تجربتي معها كأب ، تستحق التسجيل والرواية . نعم ، جيلان

يتقـابلان في منتصف الـطريق . على احـدهما (جيـلي انـا) ان يتنـازل ـ بـاسم الحب والضعف الابوي الخالص . علمتها امها ان القيم لا تتجزأ . علمتها امها ان الكبرياء اثمن ما تملكه فتاة . ولم اصادر مشاعرها نحو شيء ما . ولو اقل لها يوما ركبتك عورة . اراها امامي تكبر كشجرة مثمرة ترنو العيون لها . اراها تعبـر عن نفسها فأصغي . وفي زمان طفولتي لم يصغ لي ابي وكانت كلماته « فرمانات » تطاع فقط !

قرأت مرة حديثا لصديقنا المشترك (. . . .) يصف كتاباتك ما معناه « ثرثرة لفظية بلا مضمون » ولم يتوقف عن قصصك واعمالك الادبية التي اعتبرها « اضافة جادة وثرية للمكتبة العربية » . وغضبت واظنه هو قد غضب ايضا بعد ان قرأ الحديث منشورا .

ومع ذلك بعض الحجارة في البحيرة ، يحرك مياهها واظن ان الحياة الادبية تعاني من انيميا النقاش والحـوار والزلازل الفكـرية ، واظن انـه فيها نـدر . . . تتأجـج هذه النار . علمت من رسالتك انك تعدين كتابين للنشر . انه خبر مفرح ، لأنك دائماً تمشين وسط الضباب . تخترقين الطرق الموحشة مسلحة بالتفاؤل وبالحركة .

انك تقتلين الاحباط برصاص التفاؤل . . مثلما افعل دائما . فانا اخترق التعاسة بسهام التفاؤل ، فتتقلص مساحة التعاسة واحيـانا تفـل هاربـة . . ساخـرة من حجم تفاؤلي ! احيانا يكون الموج صاخبا والريح شديدة والضفاف بعيـدة . لي ذراعي سباح اعتاد الموج والـريح وصحبـة البحر ! واين تجـربتي من « كوابيس بيـروت » الواقـع لا الرواية ؟ اين تجربتي من تجربة الحوار بطلقات النار والقنابـل والحريق؟ اين تجـربتي من الموت المتربص في كل شارع وحارة وزقاق في بيروت ؟ اين تجربتي من السكين المغروس في القلب وفي الحلق ؟! انني افهم تماما ما معنى رحيلك الدائم ، تشـردك الطويـل في المطارات والموانىء . افهم تماما صراخك وبكاءك بين السطور . . وافهـم احيانـا يأسـك وصمتك ، ولو ذلك بالفرار الى . . . محارتك . لكنك تحاربين هزيمة نفسك وانكسارها بالكتابة وتتقنين هذه الحرب باسلحة مبدعة تجعل نثرك يرقى الى مستوى الشعر وتصبحين يا غادة غبدة صدق يسير على قدمين . فانا اسكن في كتاباتك وافتح « نوافذ » فيها واشعر انك تقودين مظاهرة سلمية تهز الوجدان وتحرك النفس الراكدة وتقيم حوارا مع عقل بارد محايد .

الانثى فيك حاضرة وغائبة . الانثى تتوارى بالخمار الاسود عندما يطل العقل في المعبد ! في باريس ، يوم التقينا ، تحدثنا عن فيروز الانسانة ، صديقتنا المشتركة . ولا اعرف عنها شيئا منذ قابلتها في عمان وكانت « ترمم » نفسها ببعض الرحيل . فلا تزال كما علمت في بيروت . علمت انها بجوار « عاصي الرحباني » حـين صار شبحـا راقدا

فوق سرير . . .

ما أخبار نـزار قباني ؟ لقـد كان يـريد الاقـامة في القـاهرة . ثم عـدل فجأة عن قراره . لست ادري هل انكسر الرمح بعد رحيل بلقيس المفاجيء ؟ هل قرر ان يعيش في بيت الحزن يفتقد كل صباح نخلة العراق الطويلة السمهرية ، بلقيس ؟ هل قرر ان يعيش الى جوار ابنتيه ، يلتحف بهما في شتائه الطويل القادم . مسكين نزار ، لقد خطف منه الموت ابنـه توفيق وزوجتـه بلقيس لكن الموت ـ يـا غادة ـ هـو الحقيقة الـوحيدة في الحياة !

اشتقنا لكما انت وبشـير الـداعـوق . هـذا الانسـان الحضـاري الـذي كـونت معه « مؤسسـة الزواج » . ان بشير هو الصامت الاعظم . ان صمته من فضائله ، لكنه صمت العقل المدبـر . صمت « بهاء » نسبـة الى احمد بهـاء الدين . صمت التحـديق المستنير في الاشياء وتناولها بالعقل المحض حتى لا تغلب العاطفة على التفكير فتفسده .

نعم ، يا غادة ، ان احمد بهاء الدين مريض ، يقضي جزءا من وقته على سرير في مستشفى . هل يهاجم المرض الجلد السميك والنفس السميكة ؟ محال ! يهاجم دائماً انسانا يشقيه عقله المحلل لكل صغيرة وكبيرة . يهاجم دائماً انسانا يرفض ومطلوب منه ان يقبل ! لقد زرت احمد بهاء الدين في العجمي بالاسكندرية وتعلمين ضعفي أمامه .

جلست اتكلم معه واسمعه وهو يحكي . وكانه افرج عن صمت نصف قرن . لا زال شابا في افكاره . . لماحا في رؤاه . وفي لحظة من اللحظات تمنيت ان اضع قدما فوق قدم . . . ولكني لم استطع . انا من جيل يحتـرم من سبقوه . . ويفخـر باستـاذيتهم . تذكرين اني كنت اول محرر يعين في « صباح الخير » في يناير عام ١٩٥٧ . . . الآن صار الهرم مقلوبا .

يا عزيزتي غادة . . ان اجمل ما في رسائلك انها مثل « اغنية » حلوة تثير الشجن في النفس وتوقظ اشياء كثيرة كانت راقدة . . اعلم كما تقولين دائما ان احلى ما في الرسائل انها تصل مغلقة . . فالمحتوى يخص انسانا بذاته ، وان مجرد فتح المظروف متعة .

لكن استاذنك ان افض المظروف . وأعرّي السطور . . واعرضهـا للضوء . . . والشمس .

وساحذف ما يخصنا عائليا . . . ولن اختم رسالتي لأنك لا تحبـين النهايـات ولا انا ، لولا انها حقيقة .

سامحي غيابي في الرد ، فان اشياء كثيرة تغتال صفائي .

مفيد فوزي



- ٢ -

استجواب حول سيرة ذاتية

● أياً كانت قناعاتك ثق من أمر واحد : هو انك تشبه « الآخرين » الى حد مروع !

- جيمس راسل لويل -

● بينـما كنت أتوهم انني كنت اتعلم كـيف احيا ، كنت اتعلم كيف اموت .

- ليوناردو دافنتشي -

● السمكـة تموت وصـدرهـا الى الأعـلى ، وتطفو من القاع وتعلو . . . انه اسلوبهـا في السقوط !

- اندريه جيد -

● ليس ثمة شعور بالحرية يشابـه في نشوتـه متعة الهـرب من أنصاف الاصدقاء .

- ادوارد بلوير ليتون -

١٩٦٣/٧/٥

مندوب العمل التونسية باشراف الحبيب الجنحاني يستجوب

● المرأة السورية تمر الآن بمرحلة تمزيق الشرنقة .

انها ابنة رئيس جامعة دمشق ووزير الارشاد والتعليم سابقا . . انها تحدثك فاذا حديثها السحر . . . واذا سألتها اجابتك بالصراحة والصدق والجرأة . . . فهي لا تخاف من شيء . . . الا من نفسها .

عمرت مجدها الادبي والفني على الخوف . . . ولكن على الخوف من نفسها . . . انها شابة في ريعان شبابها لم تتجاوز العقد الثاني من عمرها الا قليلاً . . طالبت « بتحرير الجارية التي تجلد » . كما طالبت « بتحرير الرجل ايضاً » . . . بهذه الروح الحرة المسؤولة وهذا الحس المرهف جابهت القراء ورسمت خطوطها العريضة في كتابها : عيناك قدري ـ وهو اول مجموعة قصصية لها .

استقبلتني هذه الشابة في بيتها الفخم بدمشق بابتسامة فيها الوداعة . . . وفيها الاثارة . . . وغمرتني بالعطف والكرم . . . وتحدثنا الحديث التالي :

● ما هي اهم نشاطاتك الاجتماعية والفنية ؟

ـ اعمل بالتدريس كاستاذة محاضرة للغة الانكليزية في كلية الآداب بجامعة دمشق ومعاونة لرئيس ديوان كلية الهندسة ولي برنامج اذاعي عن الشعر الغربي هو « شعر وموسيقى وغادة السمان » .

● ما هو اهم نتاجك الأدبي؟

ـ القصص القصيرة التي جمعتها في كتابي الاول « عيناك قدري » وكتابي الثاني الذي سأبدأ بطبعه قريباً في بيروت .

● هل يمكن تقييم قصة (عيناك قدري) ؟

- تقييم عيناك قدري ليس من اختصاصي وانما من اختصاص النقاد ، فأنا صانع سيارات ولست المستهلك . .

● ما هي نشاطات المرأة السورية ومشاكلها ؟

- نشاط المرأة السورية تمر الآن بمرحلة تمزيق الشرنقة ، وتهب عليها مجموعة من التيارات المختلفة التي تجدها في اية ثورة . . هناك مثقفات يعملن باخلاص وجرأة . . وهناك ملونات يتقنعن بالثورة . . . وهناك متحررات ظنن ان الحرية هي الفوضى واستهترن بالمسؤولية . وهنالك جادات وعاملات .

● هل ترحلين الى خارج سوريا ؟

- انا غيمة تكافح كي لا تكون غيمة صيف عقيمة وانا كالغيوم اهوى الرحيل ولا استقر . . . في الربيع المقبل سوف ازور اوروبا .

● ما هي نصيحتك الى الفتاة العربية ؟

- احب إبداء الرأي وتبادل وجهات النظر ولكنني اكره منابر الوعظ لانني لست سوى فتاة عربية تبحث عن طريقها .

● ما هي هوايتك المفضلة ؟

- الحياة هوايتي المفضلة ترافقها هوايات اخرى فرعية هي السير تحت المطر - السباحة - قيادة سيارتي بسرعة - الصمت .

١٩٧٥/١٠/١٤

ندى ياسين تستجوب

● نجمـات المجتمـع ؟ من بـينهـن تستطيع العمل وكسب عيشها ؟

● دور المرأة اللبنانية في الاحداث الدامية الاخيرة ؟

ـ ما دامت الرصاصة لا تميز بين ذكر وانثى ، وشظايا الصواريخ لا تحترم تاء التأنيث ، والسقف المنهار ينهار على الاسرة بأكملها ، فان دور المرأة في هذه المعركة هو من حيث المبدأ كدور الرجل تماما . هـذا ما يفسر اقبـال عدد كبـير من الفتيات عـلى « معاقـرة » السلاح ، دفاعا عن النفس جسدا وفكرا .

لكنني ارى للمرأة في هذه المعركة دورا اضافيا هو دور التهدئة وبالاحرى الضغط على « مجتمع الذكور » في سبيل كبح الذات ولجم النوازع التدميرية . . فمجتمع الذكور هو الذي لجأ الى الحرب على مر تاريخه منذ عزل المـرأة عن السلطة في المجتمعات القبليـة القديمة التي كانت تخضع لحكم « الام » لا الاب الذكر . . . وصناعة الحرب صناعـة ظلت « رجالية » الا في حالات نادرة (الجيوش غالبا من الذكور) . . . وهنالك حالات نـادرة ارغمت فيها المـرأة الرجـل على القتـال ولكن في موقف الـدفاع عن النفس فقط (يروي التاريخ حكاية نساء هجرن رجالهن في الفراش ارغاما لهم على الذهاب للحرب دفاعا عن المدينة) . . . ولكن بصورة عامة ، الحرب صناعة رجالية . . .

أمـا في الحروب الاهليـة (الحروب غـير النظاميـة) فان دور المـرأة يكون كبيـرا وأساسيا ما دامت الحروب تجـري على السـطوح وبين النـوافذ وفي الشـوارع ، اي ان الرجل يكون قريبا من امرأته لتلقي « ارشاداتها » او حربهـا النفسية مـع او ضد حـربه الاهلية ، وليس بعيدا في ساحة المعركة حيث يتلقى الاوامر من مرؤوسيه وقيادته فقط . في الحروب الاهلية هنالك « قيادتان » بدلا من قيادة واحدة : المرأة اولا ثم (الرابطة) التي يقاتل الرجل تحت لوائها ثانيا .

وأياً كانت اسباب القتال ودوافعه فقد اثبت التاريخ ان الحروب الاهلية كانت دوما كارثة موجعة ، وان الثمن الدموي الذي تدفعه اطرافها كلها ربما اكبر بكثير من المكاسب الانسانية التي تحققها . .

ولذا ، اعتقد ان من ابرز ادوار المرأة في هذه المرحلة هو لجم جنون « مجتمع الذكور » والتروي قبل الانزلاق نهائيا الى بئر الحرب الاهلية التي ستبتلع الجميع ! .

لست ضد ان يقاتل الانسان من أجل بقائه وحريته وكرامته ، لكن الحرب الاهلية هي ابغض الحلال الى قلوب الادباء ، وقبل الاستسلام لبشاعتها من المفروض محاولة حل مشاكلنا بصبر وروية واللجوء الى الوسائل السلمية كلها وامكانيات اللاعنف كلها . . .

والمرعب ايضا في الحرب الاهلية هو انها تستمر كي تبرر اندلاعها !!. . بعبارة اخرى ، لنفترض ان عدد ضحايانا حتى الآن هو ٦٠٠٠ جثة فمتابعة الحياة كأن شيئاً لم يكن ليس بالأمر السهل . . واذ كيف يقنع « الزعماء » بعدها أزلامهم بالموت في المستقبل اذا كانوا لم يحققوا شيئا من « المكاسب» ؟ . . .

وهكذا فالحرب الاهلية نار اسطورية متى اندلعت في شجرة بالغابة ألهبت من حولها مئات الاميال من الاغصان البشرية ، والمرأة مطالبة في هذه المرحلة بمحاولة شد الرجل من الخندق الى طاولة الحوار ومن جنون الغرائز الى الاعتدال والتعقل .

● ما كان دورك بالذات ؟

تسألينيعن دوري ؟ لم يتبدل الشيء الكثير بالنسبة لي شخصيا ، فأنا ما زلت على قيد الحياة وما زلت اكتب ما اؤمن به وما زالت اصبعي على زناد السلاح الوحيد الذي اتقن استعماله : القلم . . .

التشرد ليس كارثة بالنسبة لي فقد كنت دوما مشردة ، بل انني اخترت التشرد لانني اكره الاستقرار المزيف ، وما دام الوطن سائحا ، ومشردا على ابواب القيم والمفاهيم ، فكل بيوتنا تسكن في الزلزال . . . كنت فيما مضى أتأمل صور سيدات المجتمع واحاديثهن اليومية عن الفساتين والسهرات وادهش لسذاجتهن وأتساءل : في حال حدوث حرب ، هل بينهن من تستطيع كسب عيشها اذا اضطرت للاعتماد على نفسها ؟ وهل بينهن من هي بمقاييس الحرب خير من وصيفتها ؟. . كنت ادهش حين اقرأ اخبار هاويات جمع الاواني الثمينة والتحف واتساءل : اين يعشن ؟ وفي اية ضبابة اوهام يقطن ؟ الا يرين انه لا سلام لمجتمع بلا عدالة ، ولا كماليات في مجتمع ما زال

اكثره يفتقر الى الضروريات؟ دوري لم يتبدل كثيرا . في روايتي بيروت ٧٥ التي صدرت في اوائل هذا العام التقطت «انتيناتي» كهارب الانفجار الآتي وكنت اسمع صوت الرعد واشم رائحة الاعصار ، وهكذا جاءت الرواية تهديدا بانفجار اجتماعي كبير تحقق للاسف . . . اما دوري الآن ؟ لا اكتمكم انني اشعر بمرارة لا حدود لها . . انها المرارة التي تقارب الشعور بالذنب الذي يقاسي منه الادباء في كل عصر حين تنشب الحرب الاهلية . . . فالفنان هو غالبا مقاتل سيء ، وحين نشبت الحرب الاهلية الاسبانية انضم عدد من مثقفي ومثقفات فرنسا وكتابها الى المقاتلين فكانوا عبئاً عليهم ، وتروى حكايات طريفة عن اديبة منهم لم تصلح حتى للطبخ للمقاتلين . وأصر بعضهم على اعادتها لبلادها للتخلص من « مسؤوليتها » ! . . وبعض الفنانين قاتلوا وقتلوا ، كبايرون ، الذي قتل على تراب اليونان ، وكان شاعرا عظيما وجنديا فاشلا . . اما همنغواي ومالرو فلم يستفد المقاتلون من وجودهم بقدر ما استفاد ادبهما من ذلك التواجد في ساحة القتال . . .

اذن ، المهم ان لا ينفصل الفنان عن الشعب وعن مأساته . وفي الوقت ذاته ان لا يدفعه الشعور بالذنب الى حمل سلاح لا يتقن استعماله . المهم ان يشارك في بؤس الآخرين بالاضافة الى بؤسه الشخصي ككاتب ، صوت قلمه ـ مهما علا ـ يظل خافتا حين يعلو صوت الصواريخ والقذائف .

تنتابني لحظات من المرارة اشعر خلالها بأن من الافضل لي حمل السلاح والقتال من اجل ما اؤمن به بدلا من الكتابة ، ثم اعود واقرر : قلم جيد خير من رصاصة طائشة . . ولا ادري اذا كان ذلك من نوع المنطق التبريري الذي اغطي به نفوري الفطري من العنف والدم ام لا ؟! . .

● **كيف مرت عليك الاحداث ؟**

ـ كالناس جميعا . تعمدت بالخوف والجوع وصوت الرصاص . وصلبت على قرميد بيروت في ليالي النار كاللحم البشري المقدد . وتحول بيتي الى سجن يتوسط ساحة الحرب وحاول كثيرون انقاذي من بحيرة النار حيث تصادف انني اسكن ونجوت من الموت الجسدي . . . اما الموت النفسي فكلنا نعيشه مرات عديدة في اليوم .

١٩٨٠/٦/٢٢

مي منسى تستجوب

● العلاقات الانسانية كهارب كونية

● انت امرأتان في واحدة . امرأة ولعة غارقة في اللامألوف ، وأخرى من معيوشنا اليومي تبالغ في اهميتها . فأيهما أنت ؟

● ما دام الانسان يـأكل الخبـز لا الكلمات ، ويسكن بيتـاً من الحجر لا بيتـاً من الشعر ، اذن فلا بدّ لنا من غمس أصابعنا في وعاء الحياة اليومية لا في محبرة فقط . لا بد لنا أحياناً من تقليم أظافر جنوننا وقص شعر الجنية التي تسكننا وربط كمامة على فمها ، بحيث لا نخنقها . ولا نتركها تجرنا معها الى اللاعودة .

وهكذا بين الشعر والشعير تتوزع أيامنا ، بين الركض خلف « العلف » والوقوف على الاطلال .

وأنا أعرف جيداً تلك الشرسة اللامبالية التي تسكنني ولأنني أعرف مدى جنـونها وشهواتها التدميرية ـ حتى لذاتها ـ ابذل جهداً لأكبحها خوفاً عليها من نفسها . أحاول ان احفر المجرى لشلالات جنونها وسيولها ، وأحاول احتواء هذا التفجير الأرعن في شكل فني يغتني به .؟

أنا كما تقولين أبالغ في واقعيني . هذا صحيح والسبب ببساطة هو خوفي الحقيقي من عالمي المسحور اللاواقعي حيث يتخذ العالم شكلاً آخر تماماً .

ان عالمي اللامألوف يسرقني بطريقة طريفة أحياناً ، فأشعر بدفء دنياي الداخلية والدنيا (من الخارج) شتـاء ، واحياناً يحـدث العكس . فالـدنيا الخـارجية صيف وفي اعماقي العاصفة تضرب والثلج يتراكم على اهدابي وداخل حلقي والرعد يزلزلني فأشعر بالبرد . وهكذا ارتدي احياناً ثيابي انطلاقاً من مناخي الداخلي وحين اخرج الى الشارع والناس يصير الامر مريكـاً . لذا فـأنا لا أغـادر بيتي او ارتدي ثيـابي الا بعد ان اضـع ميزان الحرارة على الشرفة كي اعرف درجـة حرارة دنيـا الناس ، درجـة حرارة الـزمن

الموضوعي لا زمني الداخلي وبعدها ارتدي ثيابي وأخرج . واحيانا تمر بي ايام استيقظ فلا اجدني ، أحاول ان ألملم ذاتي . ها هي اعضائي مرمية على الارض قرب سريري بعضها ما زال منسياً داخل ثياب البارحة .

أُلملم جسدي الممزق قطعة بعد أخرى وأتذكر بصعوبة موضع الانف والأذنين، وأجهد كي اعيد كل عضو الى موضعه وأخشى الصاق عيني في موضع فمي مثلا وأقاسي كمن يركب تلك اللعبة الصورة من قطع مختلفة Puzzle جهنمية وبعد أن أُلملم اعضائي المتناثرة واستعيد من الخارج هيئتي الخارجية الآدمية تأتي المهمة الاكثر صعوبة : محاولة لملمة اعضائي النفسية التي تم تمزيقها فوق جبل ما او في مقهى ما . أحاول استعادة شبكتي العصبية فأجدها غالباً مثل كرة خيطان عبثت بها القطط واشتبكت وصار التقاط اول الخيط شبه مستحيل .

مع امرأة كهذه هل املك الا ان اكون حاسمة مثل سجان وواقعية مثل مراة وصامتة مثل سلحفاة ودقيقة كآلة حاسبة ؟ مع امرأة كهذه ماذا غير ارادة التوازن .

● **اذا قدر لك ان تكتبي أشياء من معاناتك الحالية فأي نوع من الروايات تكتبين ؟**

ـ روايات بوليسية . عايشت الحرب هنا ولم اغادر بيروت الا في فترات السلم .

كتبت روايتي « كوابيس بيروت » في الحرب ويخيل الي الآن ان كتابة المزيد من الكوابيس فكرة معقولة . صحيح ان القصف المدفعي توقف ولكن ماذا عن القصف النفسي اليومي ؟ ما زالت شمس الخوف السوداء تشرق على ارواحنا كل صباح وما زلنا نستميت لاختراع التفاؤل. وكلما اخترعناه وألبسناه ثياباً واخرجناه معنا الى شوارع السطور ليراه الناس يقتله قناص .

هذا في وجه عام . لكنني لا أستطيع ابداً ان اقرر سلفاً ما سأكتبه ولو بعد دقيقة . (حتى كلمة دقيقة هذه لا اعرف في هذه اللحظة ما سأكتبه بعدها) فما اكتبه يولد فقط لحظة كتابته ويأتيني دوماً بطريقة لم اكن اتوقعها . (هذا طبعاً لا ينفي دور مرحلة التخزين اللاواعية) .

● **هل مجموعة « الأعمال غير الكاملة » التي صدرت تقول ما عشته او احلاماً وكوابيس من نسج المخيلة ؟**

ـ تقع « الاعمال غير الكاملة » في احد عشر جزءاً ، انجزتها بأكملها وصدر الجزء العاشر منها اليوم وهو « كتابات غير ملتزمة » ويصدر الجزء الاخير « الحب من الوريد الى

الوريد » بعد شهر . وكل جزء من كتب السلسلة يختلف تماماً عن الآخر ، وتالياً تختلف نسب الحقيقة الواقعية او المتخيلة وفقاً لنوعية الكتاب . الجزء الثاني مثلاً « الجسد حقيبة سفر » يحكي التشرد والترحال ففيه الكثير من ماض عشته اكثر مما في « زمن الحب الآخر » الجزء الاول وهو مجموعة قصصية . ففي القصة يتضاءل حجم الواقع المعيوش ويكبر دور الصنعة الفنية والخيال ، فالادب الروائي يبدأ حيث تنتهي السيرة الذاتية دون ان يخلو من بذورها وشحناتها طبعاً .

ولكن في سؤالك هذا ناحية اخرى ، فأنا يا عزيزتي لا أميز كثيراً بين ماض عشته وأحلامي وكوابيسي . اعيش كوابيسي واحلامي بالكثافة نفسها التي اعيش بها ما يسميه الناس (الواقع) . عندي الحلم واقع والكابوس واقع ولا اكاد اميز بينها احياناً .

بل ان الخيط الدقيق الشفاف بين الحلم والواقع مهزوز عندي وممحو في بعض مواضعه . يحدث احياناً أن اعيش حلماً تؤذيني فيه احدى صديقاتي مثلا . وحين التقيها في اليوم الثاني أتجنبها وقد اهجرها كما لو كان ذلك حدث فعلا . والاحرى ان ذلك في نظري وداخل مشاعري حدث فعلا . احلامي تلعب دوراً قد يبدو طريفاً من الخارج ولكنه مؤلم حقاً . أمامه أشعر بأن اللغة ليست كل شيء . العلاقات ليست مجموعة من الالفاظ . العلاقات الانسانية كهارب كونية ولدي رادار كثير الالتقاط . وابث في استمرار كهاربي بصمت صاخب ويفجعني احياناً ان اكتشف اختلاف موجة بثي عن موجة التقاط شخص كنت اتوهمه قريباً مني . واحياناً يحدث العكس . ويترجم صمتي الصاخب شخص لم اكن ألحظ كم هو صنو روحي .

● **كيف لكاتبة مرهفة وصريحة ان تكتب آخر حدود الحب اذا لم تعشه او تساكنه ؟**

ـ للوهلة الاولى يبدو الجواب بسيطاً ومباشراً : غير ممكن . ولكننا نقع في خطأ فادح اذا توقفنا عند هذه المرحلة من الاجابة . ونلغي نصف روائع الادب العالمي ، بعبارة اخرى ، هذا السؤال يجرنا بنعومة الى القضية الشائكة الكبيرة : هل يستطيع الفنان ان يكتب عن تجربة لم يعشها حتى الثمالة ؟ الجواب نعم ولا .

فلوبير مثلا ليس مدام بوفارى ولكنه ايضاً بمعنى ما مدام بوفاري . حينما يكتب الفنان عن الحب ، لا يكتب حبه فقط وانما يكتب حب العالم . وحينما يكتب عن الحزن فانه لا يكتب حزنه فقط بل حزن العالم . ما موضع حبه من ذلك ؟ موضع كبير في حجم القلب . وصغير في حجم الجبل . وهكذا فأنا اساكن حباً ما دون ان يحرك في حروفي نبضاً ما ، وقد افتقد حباً يشعل ابجديتي ويحولها جمراً ويحولني رماداً . فالعملية الفنية

شديدة التعقيد ولا احد يعرف بالضبط كيف تتحول مجموعة الخبرات والمعارف والمشاعر والمواقف هذه بعد ان تنصهر في بوتقة الموهبة . لكنها دوماً قادرة على ادهاشنا ، بعبارة اخرى اذا ساكنت حبي وعشته فليس بالضرورة ان اكتب اقصى حدود الحب كما ليس بالضرورة ان اكتب شيئا في ما بعد دون ان اعي بالضبط نبعه . اي حب . اي زمن . اي قتل متبادل تحت شعار الحب . في زمن الكتابة تختلط الوجوه وتمتزج الاصوات وتتقطر الحكايا وتكون الاشياء هي ذاتها لكنها ايضاً ليست ذاتها .

● **ما قيمة الحب في حياتك كواقع بعدما اختبرناه في رواياتك ؟**

ـ الحب بطاريتي . بدون الحب أنا جثة متحركة في جنازتها السرية ، تسامر المشيعين الذين لا يلحظون ذلك الموت اليومي . وبدون وعي غياب الحب انا ايضا جثة فغياب الحب ليس الا كارثة مع وقف التنفيذ ، لكن الكارثة الحقيقة هي الدخول في مرحلة الفتور . مرحلة اللامبالاة المترهلة .

● **هل وجود الرجل في اطارك العاطفي والجنسي له علاقة بعطائك الادبي ؟**

ـ ان مرور نملة على الورقة التي اكتب فوقها له علاقة بعطائي الادبي فما بالك بمرور انسان او غيابه ؟

ولكن دور الرجل في عطائي الادبي يتوقف عند احترام عملي الادبي . انني لا اسمح لاية عاطفة صادقة او نزوة جسدية بالتدخل في توقيت عملي او عرقلته او محاولة تدميره . تلك حدود الرجل في حياتي اذا تجاوزها بخطوة ، كانت تلك الخطوة عتبة لخروجه من جنوني . تخليت اكثر من مرة عن اصدقاء احبوني اكثر مما أحبوا عملي بل كرهوا عملي . اولئك لم يحبوني حقاً وانما احبوني بالتقسيط التجاري البشع وارادوا امتلاكي على طريقة الشقق المفروزة . وأنا وحدة متكاملة . جزيرة ليست للبيع . الكتابة جزء مني ومن يحبني ـ باستثنائها ـ فهو ببساطة يحب امرأة اخرى ، ليست واحدة من جميع النساء اللواتي هن انا .

● **أنت انسانة نهمة . فالى اي من اشياء الحياة يكبر نهمك . وهل في الزهد غنى ؟**

ـ انا نهمة لكنني اختار موضوعات نهمي جيداً . هنالك نهم لا استطيع ترويضه ابدا ، نهمي امام الكتب الجميلة والبحر والغابات ومناخات التواصل الانساني الدافئة الزاخرة بفرح حنون (نهمي الى البحر مثلا يجعل من السباحة فعل زنى مع الامواج) .

هنالك ايضا نهمي امام لعبة الرحيل . انا في زيارة قصيرة على هذا الكوكب . جئت من كوكب أجهله وبعد أن أموت سأذهب إلى كوكب آخر مجهول . كوكبنا هو

الحقيقة الوحيدة المتروكة لي والمتبقية في هذا الكون الشاسع . ويوم اموت لن يكون في وسعي مغادرة متر مربع هي مساحة القبر . لذا اشعر بشهوة حقيقية نحو جسد الأرض في احلى صورة : كدنيا من الاكتشافات لا كمجرد مقبرة مؤجلة .

انني ارحل بنهم من مكان الى آخر . اعرف ان الحياة قصيرة لذا احاول التعويض عن قصرها باكتشاف عمقها وبالسفر الى البعد الثالث الداخلي لها . والسفر محرض هائل في هذا المجال . انا سائحة مثالية لانني ارى في السياحة استيطاناً واعياً لكوكب الارض ووسيلة لمد جذوري في عالم حبها وعشقها وطموحا او بعض طموح ليعم هذا الكوكب المعذب شعور ما بأننا سكان بيت واحد ، والزلزال قادم . فلنستمتع بالغروب الاخير ولنكف عن الشجار .

تسألينني هل في الزهد غنى ؟ لا يوجد شيء اسمه الزهد . هنالك العجز عن امتلاك ما نحب واخفاء ذلك خلف قناع اخترعوا له اسماً محترماً هو الزهد . وهو في جوهره استسلام العجز المترفع عن الاقرار بواقعه . اولئك النساك الذين زهدوا في الدنيا ليسوا في جوهرهم في حالة زهد . وانهم ببساطة في حالة غنى خاص في مفهومهم . وهكذا فالانسان لا يستطيع ان يكون زاهداً ما دام على قيد الحياة وعلى قيد الحب. حتى لو كان ذلك الحب عشقاً الهياً وايهما اكثر طموحاً : محاولة الوصول الى امرأة ام محاولة الوصول الى الرب ؟

يخيل الي ان الزهد الحقيقي هو في قبول عطايا الحواس المألوفة ، وعدم الزهد هو في محاولة اكتشاف حواس مجهولة او منسية في اعماقنا ومحاولة تطويرها . بهذا المعنى لست زاهدة .

● **هل من نكهة في الحياة لم تتوصلي إليها بعد ؟**

ـ ارجو ذلك ، بل اجزم . هذه الحماسة التي تتفجر من اعماقي لا بد ان مجهولا ما يثيرها . لغة ما غير مألوفة تخاطبها . ان اعظم نكهة هي اكتشاف الحقيقة ، حقيقة ما . وأنا الضالة في متاهات الحيرة احلم بيوم تتحول فيه عيناي من شارتي استفهام الى شارتي تعجب بعد اكتشاف المزيد من هذا الكون الرائع المذهل الاسرار .

● **هل تأسيسك لدار نشر « منشورات غادة السمان » هو فعل تمرد على دار الطليعة ؟**

ـ بل هو فعل محبة نحو زوجي بشير الداعوق . فأنا متزوجة منه لا من دار الطليعة . ثم ان كوني متزوجة لا يعني ان اكون عاطلة عن الطموح . هل سمعت من قبل برجل ترك عمله لانه متزوج كما تفعل بعض النساء او يرغمن على ذلك ؟ فلماذا اتخلى عن

طموحي في النمو مع الايام وتأسيس مشاريعي الخاصة (التي قد تكون فاشلة) كأي مخلوق من المخلوقات على هذا الكوكب . حينما يعمل الرجل المتزوج يقولون « عفاك » حينما تعمل المرأة مثله يقولون « لماذا » . وانا بدوري اسألهم لماذا ؟ .

● **زواجك لماذا لا تذكرينه في احاديثك الصحفية ابداً ؟**

ـ لا احب ذلك . اذ لا نقرأ حواراً مع « نجم » ما يمتدح فيه شريك حياته الا ونقرأ في الاسبوع المقبل خبر طلاقهما .

١٩٨٢/٤/٢١

ابتسام عبد الله تستجوب

●الكوارث التي لا تقتلني اوظفها لصالح كتابتي فهي تزودني بخبرة نادرة في الطبيعة البشرية .

ما تزال غادة السمان محور اهتمام النقاد والقراء على السواء . ذلك لأنها ما تزال تكتب وتتنفس من خلال كتاباتها . التحقيق الصحفي ، القصة القصيرة والرواية مع احتفاظها بشخصيتها ـ غير المهادنة أم ـ كما تعبر هي عن ذلك ، بالسباحة ضد التيار ؟ والسباحة ضد التيار عندها لا تعني ضد اي تيار ! ولكن ضد تلك التيارات التي تستوجب السباحة ضدها . . . وما اكثرها . المهم عندها هو « فك حصار التيارات التي تجرفنا منذ طفولتنا والمخططة سلفا لتصب بنا في المستنقعات » .

واستطاعت ، غادة السمان ، فك حصارات كثيرة ، وان تزرع في ضوء الشمس ما ينبت في مغاور الذات السرية . . وكانت النتيجة رائعة : لقد حفرت اسما ، بخطوط بارزة ، في عالم الادب .

عندما التقيتها أخيرا في احدى محطات رحلاتها ، قالت لي أنها قد استقرت اخيرا ،

تساءلت بدهشة ، « واين ؟ » .

اجابت : « في بيروت !! الا تصدقين ذلك ؟ نعم انني (مستقرة) في بيروت ، المدينة التي تقضي وقتها في الرحيل على بوابات الانفجار ، والتشرد داخل ماسورة مدفع بين متراس وآخر » .

● بيروت المدفع والمتراس ، بيروت بقوة أحداثها ، هل اكتفيت منها يا ترى برائعتك « كوابيس » أم إننا ما زلنا في انتظار ولادة جديدة ؟ !

ـ لم اكتف منها ، ولم تكتف مني . هي تطالبني بروحي ، وانا احاول اعتقال روحها في كتاب والتقاط نبض احداثها ومدلول مذابحها والخيط الرئيس الذي يربط النزف هناك

بالنزف في اكثر من جرح عربي .

● الحـرب اللبنانيـة التي عشتها ، ومـا تـزالـين ، كشفت لنـا عن اعمـاق اخـرى في ذاتك . . . عن عوالم لم تكن قد اكتشفت بعد فما الذي اضافته اليك كانسانة . ؟

ـ احدثك عن جانب في نفسي اعرفه . . . وضمن هذا الاطار أقول : أنا امرأة عـربية تعشق عملها وتحترم مهنتها . وككل امرأة عربيـة حصنتني الحياة بخبـرات الجدات في مواجهة قسوة الحياة وغدر الزمـان . ففي دمي خبرات اعـرابية وصمـودها امـام الموت والغـزو والرحيـل وطاقتهـا عـلى الصبـر . في اعمـاقي انتـماء حقيقي الى بني قـومي ، والاحداث الجماعية هي مناخي الداخلي وايقاعي النفسي ، وتكاد تمثل في حياتي ما تمثله الاحداث الشخصية . كل يوم يزيدني وعيا بمدى تداخل جذوري في تربة الوطن .

والحرب اللبنانية التي عشتها وأعيشهـا ، والمواجهـة اليوميـة للعدو الصهيـوني في الخـارج والداخـل ، كشفت لي عن امـرأة في اعمـاقي لم اكن قـد التقيتهـا بعـد بهـذا الوضوح : جادة مع الوطن حتى الموت . اني صامدة في بيروت . واذا غادرتها فلالتقاط انفاسي بين وقت وآخر . فالحرب في بيروت مركبة ، وانت لا تقاتلين العدو فقط ، بل تقاتلين اعداء يرتدون احيانا وجوه الاصدقاء والاحباب .

انها حرب اكتشاف الحقيقة ، وليست حربا قتالية فحسب . انها حرب كرنفالية لا حرب واضحة المعالم .

وهذا هو الجـانب العملي من غـادة يتابـع ، « باقيـة في بيروت حتى اشعـار آخر فالإنسان حالة حية، متحركة مسكونة ببذور المفاجآت وليست تمثالاً صخري الجمود».

● كـان للزمن تأثيـره الكبير عـلى غادة السمـان الكاتبـة ، نضجت شخصيتـك عبـر السنين ، تألقت افكارك ، واضفت الى الرواية العربية الحديثـة رصيدا ثمينـا ، كيف بدأت رحلتك مع الكتابة ؟ واين وجدت البداية الحقيقية ؟

ـ كما العرب جميعا ، بدأت بالشعر او ما كنت اتوهمه شعراً . في اعماق كل عربي شاعر سري صغير ، نكافحه ، او نطلق له العنان . في اعماق كل عربي ذرة شعـر تجسد في مرحلة المراهقة ذلك التوق الغامض الى تفجير الذات كحزمة ديناميت من اجل تبـديل العالم دفعة واحدة . مع الـزمن نكتشف ان تبديـل العالم ليس مهمـة فرديـة وان الحل الفردي لا يبدل حالنا حقا . وهنا يتخلى بعضنا عن الشعر مع اكتشافه التدريجي لطاقاته لاخرى . . . ويتمسك بعضنا به كخشبة خلاص صغيرة قد يحولها الى مركب ابداع .

بعـد الشعر كتبت القصـة وعيني على الشعـر . كتبت في الصحـافـة وقلبي عـلى

الشعر . كتبت كثيرا في سن المراهقة ونشرت في مجلة المدرسة الثانوية .

بدايتي الحقيقية كانت مع صدور كتابي الاول « عيناك قدري » . الكتاب الاول فعل مواجهة ومسؤولية والتزام . فأنت تستطيعين كتابة ما شئت ما دمت لا تنشرين . لحظة النشر حاسمة . ها انت تخرجين للجمهور قلبك كالتفاحة وتقصينه بالسكين وتنتظرين بلهفة حكمهم على مذاق عالمك الداخلي . . . انها لحظات من الرهبة يداريها الفنان بلا مبالاة مزيفة . لا يمكن للفنان ان يكون لامباليا حقا بجمهوره ، وإلا لما خاطبه اصلا ! الفن فعل مجابهة وصمود ومسؤولية ، لا فعل صعلكة بوهيمية كما كان شائعا . الصعلكة قناع يغطي به الفنان كبرياءه المتورمة . . . آه كم خفت يوم أصدرت كتابي الاول ، وما زلت حتى اليوم ، وقد اصدرت عشرين كتابا ارتجف ذعرا مثل متسول شتائي مسكين كلما طبعت عملا جديدا .

● **عشرون كتابا وعشرون نجاحا ، كيف تبررين هذا النجاح ؟ او بالاحرى هذه الاستمرارية الناجحة ؟**

ـ هل قلت لك ان لدي طموح نسر وصبر نملة ؟ لطالما سقطت من فمي حبة من قمح الابجدية . فعدت لالتقاطها . لطالما تعلمت كيف اتجاوز لحظات سقوطي واتعلم منها دونما مبالغة في تقريع الذات فالحياة كر وفر . التراجع هو احيانا مقدمة لقفزة اكبر . الكوارث التي لا تقتلني اوظفها لصالح كتابتي وفني ، فهي تزودني بخبرة نادرة في الطبيعة البشرية !! . . .

ثم ان العمل ليس في نظري ديكورا او ترفا . وانا بالتالي ، لا أخجل من فرض أوقات عملي على ارتباطاتي كلها من عائلية واجتماعية . بعض مجتمعاتنا ما تزال تنظر الى عمل المرأة نظرة دونية . أنا أجده المحور الاساسي لحياتي .

● **متى تكتبين عادة ؟**

ـ اكتب حينما ارغب في ذلك ، وعلى الاشياء الأخرى كلها ان تنتظر او تغضب وترحل . اكتب في المحطات كلها ، واعرف ان القطارات لا تنتظر ، لكنني اتابع الكتابة ، لان الكلمة التي لا نحسن استقبالها لا تعود . الكلمة لا تقرع باب القلب مرتين .

● **هناك كاتبات سواك . . اجدني أسألك رأيك في بعضهن . . . مثلا : اميلي نصرالله ديزي الامير ، نوال السعداوي ؟**

ـ هل تسمحين لي بتسجيل اعتراض على صيغة هذا السؤال الشائع ؟ لماذا هذا الحشد من النساء الكاتبات من دون الرجال ؟

● **لانني بالذات اود ان أطرح عليك هذا السؤال الشائع لأعرف رد فعلك . لأعرف جوابك ! .**

ـ كنت اود أن تكون صيغة السؤال مثلا عن رأيي في نجيب محفوظ ونوال السعداوي ، الطيب صالح وديزي الامير مثلا . لماذا هذا الاصرار على ممارسة النظرية النقدية التي أسقطتها المرحلة والتي اسميت في الستينات بـ (الادب النسائي) ؟ لماذا هذا (الحرملك) الادبي ؟ لماذا نسمح للشوفينية الذكورية لبعض النقاد بالامتداد الى اسلوبنا في طرح الاسئلة الصحفية ؟ هل الادب الذي تكتبه المرأة العربية متخلف عن الادب الذي يكتبه الرجل العربي بوجه عام ؟ لا . . والدليل معظم كتاب الأدب الرديء هم من الذكور فلماذا نعزل الكاتبات في مصح ادبي (كارانتينا فكرية) ، ونتحدث عنهن في معرض التقييم بمعزل عن الرفاق الادباء ؟ وهل نحن في مباراة في المصارعة لوزن الريشة فكرياً ؟

● **باسلوبك الممتع تجاوزت السؤال حسنا اي هاجس تعيشين هذه الأيام ؟**

ـ الرواية العربية . بدأت ألحظ ان القصة العربية تخلو من القصة بوجه عام . في ما القصص العربية الجديدة نجد كل شيء إلا القصة . نجد الشعر . السياسة . التحليل النفسي . الجغرافيا . التأريخ . لكننا قلما نجد القصة . قصة نستطيع ان نرويها بالمعنى البسيط للعبارة . . هذا امر خطر على الرواية العربية ، في نظري . انا مع التطور ، والابداع والتجديد ، لكنني أفضل الا تخلو القصة من القصة . انظري مسرحيات شكسبير الخالدة فيها سياسة . فيها تأريخ . فيها شعر . . وفيها ايضا قصة تستطيعين ان ترويها حتى لطفل . الابداع هو السهل الممتنع ، وهو يخاطب الناس على اختلاف مستوياتهم وأهواهم ومشاربهم .

● **أما زلت تحبين الرحلات ؟ . . .**

ـ أجل ، انها هوايتي . الكتابة والرحلات نحو الطبيعة من بشرية ونباتية وبحرية .

● **اكثيرة هي هواياتك ؟ . .**

ـ كثيرة ، لا يتسع عمر واحد لممارستها: أهوى السباحة والغطس والمشي والطيران، الطيران الشراعي بالذات. أهوى المطالعة والموسيقى. ولكن هذا الزمن الخطر لا يترك لنا فسحة من الوقت او السلام النفسي لنمارس هواياتنا ، اننا لا نستطيع الذهاب الى صيد الفراشات وفخاخ العدو تملأ حقولنا . أصبحت هوايتنا الاولى . الحياة بكرامة ، وهم بالتالي يرغموننا على ان تصير الحرب هوايتنا وقدرنا .

١٩٨٢/١٢/١٩

زينب حمود تستجوب

●التفاؤل صناعة جماعية وليس موقفاً فردياً

غادة المسافرة ابدا عبر قوافل التجديد ، عادت مؤخرا واعطت لحقائبها المتربصة ابدا اجازة مفتوحة لترتاح من عناء التشرد والهروب عبر أصقاع جنيف ، وجنون لندن ، واغتراب العالم .

عادت وفي قلبها غصة مكتومة ، وفي عينيها دمعة سعيدة ، لانها اعتقدت ان الوطن قد عاد الى رشده وآذن لنفسه بالهدوء ، لكن الاعتقادات والتعاويذ خانتها ، ووجدت ان كل رقعة تخيط في هذا البلد تتمزق اخرى مقابلها ، ولا ندري كيف سيصير الترقيع مع الايام ، واية بقعة سيصعب رتقها .

غادة الغجرية المختفية وراء السر ، والتي تشعر دائما بأن هناك عملا لها لم يتم يناديها ، الكتابة عندها لا تحتمل الكذب ـ والكذب في الكتابة يحفر لنا القبر ـ أليست هي القائلة : سأتابع صرختي من أجل المساواة والعدالة والفرح .

وها هي تتابع بالسر صرختها ، ولم تقل لنا ما عندها ربما ستدع المفاجأة تعصف عما قريب وتأتينا بصرعة جديدة لعشقها ، ونقرأها ونتلذذ بمضمونها .

غادة السمان ليلية الشعر ، لم تكن ابدا هي تعري الاشياء كي تظهر واضحة كالشمس انيسة كالقمر . . مجنونة كالحياة .

وربما غادة السمان عندما عادت اخيرا الى بيروت كانت تعتقد ان منزلها ، وكالعادة ، قد أتت على محتوياته النيران فقالت : « بوركت شفاه النيران التي احرقت بيتي . . لن يخيفني حريق بيت فالبيوت حجارة ، والكرة الارضية مسكن مؤقت . . نحن ضيوفه اينما حللنا . . . . وبيتي الوحيد الحقيقي الذي أسكنه باستمرار : هو جسدي . . . وما ازال أقطنه . .

بوركت شفاه النيران التي أحرقت بيتي اذا كانت ستطهر هذا الوطن الحزين من أوجاعه . . . » .

ونسأل ساكنة جسدها ، السابحة في « بحيرة الشيطان » ، والمواطنة المتلبسة دائماً بالقراءة ، نحاورها بعدما عادت :

● عدت اخيراً . اين كنت ؟ واين رويت ظمأ اوراقك المسافرة ؟

ـ اين كنت ؟ ما الفرق . . . كنت اتعذب في مكان ما ، تصادف أنه سويسرا جنة الارض ، لكن الوطن كان في اعماقنا ، حملناه معنا وتحركنا داخله وتفاعلنا باحداثه في كل لحظة .

ففي تموز ١٩٨١ اضطر زوجي الى مغادرة لبنان بسبب ظروف العمل الصعبة . وفي آذار ١٩٨٢ لحقت به وطفلي الى جنيف حين اضحى مجرد المشي في الشارع مغامرة تحف بها السيارات المتفجرة من كل جانب .

في جنيف وجدت عملا ، والصبي وجد مدرسة . لكننا ظللنا نعيش في مدار جاذبية الوطن . وزوجي ابن (رأس بيروت) العريق مزقه الشوق الى بلده . . . وقررنا : الموت داخل الوطن قتلا خير من الموت في الغربة قهرا . . . و« ضرورات العمل » تأتي في المقام الثاني . بعد « ضرورات القلب » .

هذه المرة لم أرو ظمأ اوراقي المسافرة ، وانما عدت بها ، وقد ازدادت عطشا الى النبع الاصلي الذي لا يتدفق الا من ارض الوطن .

عدت بها مقددة كشفاه احرقتها الايام المالحة ونبتت عليها شارات الاستفهام كالشوك وأدماها الشوق المذعور ، والعطش الى الطمأنينة واليقين .

● لبنان الوطن عندما كان ينزف ، وعندما كان يحترق (قصفا ، وقتلا وتدميراً) ماذا كنت تفعلين . وماذا قلت في ذلك ؟

ـ مشيت تحت مطر النار والذعر ، واحرق وجهي وهج القنابل ، فقد كنت في زيارة الى بيتي في بيروت حين انفجرت الاحداث كمعظم الناس هنا ، لدي حكاية متواضعة عن نجاتي من الموت بأعجوبة ، لن ارويها لانها تشبه التجربة التي يحملها كل مواطن في قلبه .

حقائب محشوة بالتشرد والخوف والقهر ورائحة البارود . . . والعودة الى المنفى ، الآمن .

تسألينني ماذا قلت في ذلك ؟ كتبت الكثير وقلت الكثير ، لكن جنوننا نقطن

اعماقي كان يمد لي لسانه كلما جلست لاكتب ويضحك ساخرا ويسألني :

ما جدوى الكتابة ؟ . .

وكنت احيانا امتلىء بصوته واسمعه قادماً من حنجرتي : أجل ! ما جدوى الكتابة أمام طوفان النار ، ولغة العنف ولعبة الامم ؟ واحيانا اكم فم ذلك المجنون الثرثار واقول له حسنا . . . لا جدوى من الكتابة ، ولكن ، في المقابل ، لا جدوى من الكف عن الكتابة ايضا .

● الزمن العربي اصابه الانهيار والتصدع ، والتراجع والعدو يربض فوق الاراضي والصدور ، والناس في حالة من الذهول ، والكاتب يترقب .

ما هو الدور الذي يجب ان يقوم به المثقف اللبناني والعربي في هذه الحقبة ؟

ـ الصمت .

الصمت العميق ، لا الصمت الاخرس الغبي ، الصمت المرهف الواعي الذي تتم خلاله عملية مراجعة ذاتية ، واعادة نظر في المفاهيم كلها على ضوء الاحداث والواقع ووهج الحقائق المستجدة .

الصمت المخلص للذات وللابجدية وللحقيقة والتاريخ : الصمت النقي الذي تتبعه مرحلة جديدة من الكلام المسؤول عن سقطات الماضي وتطلعات المستقبل . . .

الصمت الجميل الايجابي الديناميكي ، لا الصمت الهروبي ، المشلول .

صمت واعادة بناء الذات من الداخل بعد محاكمتها ذاتيا ، فالحروف المكابرة لا تمنح أدبا .

● خليل حاوي الشاعر الكبير . . . انتحر . هل على الشاعر ، او الكاتب ، او الفيلسوف ان ينتحر ؟ أم يؤرخ ، للمرحلة الصعبة ويحمل السلاح ويقف مع المتحاربين ؟

ـ لست كاهنا لأدين انتحار خليل حاوي . ولست (قبضايا) لأفرض على الادباء استبدال القلم بالرصاصة ، ولست منظرة سياسية متعصبة لأفرض على الاديب تأريخ المرحلة من وجهة نظري فقط طبعا ! . . . أنا فنانة ادين بولائي للحقيقة وحدها ، وبالتالي انادي بالحرية . . . حرية الفنان في ان يعبر عن ذاته كما يشاء هو بملء ارادته : ينتحر ، او يكتب ، او يقاتل ، او يعتزل الكتابة وينصرف الى تربية الابقار . . . فالكلمة التي تولد بعملية قيصرية لا تعيش .

● **عندما عدت وشاهدت الدمار ، هل بكيت ؟**

ـ لم يهطل ذلك السائل المالح على وجهي من ثقبين في الجبين . . ولكن هل هذا وحده هو البكاء ؟ . .

● **اتظنين ان لبنان الحلم عاد من جديد ؟ هل انت متفائلة ؟**

ـ انا لا ابكي « لبنان الحلم » ، لكنني اطمح الى « لبنان الحقيقة » .

تسألينني هل أنا متفائلة ؟ . . . التفاؤل والتشاؤم لا يأتيان من الخارج وحده ، وما يصيبنا هو من بعض صنع ايدينا ، بهذا المعنى يبدو لي التفاؤل (صناعة محلية) بالدرجة الأولى . . . وهو أيضاً (صناعة جماعية) لا فردية . . . اتمنى باخلاص ان نتجـه جميعا صوب البناء والايجابية . اي صوب التفاؤل . . . ونكف عن الاقتتال فيما بيننا .

● **وماذا في جعبتك ايتها العزيزة ؟**

ـ لا شيء غير العمل والترميم ، كأهل هذا الوطن جميعا ، كل في حقله ، بدأنـا ترميم بعض زجاج القلب العسير ، ننتشل الكتب من تحت الانقاض كجثث الاطفال .

ونقف على الاطلال لنعمر جدارا. لا لننشد شعرا ، ثم نتركها ونمضي !

ان حيوية الناس وقدرتهم على الاستمرار هنا تنبع من اعمـاق الجميع . . كـأننا نحصي مواليدنا اكثر مما نحصي قتلانا . . .

وهذا ما افعله مع الكتب على الاقل . . .

انجزت في الاسابيع الماضية طبعات جديدة لستة كتب نفذت من اعمالي وعيناي على الكتاب الآتي .

أيار ١٩٨٣

محمد أبي سمرا يستجوب

● عـرفني أبي عـلى الماء والنار العنصرين اللذين صنعت منهما مادة حياتنا بأكملها .

● ماذا يمكن لغادة السمان ان تكتب ـ الآن ـ عن مدينـة دمشق ، بحس ورؤية غـادة الطفلة والصبية والفتاة التي كانت تـذهب الى المدرسـة . . والجامعـة ، وعايشت فتـرات وجوانب من حياة المدينة ، وذلك قبل ان تصبح كاتبة أو أديبة ؟ حياة المنزل العائلي . العلاقة الاولى بأمكنة المدينة . لحظات عابرة او منسية غشيها النسيان .

ـ قبل ان ابلغ العاشرة من عمري . كانت دمشق تبدو لي مدينة هادئة ومنظمة ورتيبة الى حد يدفع بالمرء للنوم اثناء سيره ! وكان ذلك ما يحدث لي على الاقل .

في الدرب الطويلة االمنحدرة من «محطة الحجاز» باتجاه الصالحية ، كنت اغفو وانا اسير ممسكة بيد ابي ، بعد يوم حافل اقضيه وبنات عمي في بيت جدهن لامهن المرحوم الدكتور احمد راتب الصبان (والـد الدكتـور رفيق الصبان) ، نحـاول خلالـه إدخال الزلزال الى المنزل العريق الشاسع بتحطيم ما امكن من الصيني والرياش ، وإعـادة ترتيب (ما نقـوى على حمله) من المفروشات . وتبديل مواضـع الاشياء التي ظللت اراهـا على حالها منذ ولادتي .

وبعد نهار طويل من الفظاعات الطفولية ، ينقذ والدي الاسـرة مني ، ويخرج بي الى الشارع البارد في الدرب الى بيتنا . المرئيات ذاتها . الايقاع هادىء ورمادي الظلال وشبه رتيب ، وثمة تشابه بين وجوه الناس وجدران الابنية الحجرية الشامية العتيقة كأنها صنعت من مادة واحدة كابية . . . الناس يبدون لي وكأنهم يمشون نياماً فاغفو انا ايضا ضجراً . . لا الوان غير الرمادي البني الصحراوي ، ولا اصوات غير ايقاع شخير خافت تردده الاشجار الهزيلة الموسخة بالهبـاب . . . صياح بـائع العـرقسوس شبيـه بصرخـة احتجاج كابوسية مكتـومة والغـروب يستولي عـلى جثة الحـزن الضجر المسترخي فوق شوارع الرتابة . . فاسير في نومي مغمضة العينين وادهش لنكات الأسرة عني . . . ألا

يفعلون جميعاً الشيء ذاته بمعنى ما ؟ . . . وكنت لا استيقظ الا عندما نبلغ الدكان الكبير لقريبنا (عمو ابو معتز) الذي يبيع السكاكر والشوكولاته والحلوى وهو والد الشاعر نزار قباني .

إنه صورة عن الدمشقي العتيق الياسميني المناخ . اتذكره بقامته الشاهقة ووجهه الابيض المضيء وترحابه الدمث الشامي . وقطع النوجا والملبس التي يغمرني بها لمجرد انني طفلة واحيا وابتسم له .

ذلك الانطباع الطفولي عن دمشق واهلي واهلها لم يدم طويلا ، والمشي مغمضة العينين في شوارعها الهادئة من الطفولة الى الشيخوخة لم يكن قدري .

كانت دمشق تخبىء لي ولسواي زلازل كثيرة ، وثمة طرقات نائية تنتظرني في مدن اخرى لاركض فيها فرحاً ، ذعراً . شهية لاكتشاف المزيد .

في العاشرة من عمري فقدت بركة النوم المتحرك ، ودخلت في الصحو المثلج الكاوي البرودة كالنار ، بعد اصطدامي الاول بالسلطة ! . . اذكر صورة وجهي داخل برك الشوارع المتجلدة كصفحة مرآة موسخة ، وانا اقفز واكسرها وارى وجهي يتمزق داخلها الى عشرات القطع . كنت عائدة من المدرسة الى البيت بعد يوم طويل اوقفونا فيه منذ الصباح امام ابواب احدى المؤسسات وفي الشارع لان حاكم بلدنا قادم للزيارة . . وبعد انتظار طويل ونحن نرتجف برداً في الثياب الكشفية ، وانقضاء وقت الغداء مر (الامبراطور) ولم يلتفت إلينا ولم يبتسم ولم يسلم . . واحتواه الثلج كابن شرعي مؤهل للذوبان . حين يكون المرء صغيراً ، يكون حسه بالديمقراطية والعدالة كبيراً . لقد شعرت يومها بالذل كما لم احسه ، وبالقهر ، ولماذا استعملوني كتمثال ؟ ولماذا لم يصافحني ويسألني عن مصاعبي ودرس الحساب ؟ ولماذا تأخر ولم يحترم جوعنا ؟ ولماذا تم استخدامنا كديكورات حية ؟ كانت تلك اول مرة احقد فيها على السلطة ، ولن انسى مذاق النقمة المالحة في فمي وانا راجعة الى البيت مهزومة بعدما حلمت طوال الليلة السابقة بان الحاكم لا بد وان يكون شيئاً خارقاً . . وكان خارق الايذاء .

تلك الشهية الطفولية الى العدالة والديمقراطية لم تفارقني يوماً ، وظلت تلازمها نظرة الحذر الى الحاكم ، التي كانت تتحول الى كراهية متأججة في ظل المراحل التاريخية القمعية .

وقد وعيت فيما بعد الطوفانات المتعاقبة التي نحياها في سوريا . احاديث الكبار عن الانقلابات العسكرية المتوالية بدأت اعي مدلولها . تلك الصورة المضطربة لم تكن

تضايقني حقاً كما يحدث للكبار ، ولم تسبب لي غماً كبيراً مثلهم . لأنني لم اكن راضية عن العالم الذي فتحت عيني عليه منذ طفولتي . وكنت اتمنى ان يتبدل بصورة ما . كل ما حولي كان يبدو مزوراً ومعلباً ومفروضاً علي في طقوس مسرحية ممجوجة مضجرة وهزلية وكنت عاجزة عن الانسجام مع (واقع الحال) ، اجدني اقرب الى ذكور الاسرة من إناثها . . اقرب الى والدي من عمتي او جدتي . كان يرعبني المصير الذي تحيكه (نساء الاسرة) لي بكثير من الحب . محاولات تعليمي تحلية (الزيتون المكلس) وصنع (كرات اللبنة) و(رب البندورة) الذي يجب تحريكه في الأواني النحاسية على السطوح يومياً . وغلي الجبنة وتمليحها ، وتجفيف (البامية) وادخال الابرة والخيط في كل واحدة منها لتصير عقداً يحفظ ، وبقية الاعمال المنزلية (الارهابية) الاخرى المشابهة .

. . . وكنت اهرب ، من ذلك كله إلى مكتبة لتأجير الكتب في حي (عرنوس) . واعرج في طريقي على (حديقة السبكي) امشي وافكر كأي رجل يحمل هموم الارض على كاهله .

وحين صار عمري ١٤سنة ، كانت سيدات الاسرة قد اعتبرنني سلفاً النموذج لـ (البنت البايرة) . فأنا نحيلة وحنطية وسوداء الشعر ، ومقاييس الجمال الشامي تتطلب بنتاً بيضاء وممتلئة وشقراء . ثم انني لا اعوض عن ذلك بمهارات منزلية . لا أمل لي مع (الخاطبات) . ووداعاً لمستقبلي . ولم يبق لي غير ذلك الحل البائس في نظرهن : ان اتعلم . وكان رائعاً ان يطلق سراحي (نسائياً) . فقد كنت احيا في كوكب آخر وتقلقني امور اخرى مختلفة . . . وداعاً لخياطة (البسماشكات) ولف (اليبرق) و(حفر الكوسا) ومرحباً بطه حسين وجرجي زيدان وكيتس وشيللي وبايرون وشكسبير وروايات ارسين لوبين وكل ما تطاله يدي من كتب متفاوتة المستوى بين الرداءة والجودة . . كتب الجيران . . كتب المدرسة . . . كتب بالايجار . . . وانفتحت لي دنيا كنت احدس وجودها . . . ولكنها لم تكن كافية ! . . .

بالمقابل ، ثمة نقطة مضيئة اسجلها للأهل في سوريا بوجه عام . لديهم عادة تعريف الطفل ببلاده ، واعتقد ان ابي طاف بي في دمشق التاريخية منذ صغري ، ضمن إطار هذا التقليد المتوارث لتربية الاولاد ، بعد انقراض عادة إرسالهم الى البادية لتعلم الشعر والفروسية . . لقد عرفني على الطبيعة والوطن ، الماء والنار ، العنصرين اللذين صنعت منهما مادة حياتنا بأكملها تقريباً .

كأنني لم اغادر دمشق بعد . كأني ما زلت اطوف حول السور القديم المحيط بها ولما

يتهدم بأكمله كأني هناك في سوق الحميدية في طريقي الى الجامع الاموي . كأني لم اغادر قاعاتها القديمة وآثارها التي تروي حكاية تاريخ قوم مع البقاء . وبصمات أصابع الغزاة على احجارها الصلدة . كأني ما زلت اتجول في سوق ساروجة والشاغور والميدان وقبر عاتكة والباب الصغير والمهاجرين والقصاع وباب توما . . كأني ادوس الآن اوراق الخريف المكومة على تراب الغوطة ، وارافق ابي في مسيرتنا الى الطبيعة والماء ، نتسلق قاسيون حتى (قبة السيار) ، ثم ننحدر في الدرب (القادومية) إلى دمر ثم لنعود سيراً بعد استراحة في بيت المرحوم فخري البارودي . . .

كأني ما زلت في دمشق المرمية على حدود الصحراء والخضرة المائية . . .

الماء مركز الجذب الاول لأهل الشام ، ورمز الخروج من الخيمة الى القبة . .

نهر بردى سحر الطفولة ، كم انكسر قلبي حين اكتشفت انه ليس اكبر نهر في الدنيا . . وانه مجرد نهر آخر صغير شحيح . . . والبحر . . . الماء المطلق . . . يعشقه اهل الشام كصورة إلهية شاسعة عن حبهم المائي لنهر الروافد السبعة (بردى) المتواضع .

. . . وهكذا بلغت سن المراهقة وفي رأسي آلاف المشاعر المتناقضة المتشابكة الغامضة عن ذاتي ، ودمشق ، وموقعي من هذا الكوكب كله ، وفي قاع روحي حقيقة واحدة صلبة : انني فتاة عربية تنتمي الى واحدة من اعرق مدن التاريخ واقدمها ، والى اقوام منحت الانسانية والحضارة اشياء كثيرة ، وفي دمي خبرات اجدادي مع القهر ، وحصانتهم ضد قسوة الحياة والغزاة ، ونقاط ضعفهم ايضاً .

بعد حفلة التعارف ودمشق ، جاء دور سوريا بأكملها . . . اللاذقية الساحلية مدينة امي ، تدمر مدينة جدتي زنوبيا ، حوران والجنوب ارض البسطاء والفقراء البركانية ، كسب وصلنفة والفرلق ، الحلم الاخضر في الشمال ، شاطىء البسيط الخرافي الجدال . الذي يذكرك بجرح واقعي هو امتداده في اسكندرون . . . وغيرها من المناطق السورية التي لا تنسى (مدينة معلولا المحفورة بأكملها في قلب الصخر الجبلي) .

ادهشني فيما بعد ان عددا كبيراً من الاطفال اللبنانيين قد زاروا متحف اللوفر ولم يزوروا المتحف الوطني ببيروت . وثمة من ساح في اوروبا مع اهله ، ولم ير مناطق لبنان المختلفة ويتعرف عليها ، ولم تكن الحرب قد اندلعت بعد . هذا امر لا يتهاون فيه الاب السوري (في ايامي على الاقل) .

كصبية مراهقة ، وطالبة في التجهيز الاولى للبنات ـ الفرع العلمي ـ بدت لي دمشق يومئذ مدينة مصنوعة للرجال فقط . لا مكان فيها للنساء الا من اجل اداء اعمال السخرة او الزينة . و« الرجل في البيت رحمة حتى ولو كان فحمة » ،ولم تكن الامثال الشعبية وحدها تؤكد هذه الحقيقة . . . فحينما كنا نتظاهر ـ نحن البنات ـ لشأن سياسي ، كنا ننتظر وصول الصبيان الى مدرستنا كي يخرجونا هم في المظاهرة ونقول : « جاء الصبيان ليعلنوا اضرابنا». لم نكن نأخذ المبادرة . لم نكن نكتب الشعارات وإنما كنا نمشي خلفهم ونردد اقوالهم . اتذكر جيداً يوم انتظرناهم طويلاً،لكنهم نسونا . وكانت اصواتهم تأتي من الشارع كالرعد صارخة : ناصر . ناصر . ناصر . . . ونحن نتابع الدرس مقموعات دونما اي حس بالمبادرة ، حتى تذكرنا صبي منهم و(اضرب) بمفردة مدرستنا بأكملها . .

لقد اضربت عن الاضراب يومئذ لانه صناعة مذكرة ، ولسنا اكثر من حناجر هتافة في موكب لم نختر شعاراته . إننا معزولات في غيتو نسوي إلا إذا تفضل رجل باخراجنا منه وترقيتنا الى مرتبة (عائلة) . . . في السينما حفلات خاصة بالنساء في المسابح فترات خاصة بنا . في المقاهي ثمة (حرملك) لنا ؛ وحتى في الجامعة كان احد اساتذتنا يصر على جلوسنا بعيداً عن رفاقنا الذكور لحضور (الشيطان) الدائم في اي لقاء مختلط ويطالبنا بوضع غطاء للرأس .

وسط تلك الصورة غير المشرقة ، التقيت وزملائي للمرة الاولى بسيدة اشرق حضورها في حياتنا ، هي الدكتورة رندة الخالدي .

كنت طالبة في السنة الجامعية الأولى ـ ادب انكليزي ، حين فوجئنا جميعاً بدخول (استاذة) الى الصف بدلا من استاذ ، واظن انها كانت اول امرأة تقف على منبر التدريس في جامعة دمشق ، ولكنها كانت بالتأكيد اول استاذة يراها صفنا الكبير (١٣٠ طالبا) .

كانت شابة جميلة جدا ، قوية الشخصية ، شديدة الثقة بالنفس فرضت احترامها على الجميع منذ الحصة الاولى . . . وظلت ذلك العام مصدر (سحر سياحي) ، يأتينا الضيوف من فروع الجامعة كافة ويحضرون درسها ، ليتفرجوا كيف تستطيع امرأة ان تضبط صفاً عسيراً دونما صراخ على طريقة الدكتور ! ، ودونما فصل بين الذكور (والحريم) ، كان تدريسها الناجح ظاهرة من ظواهر (التنويم المغناطيسي) او

(العلاج بالصدمة) . . . صدمة ان تبز المرأة الرجل في حقل ما ، لمجرد انها تملك المؤهلات ذاتها . .

ما زلت اذكر حتى اليوم صوتها وهي تقرأ علينا مقاطع (ماكبث) لشكسبير بهدوء وصرامة ورباطة جأش شبيهة بالليدي ماكبث . . ووجدت فيها الجواب العملي على سؤال طالما حير مراهقتي : ماذا نفعل نحن النساء ؟ وكان الجواب هو بكل بساطة : المطلوب ان (نفعل) ! . .

اطروحات تحرير المرأة كلها ، والدعوات التبشيرية الانسانية في هذا المجال ، وآلاف المحاضرات التنظيرية لا تقدم لقضية المرأة ما تقدمه بصورة غير مباشرة امرأة واحدة عاملة ناجحة . . .

بعدها بسنوات ، يوم وقفت انا في قاعة الصف ذاتها كاستاذة محاضرة في جامعة دمشق سرت في جسدي قشعريرة رعب خجل ، فاستحضرت ذكرها واستخرجت من اعماقي رنده في ذاتي واخرجتها من القمقم وتمنيت لو ان كل امرأة عربية تعي ذلك المصباح السحري داخلها ، وتطلق مارد عطائها من عقاله . .

وصحيح ان دمشق كانت تبدو في ذلك الزمان مفصلة (على قياس) الذكور ، لكنني كنت اسرق نصيبي منها ، واغتصب حصتي من الحياة والفرح والنزوات دونما وجل . . . ولم يكن في مقدور احد ان يحاسبني على حياتي الداخلية المفعمة بالانفجارات المضيئة كالألعاب النارية في ليلة حارة ، والمغامرات مع اشجار بيتنا الصيفي القروي (في الشامية على شاطىء نهر بردى قرب جديدة الوادي) واحصنة الوادي وكائنات الطبيعة كلها . . والسباحة في ماء النهر المثلج ضد التيار ، وتحدي بقية صبيان (العصابة) في مجال الامساك بالسلاطعين والافاعي والغطس في (الدوار) رغم (جني) شجرة الدلب التي شهدت موت اكثر من طفل في دوامة النهر امامها ، وإصابة الاهداف المتحركة (بالجفت) وغيرها من المهارات الحسية الصبيانية التي استمتعت بها في طفولتي ومراهقتي كأية مخلوقة معافاة تتوهج بحب الحياة بدءاً باللمس وانتهاء بالتفكير والتأمل . . وما زلت حتى اليوم احمل في جسدي تذكارا من تلك المرحلة بصورة توقيع ناري . . فقد كنا نمارس متعة اطلاق النار على فريق من الضفادع حين اصابني احد افراد (العصابة) بطلق في ظهري ، وانتشر (الخردق) تحت جلدي وكنت لحسن الحظ بعيدة نسبياً . . لن انسى ذلك الشعور الكاوي لحظة الإصابة : انك لا تتوجع وإنما تدهش . . . وحينها ترى دمك يسيل تمتلىء

بالشفقة على الذات . . . ويومها ركضت كحيوان جريح بعيداً عن مرمى نظراتهم . . لم اكن اريد ان يراني (الرفاق) اتوجع او ابكي . . واختبأت في الغابة حتى تجاوزت مرحلة الارتجاف والصدمة الاولى . . وعيت ان ذلك السلوك الطفولي هو قدري . . لن اكون في اي يوم قادرة على التوجع امام احد او استعراض جراحي او مواساتها عبر الآخرين ، إني من ذلك النمط الذي خلق ليتألم وحيداً في وكره . .

عرفت هزيمتي العاطفية الاولى يوم انكسرت الوحدة بين سوريا ومصر . فقد كانت الوحدة يومئذ مثل (زواج غرام) دونما تنظيم ديمقراطي و(انتداب) شقيق (باسم الحب) أو هكذا فهمت الحكاية في تلك السن المبكرة غير المثقفة سياسيا . . فترسخت في ذاتي تلك الحاجة الى حفظ الحرية والديمقراطية للناس في الظروف كلها . وفي كل لقاء او (احتكاك) بين فرد عربي وآخر ، وقطر عربي وآخر .

واتعسني فيما بعد ان الناس لم يتعلموا من درس (الوحدة المكسورة) ذلك شيئاً . . وحتى اليوم ، قلما يتطرقون في الاحتفالات التي تقام بهذه المناسبة الى ذكر الاخطاء التي نقلتها من الممارسة الى مقبرة التاريخ . كأن العرب يمقتون الاعتراف باخطائهم او تجنبها ، بل انهم يحرصون على تكرارها . . . وامام التقصير ، يرفضون التفسير ويعشقون التبرير . لقد تفتحت عيناي على الحلم الوحدوي الناصع ، ولكنني للاسف شهدت مصرعه مرات ، على مذبح رفض الديمقراطية والحرية كممارسات يومية لا كشعارات فقط . . . وبدلاً من الاعتراف بهذه الحقيقة نجد اللوم يوجه الى (الامبريالية) كبديل معاصر عن اسم (الشيطان) الذي كنا نتهمه في معرض الانسحاب من حقل المسؤولية .

● لحظات اللقاء الاولى بمدينة بيروت التي عرفتها غادة السمان في الستينات . . . وما هي الصورة التي كانت تحملها غادة السمان قبل ان تتعرف الى المدينة . . وماذا كانت تعني بيروت لغادة السمان . . هل انكسرت تلك الصورة المتخيلة ، ام ان عناصرها اختلطت وتشكلت من جديد ؟

ـ دمشق هي حبي الاول وجرحي الاول ، حبي العنيف المخلبي الاهوج الشرس المفعم بالحماقات وردود الفعل الطفولية الجنونية الغامضة ، التي تنوس بين التأليه والرفض منتهى العبادة واقصى الكراهية . .

وسوريا هي مسقط قلبي ومسقط رأسي . . وستبقى . .

وحتى اليوم لم اشف من ذلك الحب المجنون بكل ما يتضمنه من سلوك هزلي دامع

ارعن يتجاوز كل محاولة للتفسير او التبرير المنطقي .

ومنذ اعوام ، دعيت لحضور مؤتمر الادباء في دمشق ، ودعي زوجي لحضور مؤتمر الاقتصاديين الذي عقد فيها ايضاً وفي الوقت ذاته . .

كانت مصادفة كالحلم . . ان اذهب وزوجي معاً ، كل في حقله ، وأرى مدينتي بعد ذلك الفراق الطويل ، ضمن اطار اجتماعي وعملي لائقين .

واشتعلت حماسا وقدت سيارتي الى سوريا ، وكنت وزوجي نتسامر طوال الطريق، حتى بلغت مدخل دمشق. . بل وصعدت في الطريق الملتوية نحو جامعتها، والى يميني المتحف وإلى يساري مدرجها ، وفجأة التفت الى زوجي وسألته : هل تغضب اذا عدنا الآن الى بيروت ؟ قال بهدوئه التاريخي : « لا » . . وابتسم ابتسامته « الموناليزية » وارتدى الصمت .

وعدنا . ولم . .

بالمقابل ، بيروت هي حبي الواعي الهادىء وحلمي البارد كما احلام اليقظة الناضجة جميعاً .

جئت الى بيروت لانها تمثل لي واحة الحرية العربية . . . واذا كانت الاحداث قد هشمت الحلم مراراً، الا انها لم تهشم امكانية تحقيقه . . اكثر من اي وقت مضى أعي اهمية نجاح تجربة الحرية والديمقراطية في بيروت ولبنان ، لأنها اذا فشلت هنا فهذا يعني انه ربما لن تقوم لها قائمة في اي مكان عربي آخر . . وبيروت هي محك صدق العرب ، ومرآة قدرتهم على تجاوز مأزق الديمقراطية .

في حوار صحافي منذ تسعة اعوام تقريباً . كتبت « الحرية في نظري رئة الفن ، وبهذا المعنى انا سعيدة لانني تزوجت من لبناني ولانني انجبت طفلاً لبنانياً . وقد تكون لدينا مآخذ لا تحصى على هذا البلد ، ولكن ، بالمنظار النسبي ، وضع الحرية في لبنان افضل من وضعها حولنا . لبنان جزيرة الحرية او سرابها ، لكنه تذكير للمنطقة بالبدهيات الانسانية المنسية . اقدر في لبنان ذلك الحس الفطري بالديمقراطية والحرية . ما نستطيع قوله في بيروت لا نستطيع قوله في اية عاصمة عربية اخرى» .

من اجل ذلك جئت الى بيروت ، دعني ابسط الاشياء على نحو ما ، بعيدا عن الكلمات الكبيرة .

يوم كنت طفلة صغيرة في القرية ، عشقت حشرة مضيئة غريبة . .

كانت تطير في الحقول وتضيء في الظلمة ، فاركض خلفها اتأمل مدهوشة تلك

(الميني ـ نجمة) الارضية ، ويشتعل فضولي الطفل المفطور على التحليل : كيف ؟ من أي عضو ينبعث الضوء ؟ العينان ؟ اليدان ؟ اهي حشرة ؟ ما لونها في النهار ؟ هل هي من المخمل ام السكر ؟ هل تأكل ؟ تأكل البطاريات والاحجار الكريمة ؟ تنام في السراديب ام على اعمدة الكهرباء ؟ . .

صارت هذه اليعسوبة المضيئة هاجسي . انتظرها في الامسيات الحارة ، وألاحقها في ظلمات الحقول واتعثر واسقط واجرح ركبتي ووجهي ، ونظراتي لا تبارحها . .

وقررت الخروج من الدهشة الى الفعل ، وإلقاء القبض على واحدة منها ، واللعب بها متى شئت في البيت بدلاً من ذلك الركض المجنون في ظلمات الحقول . .

وذات يوم ، نجحت في الامساك بواحدة منها بعد طول عناء ، وعدت بها الى البيت . وضعتها تحت كوب زجاجي شفاف ، فبدت لي مجرد حشرة عادية ، معتمة ، ذبابية الصورة والحركة . . وبلا ضوء . . . وعند الصباح كانت تشبه اية ذبابة ميتة . ووعيت يومها ان تلك المخلوقة لا تضيء إلا إذا طارت وحركت جناحيها . . . ولن يكون بوسعي ان ارى طيرانها الليلي الباهر إلاّ إذا لاحقتها في ظلمة الحقول بين الاشواك والفخاخ . . . وتركتها مطلقة السراح .

وكذلك فعل الكتابة . . . لا ضوء دونما طيران . . . لا وهج في سجن الكوب الشفاف . . . الفنان ذبابة حين نقيده ، وضوء حين نطلق سراحه . . ولكن احداً لا يطلق سراحك . . . الركض الليلي في حقول الالغام قرار يتخذه الفنان بنفسه . .

وهكذا كان يوم قررت البقاء في بيروت لدراسة الماجستير في الجامعة الاميركية ـ كسبب معلن ـ ولتحريك اجنحتي في فضاء الليل كسبب حقيقي داخلي . . واخترت (الحرية) بدلاً من (الرعاية) العائلية والاجتماعية التي كانت متوافرة لي في دمشق .

الحرية والكتابة . . توأم سيامي ، لا حياة لاحدهما دون الآخر .

والكتابة جوهر حياتي ، ومحركها الداخلي . بدونها ارى العمر قشرة فارغة مثل هيكل صرصار اكله النمل . . ولنبتعد ثانية عن العبارات الكبيرة مثل (جوهر حياتي . محركها الداخلي . . الى آخره) . . .

بكل بساطة ، فعل الكتابة يسحرني منذ الطفولة . في مراهقتي إذا غازلني شاب (شفهيا) لا أصدق . إذا كتب رسالة ، صدقته !! . . . لدي يقين مضحك بأن الإنسان قد يكذب اذا تكلم لكنه لا يستطيع الكذب اذا كتب . كان فعل الكتابة طقس

سحري مقدس له حرمته وكل انتهاك له يجلب لصاحبه اللعنة .

ثمة حساء يعدونها بواسطة معجنات لها شكل الحروف . اذهل امامها ولا اجرؤ على ابتلاعها . اقرأ في حروفها رموزاً وإشارات كما تقرأ الساحرة في المندل . . . الكلمة المكتوبة تعني لي اكثر من المسموعة . . .

تركت دمشق الحماية الاجتماعية ودعم والدي المادي والمعنوي وجئت الى بيروت لأعمل واستقل واعيل نفسي واختار حقولي وطيراني . . . عملت في البداية استاذة في مدرسة ثانوية بالشويفات ثم وجدت عملاً في الصحافة ، فانتقلت لأنام في (بستاني هول) القسم الداخلي بالجامعة الاميركية ، وادرس واعمل كأي مخلوق يلاحق مصيره مستقلاً عن المكاسب المتوارثة .

وبعدها تابعت طيراني الليلي في اقطار اخرى نائية . . واقمت في لندن وعملت ودرست . فازدادت قناعتي بان لكل طير فزاعه المفضل ، وهو مهما طار ودار لا بد له من فزاع طيور يأنس به ، وحقل يألفه .

وعدت ثانية الى بيروت حقلي المفضل . . . وبدأت علاقة (جادة) مع لبنان ، الخطوة الأولى فيها معرفته . . وساعدتني مهنة الصحافة .

فكنت احمل الكاميرا واطوف في الوطن من مكان الى آخر ، من عكار الى الجنوب الى البقاع الى اللقلوق ، وحين تخذلني السيارة في مناطق بلا طرقات ، اركب الحمار والاحق فضولي (كما فعلت في وادي قنوبين) . . . حصيلة ذلك التعارف مع الوطن جمعتها في كتابي « الرغيف ينبض كالقلب» . الذين تعرفوا الى بيروت داخل المطاعم الفخمة والمقاصف الراقصة لا يعرفون شيئاً عن جوهر هذه العاصمة وحقيقة الكتل البشرية التي تضطرم داخلها . . وتعارف الفنان مع اهل لبنان لا يمكن ان يتم في المقهى او (البيف ايتر) او (الكاف دي روا) ولا بد من الطيران الليلي إلى مغاور احزانهم وهمومهم وسراديبهم وخيامهم وبيوتهم المثقوبة بالخيبات ومياه المطر والاهمال . ولعل روايتي « بيروت ٧٥ » لم تكن (نبوءة) بالحرب والانفجار . بقدر ما كانت حصيلة حسابية باردة لدراسة ميدانية مباشرة !

● الحرب الأهلية اللبنانية صنعها الرجال . ومن حسن حظ المرأة ـ في لبنان ـ انها بقيت على هامش هذه الحرب . . ربما من حسن حظها ايضاً انها (المرأة) تبقى بعيدة عما يسمونه « صناعة التاريخ » عموماً . . . ويقولون : الرجل منذ القديم صائد او محارب او . . . بينما المرأة تخيط او تغزل . . . وتصنع الانتظار والوقت . . هل تشعر او

شعرت غادة السمان برغبة ما في تغيير وجود او حضور المرأة بالمعنى الذي يقصده السؤال ، لا بالمعنى الذي تحاوله او تقصده « جمعيات او مؤسسات حقوق المرأة » ؟

ـ لا اعتقد ان المرأة قادرة على غسل يديها من دم بيروت . . . ربما كان ذلك ممكناً في الاشهر الأولى للحرب . . . اما اليوم فلا ،

صيغة سؤالك تتضمن دفاعاً نبيلاً عن المرأة لا تستحقه ، وتوكيداً لشائعة مفادها ان المرأة ضحية من ضحايا هذه الحرب كما الطفل . انا ارى المرأة مسؤولة عما حدث بصورة غير مباشرة . انها لم تحمل السلاح ، لكنها شجعت فعل القتل باعجابها الأخرق بالقوة الجسدية وتحريضها للذكر (القبضاي) زوجاً كان او ابناً او جاراً . لقد ابدت قبولاً ضمنياً لمقولة حل المشاكل بالقوة لا الحوار ، ولم تبد اعتراضاً إلا إذا سقط ابنها قتيلاً لا ابن المرأة الأخرى . اي ان الاعتراض كان دوماً على الخسارة الفردية ، لا على خسارة الوطن ، والرفض كان موجهاً ضد موت معارفها ، لا موت الانسان في المطلق .

وصحيح ان المرأة لم تسرق ولم تنهب ، لكنها بالتهابها امام الثراء المادي وشهيتها المفرطة للامتلاك كانت تشجع الرجال على السرقة والنهب لإرضائها . نادرات هن الزوجات اللواتي رفضن انفاق المال الحرام ، او المساهمة في اخفاء المسروقات والتستر على الجرائم التي تدر نقوداً . ان عشق المرأة بوجه عام للتشاوف وكماليات الحياة والرفاهية والثراء كان شريكاً غير مباشر في كل انتهاك لحرمات الآخرين المادية والمعنوية . . . إلا فيما ندر . ولم تكن المرأة تحتج إلا حين يسرق بيتها هي .

بالمقابل ، لو رفضت نساء هذا الوطن الحرب ، هل كان يمكن ايقافها ؟ لا ادري . . ولكن ذلك المناخ من الهيستيريا الجماعية المتكالبة على القتل والسلب والنهب كان سيجد كابحاً ما ، ورادعاً معنويا يساهم في توكيد وجود المقاتل الشريف الذي كان يموت حقاً من اجل يقين انساني ، وفرزه من بين آلاف اللصوص المندسين في صفوف الثوار الانقياء المشابهين في غرامهم للقضية بـ (عطيل) الذي احب جيداً بصدق وجنون ، ولكنه لم يكن يعرف (كيف) يحب بحكمة . . حتى قتل (موضوع) حبه . .

لقد لعبت المرأة في احداث لبنان دوراً غير مباشر وغير مشرف أحياناً ، وبقيت ـ نسبياً ـ بمنأى عن دفع الثمن الذي دفعه الرجال .

وجوهر الخطأ كامن في « حضور المرأة » الهامشي ، بحيث لا تشارك في القرار مباشرة ، وبالتالي تتنصل من المسؤولية ، وشهودها الرجال .

اتمنى للمرأة وجوداً مختلفا في المجتمع ، يجعلها فاعلة ومسؤولة . فالمرأة لم تصنع حقاً في اي يوم الانتظار والغزل والحياكة ، بل كانت دوماً تؤثر في مجرى صيد الرجال وتوقيت رحلاته وكمية صيده . . وقتلاه وغزواته . . وحروبه .

اتمنى لها حضوراً علنياً واضحاً بمعنى عدم التنصل من المسؤولية ، والخروج من الخبث النسائي الصغير الذي يصور المشاركة على انها مسؤولية رجالية ، وهبة (وزارية) مثلا ، يمنحها رئيس الوزراء لسيدة ما . . . هذه كلها مسرحيات اجتماعية تهواها جمعيات (شحادة) حقوق المرأة . . .

ارى نقطة الانطلاق في الموقع المعاكس تماماً : ان تعمل المرأة حقاً . ان يكون العمل مفتاح وجودها كما هو بالنسبة الى الرجل . ان يأتي يوم تبدي فيه المرأة دهشتها الصادقة - حتى الرفض - لان امرأة عاملة اخرى تركت (الوظيفة) استعداداً للزواج . . . تماماً كما قد يدهش الرجال اذا (استقال) احدهم من عمله بحجة انه مقدم على الزواج - هذا اذا لم يعتبر مجنوناً - .

لن تنال المرأة قضمة من رغيف الحرية إذا لم تشارك في زراعة قمحه وخبزه وجلب ملحه بغير التحريض و(النق) واستعمال الاولاد في معرض الابتزاز .

اشعر باستمرار بالرغبة في تغيير وجود المرأة (الوجودي) ، ورفع (حضورها) الى مستويات اعلى من الوعي الانساني . لذا لا اشاركها وفودها الذاهبة الى الرجال مطالبة بذلك ! . . فهي لن تملك يوماً الا ما تقوى يداها على الامساك به . . ما ترفض المرأة ان تعيه هو ان احداً لا يملك ان يعطيها شيئاً او يحرمها من شيء. عن الإمام رفاعة الطهطاوي في « المرشد الامين لتربية البنات والبنين » قوله « ان تعليم المرأة يمكنها عند اقتضاء الحال ان تتعاطى من الاشغال والاعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر طاقتها وقوتها . ان فراغ ايدي النساء عن العمل يشغل السنتهن بالاباطيل وقلوبهن بالاهواء وافتعال الافاعيل . فالعلم يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة . واذا كانت البطالة مذمومة في حق الرجال ، فهي مذمة عظيمة في حق النساء . ان المرأة التي لا عمل لها ، تقضي الزمن خائضة في حديث جيرانها وفيما يأكلون ويشربون ويفرشون ، وفيما عندهم وعندها وهكذا » .

العمل وحده هو المفتاح ، وحده يجعل الانسان حراً في ان يخسر او يغامر او يربح .

لا ادري كيف تطالب بعض النساء بحمل الاوسمة السياسية ، من دون حمل المسؤولية .

المرأة غير العاملة تتوهم دوماً ان الرجل يضطهدها لانها قاصرة عن وعي العالم المحيط بها بمعاني الكلمة كلها .

لن يكون بوسعك ان تفسر لها كيف ان الحرية بدون مسؤولية فضاء بلا اتجاهات ، وخواء مطلق الفراغ .

سلوك الرجال في نظرها لا يطاق . لغز . وهي لن تعي يوماً المدلول الإنساني لافعاله (القاسية) ، او (الغامضة) ، او (غير الوفية) او (التافهة) .

انا لا ارى الجنس البشري مقسماً الى ذكور وإناث ، وإنما إلى (الذين يعملون) والذين (لا يعملون) . . . وتاء التأنيث ليست عذراً للتسول (الارستقراطي) ، او فرض (الاتاوات) على الاب والزوج واستيفاء (الخوة) من المجتمع . .

وستظل المرأة حضوراً هامشياً طفيلياً اذا لم تقم بتلك النقلة من خانة (المستهلك) الى (المنتج) . . . ومن مقاعد المتفرجين الى الحلبة .

قال الفيلسوف العربي ابن رشد : « ان حالة العبودية التي انشأنا عليها نساءنا اتلفت مواهبهن وقضت على قدراتهن العقلية ، فحياة المرأة تنقضي كما تنقضي حياة النبات » .

وفيلسوفنا على حق ، وليس ادل على ذلك من حال المرأة نفسها ، وفهمها القاصر لفكرة الحرية ، وتوهمها ان تحولها من نبات الى إنسان يتم بمرسوم جمهوري . . وينتهي الأمر ! . .

ولكن بعض التجمعات النسائية تصور القضية باستمرار ضمن هذا الاطار . . . بعيداً عن الجوهر الذي يتطلب من المرأة تركيزاً على « تطوير الذات وصناعتها » قبل التطاول على « صناعة التاريخ » . رسولنا العربي قال : « ما اكرم النساء إلا كريم ، ولا اهانهن الا لئيم » . . . ولكن ، ما حيلتنا مع نساء يحترفن إهانة الذات ؟ . . .

١٩٨٣/٥/٦

سهام الشامي تستجوب

● ليست مهمتي اجراء عمليات تجميل للطبيعة البشرية .
● دفعنا ثمناً باهظاً لأن الفوضى ركبت حصان الحرية .

قبل أن تكون اديبة ولا ألمع ، فهي اولاً وقبل كل شيء ؛ انسانة ولا احلى . . . وقبل ان تشدك بكلماتها المنسوجة ، فهي تأسرك بنبراتها التي . . . ولا اعذب ، الرقة فيها آية ، والحنان امثولة ، والحب عندها حياة . . . ما تكاد تسمع صوتها ، حتى يصيبك مس ، فهي أشبه بتيار كهربائي يهز من دون ان يصعق ، بعيدة عن التعقيد ، وبساطتها لا متناهية . سرها انها صادقة ، صريحة ، وجريئة . عندما تكتب ، لا تتصنع ولا تتكلف ، وتسترسل عذوبة تجعلك تعيش معها ولا تريد منها انفكاكا . . غادة السمان ، من لا يعرفها ؟ اديبة مجلية ، وشاعرة مبدعة ، وقاصة ملهمة ، وكان لي معها هذا الحوار الشيق :

● غادة الشاعرة ، تفترس الكلمات لتعيش متوجة على قوافيها ، تسحر ، تتأوه وتفتن بحب ، فلا يريد القارىء الا ان يستمر عائشا معها ، وحيا فيها . ما سر غادة الشاعرة الكبيرة ؟

ـ ثمة موجة صوتية « لا مسموعة » ،يتقن قلبي الانصات اليها والتقاطها . فالكلمات التي لا تقال هي ابجديتي . . . تدوينها حرفتي ، ثمة مشاعر مشحونة بالوحشة والفجيعة والغربة والتوق الغامض للدفء الانساني . . . مشاعر تقطن كبرياء الصمت ورحم السرية . . أعيها باستمرار كما الرادار الروحي ، وتزلزلني كهاربها . ثمة قلوب تعلن العصيان على الدروب السالكة ، وتفتش في الظلمات عن لافتة « ممنوع المرور »لتركض فيها ، وتتسلق الدهشة بوجوه ملطخة بالحبر والنزوات . ثمة رغبات سرية تقرع اغطية توابيتها ، وتنادي الشمس بصوت شجي بلا حروف . . . توقظ النوم ، وتهيم في

الشوارع تدق النوافذ والسطور . . . يتوهمها الناس صوت الريح . . . ثمة لحظات صدق محكومة بالسجن مع الاشغال الشاقة : اي محاولة النسيان . وثمة احاسيس محكومة بالاعدام رميا بالرصاص مع (كاتم الصوت) طبعا . . . مذبوحة على (الحواجز) التقليدية كلها . . ملعونة الهوية . . مرصودة للخطف والقنص الاجتماعي ، والقصف الجماعي . ثمة حقائق انسانية ممنوعة كما الخطيئة ، وصحو محرم تحريم الافيون ، وانفجارات داخلية تتفتح فوق بركة الليل الناصعة السواد ، ورودا حالكة البياض ، وتتكاثر بوحشية ، معمدة بالتنصل العلني منها . . ثمة شهية لمغادرةموضعك فوق رقعة الشطرنج الى البحر . . . الخروج من القوارير و(الجوارير) والملفات والاوعية والانابيب (المستطرقة) الى الصحراء . . . الهرب من السرداب الى الافق . . . ومن التجول في جحر الى الركض في شعاع نجمة ذات ليلة كونية . . . هذه مادة عملي . . . انني ببساطة احاول تسليط الضوء على كنوز النفس البشرية (العادية) ، ولكن (المقموعة) ، وأحاول استخراج الشعر الكامن في الحياة اليومية للناس جميعا . انظري الى قطرة الماء، سترين قطرة ماء. ضعيها تحت المجهر، وحدقي جيدا، تجدين مئات (الحيوات) النابضة المتفجرة بالاسرار والألوان والمدلول . . . الشيء ذاته ينسحب على قطرات النفس البشرية وأمطارها وعواصفها ونزفها . . . كل انسان قصيدة ، والفنان يحاول « تهجئتها » . . .

● **غادة السمان الانسانة رقيقة ، حية حيية ، لكن على عنفوان ، معطاءة على بذل كأنها تعيش للاخرين ، فهل تتوافق غادة الشاعرة مع غادة الانسانة ؟ وكيف ترين علاقتهما ؟**

- ثمة شائعة يصرّ الفنانون على نشرها حرصا على صورتهم (الدعائية) ، يؤكدون فيها التطابق التام بين فنهم وشخصهم ، اي بين الذات و(الموضوع) ، بشكل لا يتطرق اليه الخلل ولا تفسده الهفوات . الفنان لا يعيش للاخرين ، انه يعيش الاخرين . . . انه لا يكتب (لهم) ، بل (يكتبهم) ، واعترف لك بأن العلاقة بين غادة الكاتبة ، والانسانة ، لا تخلو من التطابق احيانا ، لكن الامر ليس دائما على هذا المقدار من البساطة ، بعبارة اخرى ، الفن ليس بالضرورة صورة صادقة عن الفنان ذاته . ويروي الاديب البريطاني الكبير الدكتور جونسون حكاية طريفة عن معجبة بقصائد الشاعر تومسون ، احبته من خلال اعماله ، لانها استخلصت من سطوره صورة رائعة عنه وهي : انه عاشق كبير ، وناسك زاهد في امور الرفاهية ، ورجل يحب السباحة وملامسة الماء . ولكن الدكتور جونسون يؤكد بأن الشاعر اياه كان لا يميل الى الحب ولا

الاستحمام - ناهيك عن السباحة -! ، ويعشق الترف المادي والملاذ الدنيوية ، ولا يفقه من الحب غير الجنس العابر ! وفي كتاب « نظرية الادب » ، تأليف رينيه ويليك واوستن وارين ، نجدهما يؤكدان ان الفن ليس تعبيرا عن الذات بكل بساطة ونقاء . وحتى حين توجد صلة وثيقة بين العمل الفني وحياة الكاتب ، يجب ألا تفسر هذه الصلة على انها حالة تطابق بينهما . هل يعني ذلك انني اتنصل من فني على الصعيد الشخصي ؟ انني لا اغسل يدي من دم ابطال قصصي ، ولا اطالب النقاد بشهادة « براءة ذمة » من جنونهم وشرودهم ، لكنني اعترف ايضا ان مرآة الفن لا تعكس صورة الفنان وحده ، بل صورة الآخرين مرتسمة في عينيه . . . بسموهم وسقطاتهم .

● الحب عند غادة عجيب غريب ، تحب لدرجة التملك ، وفجأة تستغني عن حبها لتتوه بعيدا ، بحثا عن حب آخر . . . وكأن قلب غادة مشاع ، هل هذه هي الحقيقة ، او انها البرقع الذي تستتر به غادة ، الوفية لحبها الكبير ؟

- الخيانة هي صدقي . والحب عندي عجيب غريب لانه كذلك ! . . . هشاشة العواطف الجميلة الملونة كأجنحة فراشة تحيا ليلة واحدة ، قابلية المشاعر للعطب ، وسهولة انكسار الحكايا الكبيرة ، هذه كلها امور واقعية يجب الاقرار بها . الحب حتى القتل ، « الحب من الوريد الى الوريد » ، الحب الى درجة « ختم الذاكرة بالشمع الاحمر » ، الحب حتى شهية الايذاء ، الاخلاص غدرا ، والموت صمتا ، وتلك اللحظات الغامضة المشحونة بالمشاعر العميقة المتضاربة لا تخجلني . . . « السباحة في بحيرة الشيطان » لا تخيفني . . طبول القبيلة ومراسيم الاعدام لن تجعلني ابدل حرفا واحدا من موضعه . ترى هل من الضروري التنويه بأنني اتحدث عن مادة عملي ككاتبة ، لا عن نفسي كمادة صحافية ؟!!! . . هل من الضروري التذكير باستمرار انه لا يغني الادب العربي ان تروي كل اديبة حكايا حبها واخلاصها او خيانتها الى آخر المعزوفة ؟ . . . انني هنا اتحدث عن الحب في اعمالي لا عن الحب في حياتي كي لا يضجر القراء . . . فحب الملك ليس « ملك الحب » . وحب الفنان ليس « فنية الحب » المتجلية في سلوك ، المتقمصة شخصه الكريم ومحبوبه . . . والكاتب ليس بالضرورة رقبة تفتش عن اسنان ! . . . الحب في اعمالي اريده باستمرار صورة عن حقيقة المشاعر البشرية الدفينة ، التي يتحاشى الناس غالبا مواجهتها في ذاتهم ، بل وينكرونها . . . انني لا اتحاشى رصد تلك اللحظات الغامضة ، او الشاذة ، وليست مهمتي اجراء عمليات تجميل للطبيعة البشرية . . . انني ببساطة احاول فهمها ! . . . انا لم اخترع

الجنس ، ولم اخترع الحب ، ولا الكراهية ، ولدت فوجدت هذه العناصر حولي ، وكل ما افعله هو انني لا اتجاهل وجودها في الحياة العربية كما تفعل بعض الكاتبات والكتاب (لا النعامة ، فالنعامة تقاتل عكس ما هو شائع !) . اتحدث عن الحب كجزء من دعوتي لاخراج حقائق حياتنا من دهاليز الحريم الى ضوء الشمس ، بحيث تصير تلك المحركات الاساسية لحياتنا طاقة ايجابية غير مهدورة ، تنمو وسط مناخ الحوار والنقاش (من دون اطلاق رصاص) . . . ونتفق على مفهوم « للشرف الرفيع »بعيدا عن الرياء والخبث الاجتماعي ، ومن دون ان (يراق الدم) على جوانب الصفحات والحوار . . فهل هذا ممكن ؟ او ان برقع الكذب ما زال فضيلة اجتماعية ؟ هل الاخلاص الزوجي هو ان يخون الانسان حقيقته ؟ . . . وهل حفظ المظاهر هو الوفاء الوحيد الممكن ؟ انا لا اتقاضى راتبا من (جمعية تبشيرية) لأزوّر النفس البشرية . الفنان (عميل) للحقيقة ، و(جاسوس) للمعرفة . . . مكافأته الوحيدة ، معرفة المزيد عن كوابيس القلب البشري وكوارثه وانهياراته ! . . . ومن وجهة نظر (قلمي)، الحب فأر اختبار لا بد من تبديله لضرورات فنية ! . .

- ● **غادة كتبت معاناة عمرها الملتهبة في بيروت ولا اروع . بيروت تعود لسابق عزها ، ولو بخطى وئيدة . اين غادة الآن من عودة بيروت ترتدي ثوب زفافها ، وبيروت الملتهبة بنار الحقد والكراهية ؟ وماذا تعني لك بيروت اليوم ؟**

- تعني بيروت لي اليوم ما كانت تعنيه يوم اخترتها : الحرية ، الديمقراطية ، او على الاقل امكانية توافرها. جئت الى بيروت لانها تمثل لي واحة الحرية . . واذا كانت الاحداث المتعاقبة في السنوات التسع الاخيرة قد هشمت الحلم مرارا ، الا انها لم تهشم امكانية تحقيقه . اكثر من اي وقت مضى اعي اهمية نجاح تجربة (الحرية والديمقراطية) في بيروت ولبنان ، كنقيض (للفوضى وللدكتاتورية) معا ، واعلق املا كبيرا على ازدهار براعم الحرية ، لان فشل التجربة هنا قد يعني انه لن تقوم لها قائمة في اي مكان آخر . اكرر : بيروت هي محك صدق العرب ، ومرآة مقدرتهم على تجاوز مأزق الديمقراطية . هل (عودة الروح) الى بيروت سيرافقها هذه المرة عودة الوعي وموجة تمييز بين (الحرية) و(الفوضى) ؟ فالمطلوب حرية الفكر لا فوضى القتل . لقد دفعنا ثمنا باهظا لأن الفوضى ركبت حصان الحرية . . . ولكن ، هل سنقتل الحصان ؟

● **ايام المحنة وسنواتها ، كانت غادة على عمل مستمر وانتاج متواصل . هل كان ذلك لنسيان المتاهة ، والخروج منها ، ام لسبب او اسباب اخرى ؟**

- بكل صدق : لا أدري . هـل كانت مصـادفة ، أن التقت سنـواتي المخصبة فنيـا ، بسنوات الجمر والرماد في وطني ؟ او كنت - في اللاوعي - اهرب من القنبلة اليدوية الى المحبرة ، ومن الالم الى القلم ؟ . . . هل كتبت وسط دوي الانفجـارات لأحافظ عـلى وعيي من الجنـون الداهم ؟ ام كتبت لاخـدر نفسي ؟ هـل خلقت عـالما من الابـطال والحكايا لاهرب من عالمي ، ام لاجسده وارصده ؟ لن اعرف ابدا .

● **ماذا تعمل غادة اليوم ، وما تنوي فعله غدا ؟**

- كأهل هذا الوطن جميعـا ، اعمل في حقـل « الترميم » . . . انجـزت ترميم الـزجاج المكسور والجدران المهدمة ، وما زلت احاول اصلاح المعنويات المثقوبة ، و(كريستال) الحلم المكسر ، وفخاريات القلب المدمرة . . تسألين ما انوي فعله غـدا ؟ . . . « الغد يهتم بشأنه يكفي كل يوم شـره » ذلك يلخص شعـوري في هذه اللحـظة . . . اما اذا كررت السؤال علي غدا ، فلا أدري مـا سأقـول . . . يكفي كل يـوم شره !!! . . . . واسئلته . . . واجوبته . . . وحواره ! . . .

١٩٨٧/٨/١

اوراس مخلوف تستجوب

● ابـطالي يكتبـون أنفسهـم وانـا أرصدهم واتجسس عليهم .
● في الحلم تخلع الاصوات كماماتها وتـركض حـافيـة عـلى شـواطىء الابداع .

غادة السمان من اكثر الادباء العرب رواجاً وانتشاراً ومن أكثرهم قـدرة على ايصال صوتها ببساطة اشبه ما تكون ببساطة شروق الفجر وطعم الخبز. هذا الصوت الطالع من هموم وطنها العربي وقضاياه ، ومن هواجس المرأة وتطلعاتها ، يكتسب بعداً خاصاً في كون صاحبته امرأة جريئة تقول المباح . . حتى مطلع الصباح . كشهرزاد هي يتحد صوتها بالرواية كما يتحد جناح الطير بالهواء . يصير الاثنان واحداً . هكذا غادة السمان لا فارق بين ما تقول وما تروي ، وما هي عليه . ويتأكد ذلك في اسلوبها البوحي الحميم الذي يطالعنا في كل ما تكتب . والذي طالعنا هنا في اجاباتها الصريحة والمشوقة التي أدلت بها ، كاشفـة عن جوانب عـديدة من حيـاتها الـداخلية : عـلاقتها بـالحب والحبيب والأمومة والأولاد والأسـرة والحلم وطائـر البوم . . الى ذلـك يدخلنـا هـذا الحـديث مع غـادة السمان الى كـواليس عالمهـا الروائي حيث نتلمس عـلاقـاتهـا مـع شخصياتها الروائية وأبطال قصصها الذين « يكتبون أنفسهم بأنفسهم » كما تقول .

● تروي احدى قصص « الف ليلة وليلة » ان رجلا وجد نفسه في قصر فأعطي مفتاحاً لأربعين غرفة وسمح له ان يفتح الغرف كلها ما عدا غرفة واحدة ، لكنه لم يستطع ان يقاوم رغبته امام المغلق . لو كانت غادة السمان مكان هذا الرجل ، هل كانت تتجرأ على فتح الغرفة الاربعين وهي القائلة بـان « للأدراج المغلقـة سحراً يتغلب عـلى كل حس » وانها كـانت في طفولتهـا تعالـج الادراج المغلقـة (سـراً) في بيـوت الاقـارب والمعارف ؟

ـ لم أعد اعالجها سرا . صرت افعل ذلك علناً اينما وجدتها واتقاضى مقابل ذلـك راتباً

باهظاً ! . . انها حرفة الكتابة ، ومحاولة كشف اسرار النفس البشرية . . . والفنان لا يعاقب على (سرقاته) لكنه يعاقب اذا لم يتقنها ! هل اتجرأ على فتح الغرفة الاربعين ؟ اي اديب يستطيع مقاومة سحر المعرفة حتى ولو عوقب بدحرجة صخرة « سيزيف » او سمل وهج الحقيقة عينيه كما حدث لـ « بروميثيوس » ؟ الفن محاولة بشرية متواضعة لملامسة شمس غرفة الاسرار وتعرية صناديقها (المختومة بشمع اللعنة الاحمر) للضوء . . . وتفكيك ألغاز الصدأ الحي ، لحروف ازمان مكتوبة بالدم والمعادن المائية الغامضة . .

ان جوعي للمعرفة لا يوازيه غير وعيي باحزان ما يقع خارج تلك الغرفة المحرمة الشهية ، فأنا من جيل فتح عينيه على مأساة ضياع فلسطين ، وانكسر صباه على حد شفرة هزيمة ١٩٦٧ ، وعايش نكبات هذا الوطن العربي، احزان ما كان، ومخاوف ما قد يكون . . في زمن كهذا ، تعجز حروفي عن ارتداء الدانتيل والذهاب الى غابة النسيان لصيد الفراشات الملونة ، والدم يسيل على اطراف اصابع زمننا العربي .

ما زلت اشتعل شهية للمعرفة امام الغرفة الاربعين ، لكن واقع امتنا يخطف اليه قلبي وحروفي . . لا استطيع مثلا ان ارقب على شاشة التلفزيون عربدة الصهاينة واحتفالاتهم بمناسبة (عيد) دولتهم العنصرية اسرائيل ، العيد رقم ٣٩ ، (كما كنت افعل منذ دقائق) ، ثم انفض عني المشاهد كريش الطيور واتابع الكتابة عن الغرفة الأربعين دون ان الحظ سجادة الارض التي تكاد تسرق من تحت اقدامي . مأساة الفنان العربي (وميزته في آن) هو ان يحاول سبر تلك الغرفة الشهية دون ان يفقد ارتباطه بما يقع خارج عتبتها . ولعل ذلك الهاجس المسكون بهموم ملايين القلوب العربية يمنح حروفه مذاقاً خاصاً شرساً ومتأججاً . . . وطوبى لمن يحترف النوم على عتبة تلك الغرفة ، والشخير على ايقاع النرجسية لا مبالياً بما يدور خارجها او يقع داخلها !!! . . .

● **هل تصدقين الابراج ؟ ما هو برجك ؟ وهل تؤمنين بالصدفة والحظ ؟**

ـ بالتأكيد لا اصدق الابراج ، خصوصاً وانني كنت اكتبها ذات يوم لاحدى المجلات التي عملت بها !! . . . ولكنني ايضاً اتبناها دفعة واحدة وباستثناء «الابراج العاجية » ، الابراج كلها لي . . . وكل انسان هو الابراج كلها . . . أنا « الدلو » حينما تكون انفاسه بحراً من الاسرار . . . وانا « الحمل » حين يبسط حنانه غابات عطاء . . . وانا « العقرب » اذا لدغني الزمن بغدره ، وانا « الثور » الخرافي الذي يحمل الكرة الأرضية على قرنيه وهمومها في قلبه ، وانا « الجدي » الاسطوري الذي يطير بالابجدية العجوز

إلـى قمم السحر رغم قصف الذاكرة والنزوات وحتى الأحباب ، وانا « القـوس » بين يدي حبيبي اذا عزم ، وانا « الحوت » الذي يعود دوماً الى وطنه ليموت . . هناك .

تسألين هل أؤمن بالصدفة والحظ ؟

الحظ يا سيدتي هو الاسم الذي يطلقه البعض عـلى نعمة لا يستحقونـها ، او لا يستحقها سواهم في نظرهم ! وكل ما حصلت عليه في حياتي كدحت لاجله . واعتقد ان الحظ الكبـير هو العمـل ورفض اليأس . . . انني اؤمن بتصنيـع الصدفـة وترويض الحظ .

● اسم غادة السمان مرادف لما هو غير مألوف ، حتى في علاقتها مع الحيوانات ، فمن بين الطيور مثلا ، طائر البوم هو طائرها المفضل . ما الذي يلفتك في هذا الطائر ؟

- يلفتني مـوقف الناس منـه : الكراهيـة المتوارثـة والتحـامـل المسبق . اكـرر : انـا لا اتفـاءل بالبـوم ولا اتشاءم منـه ، لكنني اراه بعين جـديـدة فـاحب عينيـه الـواسعتـين الحزينتين (تبارك خالق هذا الكون) ، اللتين يخافهما البعض لانهما تذكرانهـم بآثامهم . النـــاس يسقـطون ذنـــوبهم عـلى البـــوم . بعضهم يتـوهم ان سبب مـــوت طفله هـو زيـارة البوم ، لا التغـذية الـرديئة والفقـر والافتقار إلى الـدواء . . . وثمة من يعتـاش من تغذية هذه الاوهام ، لإلهاء صاحب العلاقة عن مواجهة العدو الحقيقي ، وتحميله المسؤولية ، بدلا من القاء عاتقها على قـوى ما وراء الـطبيعة الغـامضة . . . واذا كـان المألوف هو تبني الخرافات هرباً من مواجهة الواقع المرير فأنا اقع خارج المألـوف ، وفي صدري مجاعة لمواجهة الواقع بلا اقنعة الاوهام المتوارثة . . وكرمز لذلك الموقف قررت ان يكون شعار « منشورات غادة السمان » التي اسستها عام ١٩٧٧ طائر البوم . . . وها هي معظم كتبي في طبعتها التاسعة ونجاحها ليس مديناً للبوم ، كما انها لـو فشلت لما كان البوم مسؤولا عن ذلك . . . المألوف احياناً هو اخطر المخدرات . . انه هيرويـين الاستسلام بدل الرفض العفوي للبشاعة المتوارثة او المكتسبة والرغبة في مقارعتها .

● هل تحب غادة السمان ان تحلم ؟ ما هو أجمل ما تحلم به ؟

- احب كثيراً ان احلم ، واجمل ما احلم به هو الصحو .

● كيف تستطيع امرأة حالمة ان تتحمل العودة الى اليقظة ؟

- لا استطيع ان اتحمل حلمي اذا لم احمله لاعود به الى اليقظة ، واعمل على تحويله الى واقع ملموس . .انا حالمة من نوع خـاص اداتها الحقيقـة المعاشـة . . . لست من اتباع « الحلم للحلم » بل « الحلم للبناء » . **هل كان يشتعل « برج ايفل » كل ليلة دانتيـلا**

معدنياً ضوئياً لو لم يحلم المهندس السيد ايفل ذات لحظة جنون بتلك المنارة التي تحول الحديد الى مادة شفافة ؟ . . . الاعمال الجميلة كلهـا في تاريـخ الانسانيـة لم تكن ثمرة تلقيح اصطناعي في أنابيب المصالح العملية الجامدة ، بل جاءت نتيجة زواج جميل بين الحلم المجنون وشهية العمل في رحم العطاء . .

أنا حالمة حتى ثمالة اليقظة لا الاغماء . . . يمتعني ان احلم بالصحو لأن معظم ما في حياتنا مكرس لتخدير اصواتنا الداخلية ، وحتى الذين نحبهم يتحـولون احيـانا الى جرعات منوّمة وكمّـامات وقفـازات مخملية لكنهـا قيود . . . في الحلم تخلع الاصـوات كمّاماتها وتركض حافية القدمين على شطآن الابداع . .

● **قلت مرة « يخيل الي انني اعشق الحب واكره الحبيب . الحب يطلق سراحي والحبيب يقيدني » هل يمكن ان يكون ثمة حب بلا حبيب ، ثمة نغم بلا وتر ؟**

ـ احلى الانغام هي تلك التي تسري بلا وتر ، وتمر بـك كحلم نصف منسي ، وكوجـه حبيب خلف نافذة قطار مسرع في ليلة ماطرة . . . الموسيقـى هي محاولة بائسة لالتقاط تلك الموسيقى الكونية الخفية المرهفة التي تبث باستمرار رسالة المحبة وتومىء الى الضوء والحنان والود ، وتبوح باسرار مدارات كواكب النفس البشرية والكون . .

لقد اخترع البشر الوتر في محـاولة بـائسة لتقليـد تلك الموسيقى الكـونية التي قلما نتوقف عن عدونا في سباق الفئران لننصت اليها ، وهي التي تصدح في اعماق كل انسان ويخفت صوتها كلما ابتعدنا عن الطفولة والحب والبراءة والطبيعة ولوّثنا الزمن بالهموم او الشهوات الهزلية . . . بيتهوفن (الاطرش) كان الاقدر على سماعها وقضى عمره وهو يحاول ان يكتبها لنا على الورق . . . والحب كالموسيقى الخفية . . . واولئـك الاحباب الـذين نتعلق بهم واحداً بعـد الآخر (او بـواحـد منهم)هم سفـراء من مملكـة الحب الشـاسعة . . . يـوقظون اعمـاقنا المـطحـونـة بـزعيق المترو وهمسـات التملق وقصف الرصاص العدواني الخارجي والداخلي ، وينعشون فيها تلك الواحة المنفية التي يحرص كـل منا عـلى نقائهـا . . . فيحتفظ بها لنفسـه ملاذاً اخيـراً من الاستلاب تحت شعـار الحب ! . . . دوماً يحدث الامر على هـذا النحو ، وتـرتكب ابشع الجـرائم تحت أعذب الشعارات ! فيصير الحبيب قفصاً ، بينما يظل الحب تحليقاً صوب لحظة حرية .

● **كيف يتمثل حبك للحب ؟ ماذا يعني لك الحب في المطلق ؟**

ـ الحب بالنسبة لي ليس حالات عابرة ، ورجالا يحضرون ويمضون في المسافة بين الدمع

والابتزاز ولعبة شد حبال التكبر المتبادل ، بل اجده موقفاً من الوجود والآخـرين : من الكون .

اذا لم تلهبني كل صباح تلك الفرحة المتأججة المجانية لمجرد انني حية ومعـافاة ، وممتلئة بشيء حار يضيء اسمه المحبة ، لا اقدر على مـواجهة اوراقي ولا عـلى الهبوط للسباحة داخل محبرتي . . . الحب هو اتخاذ موقف غير عدواني من كوكبي ، وهو تدفق ايجابي صوب عالم لا اهدف إلى امتلاكه بل الى التفاعل معه وبـه ، واذا تصادمنـا فمن اجل المزيد من الانسجام . . .

في المطلق ، الحب الكبير هو ان اغني على عود بلا وتر ! . . . وانا التي تغني على عود بلا وتر ، وتجد ذلك ممتعاً ! . . .

● **ماذا يعني لك الرجل ؟ اية علاقة يمكن ان تقيمين معه ؟**

ـ الـرجل ليس وثنـاً ولا شيطانـاً . ولم اثقل عليـه يومـاً بالتحـامل او طلب الكمـال . الـرجـل الـعـربي يـعـني لي مـنـجـم كـنـوز لا نهايـة لـعـطائـهـا . . . انـه كـالحصـان الـعـربي مـن انبـل الـسـلالات في نـظري يمـنـح غـالـبـا بـلا حساب شـرط احترام كبـريائـه وعدم السقـوط في فخ محـاولة تـرويضـه . . ثمـة شيء لا يطيقه الرجل العربي ولا يسكت عليه ، هو محاولة اذلاله وتركيعه كما تفعل اقلية من مريضات النفـوس اللواتي يتـوهمن ان الدليـل على حـريتهن وقوتهن هـو في اذلال رجلهن وسلبه حياته العامة والخاصة وتحويله الى كـائن هجين ، بـدلا من المساهمـة في تغذية ازدهاره ، وازدهارها اذا كانت قادرة على بناء نفسها في الحياة العامـة وليس على اشلائه . .

لا انـزّه الرجـل العربي عن الاخـطاء ، ولكن من قـال ان المـرأة معصـومـة عن الخطأ ؟ . . . لا اريد الدخول في الحالات الفردية الشاذة المتبادلة لانني اريد ان اتحدث عن الجوهر . ومن حيث الجـوهر أرى ان تحـرر المرأة هـو حالـة حية من تبـادل العطاء والتفاهم ووجهات النظر . . . وليس في العلاقات رجل شرير وامرأة نعجة ـ بوجه عام ـ ولا العكس ، بـل ثمة عصـور من التخلف وسـوء التفـاهم المتبـادل تـركت رواسبهـا (وحساسياتها) . والحـل ليس بنبذ الرجل ووجهة نظره والعيش في (يوتوبيا) تسوية وهمية من الحس بالعظمة والاضطهاد في آن ، بل في الانفتاح الصحي الودي على نصفنا الخشن ملمساً والناعم قلباً وعطاء . .

اقيم مع الرجل كل الصلات التي تؤكد انسانيتي وتساهم في ازدهـاري ومجتمعي

ووطني ، وتشعل اصابعي وتنكس رايات احزاني . . . لقد عرفت الرجل-الزميل في العمل ، والرجل الحبيب ، والرجل المواطن رفيقي في الهم القومي العروبي ، والرجل الأخ والشريك . . . وعرفت ايضا « الرجل ـ الحرب » . فأنا لست رومانسية تجري عمليات تجميل للحقائق ، عرفت علاقات الاظافر والانياب والحقد كما الضوء والفرح والازهار . . . وظل الرجل العربي هو ذلك الرفيق الذي امتلك احترامي رغم تخلفنا المشترك وسقطاتنا المتشابهة . . . المهم ان نتعاون للزحف صوب الضوء لا ان نقتتل فيما بيننا والعاصفة عدوانية ، والزمن يحاول سحقنا معاً بحذاء التاريخ . .

● **هل تفضلين او تصدقين اكثر الشخصيات التي تمليها عليك مخيلتك في رواياتك وقصصك ، ام الشخصيات التي تطالعك في الواقع ؟**

ـ افضل الشخصيات التي تطالعني في الواقع ، لأن القدر هو اعظم روائي . . . احاول ان اتعلم من الشخصيات التي تمر بي (او تقيم !) ، فالسلوك البشري مدهش . والانسان العفوي مدرسة . . . تلك العجوز مثلا التي كانت تدخن بشراهة وظلت تسعل في المقهى حتى كادت تختنق وأرعبتنا ، ماذا فعلت حين هدأت ؟ اقسمت ان تكف عن التدخين ؟ لا ! وسط ذهولنا ، اشعلت سيجارة اخرى ! . . . وذلك الشاب (البانك) الذي اخافني منظره ورفاقه آخر الليل ، هل غرس سكينه في عنقي حين جاءني ؟ لا ، بل سألني خائفاً عن موقف التاكسي ، ورافقته وصحبه المذعورين من ليل باريس وقد حملوا لي حقيبة اوراقي ! . . . الحياة مدرسة مذهلة ، ووحده الفنان الذي انتهى يقع صريع حب شخصياته ، ويكف عن تأمل متحف الحياة حوله .

● **كتبت مرة « اهجر صديقاتي ، واخون احبابي مع ابطال قصصي » . هل هذا يعني انك تفضلين شخصيات رواياتك لأنك تبتكرينها انت وتضبطين حركتها ، بينما الشخصيات في الواقع هي غير ذلك ؟**

ـ شخصيات رواياتي أنا ابتكرها، لكنها هي التي تضبط حركاتها الذاتية وتتمرد على اي ايقاع مسبق ، وتختار لنفسها مسارها المنسجم مع شخصيتها وواقعها الاجتماعي والتاريخي . . . بل انني قادرة على التدخل في حياة الذين حولي اكثر من قدرتي على تبديل رفة عين في جفن احد ابطالي . . . انهم يكتبون انفسهم ، وكل ما افعله هو انني ارصدهم وانقل اصواتهم (وانجسّس) على سلوكهم . . . وهذا يتطلب التفرغ لهم في مرحلة الكتابة وهجر صداقات العالم الخارجي ريثما تنتهي الرواية ، ويتابعون حياتهم خارجها . . . بدوني ! . . .

● ما هي المسافة بين تجربة روايتك « كوابيس بيروت » كواقع معاش ، وبين كتابة هذه الكوابيس ؟

ـ شاسعة كالمسافة بين المذكرات التي تنقل الواقع المعاش ، والفن الـذي يخرج بهـا من ذاتيتها لتصير تجربة تخص كل انسان يواجه حرباً مركبة مـريرة . . . لقـد ترجمت هـذه الـرواية حتى الآن الى « البـولـونيـة » و« الـروسيـة » و« الالمـانيـة » ضمن نـطاق النشر الواسع ، والى « الفرنسية » ضمن اطار اطروحة دكتوراه للسوربون . . . واولئك ليسوا معنيين بما عشت (بعضهم لا يعرف ان كنت كاتبة او كاتباً ، كدار نشري الروسية التي طبعت ٥٠ الف نسخـة من عملي كـطبعة اولى وتخـاطبني في رسـائلهـا بعبـارة : مسـتر السمان !) . . وتلك المسافة ليست بالضرورة شاسعة كالمسافة بين الف ليلة وليلة والف كابوس وكابوس، فالمهم هو لمسة قوس القزح الفنية التي تخرج بالتفـاصيل من الـذات الى العام دونما افتعال او اقسار. . . وتنقل هموم شعب في محـرق افراد احيـاء يتعذبـون ويشتعلون ، ويصارعون اقدارهم وحماقاتهم وعدوان الآخرين عليهم . المستشرقـة حنا يانكوفسكا التي نقلتها الى البولونيـة قدمت للروايـة بأنها حكـاية المـأساة الفلسـطينية ، وواقعي المعاش يقول انني لست فلسطينية ، ولكن روايتي في احد مستوياتها تترجم ذلك الهم . . . وذلك ما لفت اليها المترجمة ودار النشر . . . اذن ، مع الكتابة يذهب الفنان ليصطاد كلمة مضيئة دون ان يعرف بالضبط ماذا ، واذا لم يفشل وجد الناس في عمله اشياء مختلفة وهواجس متعددة . . . . وتناولها كل من الزاوية التي يجد نفسه معنياً بها . . والكـاتب معني بشيء واحد : محـاولة الانـطلاق من واقعه المعـاش لرسم حقيقـة فنيـة انسانية . .

● معروف عن غادة السمان انها تهجس وتخاف من الموت ، هل ضاعفت الحرب هذا الهاجس عندك ؟ هل ان اللجوء الى الكتابة هو سلاحك في مواجهة الموت ، وطريقة ما في الاستمرار ؟

ـ اخاف الموت العبثي الذي لا يجدي ، ويفجعني في لبنان (الالتهام الاخوي) بدلاً من الانقضاض على العدو . . أهجس ايضا باشكال الموت المتعددة الاخرى : موت الاحياء وهم يتابعون حياتهم الخامـدة . . . موت الاشيـاء الجميلة . . . موت القيم . الحـرب ضاعفت وعيي بأهمية الحياة ، لأنها المـادة الوحيـدة لصنع طمـوحاتنـا (ما عـدا الموت الاستثنائي ، حين يكتب المرء سيمفونية حياة خارقة بضربة موت واحدة كما فعل اولئك النبلاء الذين فجروا انفسهم بالعدو، وكما فعل خليل حاوي حين سطر قصيدة احتجاجه

على التخاذل العربي برصاصة على صفحة جمجمته) .

ككاتبة ، صار هاجسي عدم هدر الوقت قبل كتابة ما اشتهي قوله . . . وفي المرات العديدة التي واجهت الموت فيها في بيروت ، تحت القصف ، وبين شظية واخرى ، وفي طوابير الاحباب الذين مزقتهم قذيفة امام بائع الخبز واكتفت بجرحي ، كنت اقول له : دعني انجز هذا السطر . . . اعرف انك حق، وانني لن املك ذات يوم الا ركوب قطارك ، ولكن محبرتي ما زالت ممتلئة كبحر . .

اقول له ذلك وانا اعرف انه لم يستأذن احداً من قبل . . . هكذا نحن البشر . . . هزليون تضحك منا ستائر مسرح الوجود ! اللجوء الى الكتابة قد يكون احد الاسلحة العتيقة لمواجهة الموت لكنه استحضار للموت في آن معاً ، لانه الوعي والصحو ، وكل وعي ينفي الموت يتحول الى نكتة مملة تقهقه فقاعاتها وهي تنفقىء . الكتابة هي الطعنة والدواء في لحظة نارية واحدة . . انها استحضار الموت من النسيان ونفيه الى الذاكرة في آن ! . . . .

● **بين الماضي والحاضر والمستقبل ، اين تعيش غادة السمان اليوم ؟**

ـ ماذا يتبقى من جلدي إذا تخليت عن طعنات الماضي التي ترصعه ؟ أرتدي الحاضر وعيني على المستقبل ، وأعيش امتزاج الأزمنة . . فالماضي لا يغادرنا حقاً ، وشهية الحاضر تعني الانتهاء الى المستقبل كي يصير للأزمنة كلها معنى التفاؤل . بالنسبة لي ، الماضي حاضر في حاضري ، وحصان جميل عليّ ان اتعلم كيف اروّضه في ركضي الى المستقبل والا سقطت تحت سنابكه . .

● **من المعروف عنك انك سافرت كثيراً ، وانك مستنفرة دائماً للرحيل ، ما هو سرّ هذا الرحيل ، والى اين ؟**

ـ اعي بوضوح انني في زيارة قصيرة على هذا الكوكب ، واريد ان اراه جيدا كأية سائحة مثالية قبل ان أمضي بعيداً . . . لكن القلب لا يستطيع ان يكون مجرد سائح على جلد زمنه . . . وحين نرحل ، نحمل معنا هواجسنا وهمومنا ، وكلما ابتعدنا عن الوطن نراه بمزيد من الوضوح كالنجوم في ليلة صافية صحراوية . . كأن الغربة رحيل سري الى الوطن ، والدروب كلها تفضي في النهاية الى مسقط القلب . . .

الغربة توجعني احيانا لكنها لا تخيفني . المرعب حقاً غربة الانسان في بلده بين صحبه واهله وخلّانه . . وغربة المرء عن ذاته ، عن جلده ، عن صوته الداخلي الحقيقي . . . الفراق الذي يكسر قلبي هو فراق المرء عن جوهره وحقيقته .

● نشعر امام عنوان كتابك « رحيل المرافىء القديمة » وكأن الرحيل قد رحل ، وما عاد ثمة مرافىء يحط عليها المسافر رحاله . .

ـ وذلك يعني ببساطة ان علينا غربلة « المرافىء القديمة » ، واعادة بناء جميلها بالمعنى الانساني حتى ولو كان تراثياً ومتوارثاً ، والتخلي عن الهياكل الفارغة الضخمة حتى ولو شفع التراث بها . . ويعني ايضاً ان علينا بناء مرافىء جديدة من صنعنا ، ولا يضيرها ـ ولا يشفع بها ـ ان تكون جذورها مغروسة في تربتنا منذ اقدم العصور . .

حزين هو رحيل المرافىء . . . ان يركض قطارك ، والمحطات تهرول امامه على السكك اللامتناهية ، بلا توقف . . . بلا عصفور يؤنس النافذة او وردة تنبت في قحط الهباب المعدني . . . لكن المفجع حقاً هو التخلي عن حلم بناء محطات ومنارات جديدة . .

● غادة السمان من اكثر الادباء العرب مبيعاً ، الى ماذا تعزين ذلك ؟

ـ لا اعرف بالضبط ، لكنني لن اخفي فرحي بهذه الحقيقة وراء قناع التواضع الكاذب . اني فخورة بالطبعات العديدة لكتبي ، واشعر بالدفء حين اتخيلها تنعم بالامان في بيوت قرائي العرب . . . حينما أمشي في ليالي باريس الباردة فوق الثلج وحيدة ويكاد الصقيع يسلبني انفاسي ، اتذكر ان كتبي تنعم بالدفء والضوء في ملايين البيوت العربية فامتلىء بالقوة . . واضرب اكوام الثلوج بقدمي بصلابة اشد ، واشعر بانني لست وحيدة ، ولخطواتي جذور اينما مضيت ومهما تشردت . . . وساكتب المزيد ريثما تطلق الحياة سراحي . . القارىء البعيد القريب هو الوهم الكبير الجميل في عمري ، لكنه ايضاً الحقيقة الاولى ! . . .

● هل تعتبرين ان كونك امرأة يؤثر على تلقي نتاجك الادبي عند القارىء العربي ؟

ـ نعم ولا . في مراحلي الاولى ، كان له بالتأكيد بعض التأثير . . . بمعنى فضول القارىء : ماذا تريد هذه المرأة ان تقول ؟ بعد صدور كتاب او كتابين لي ، يعاملني القارىء كقلم « انسان » . . . انه لن يشتري المزيد من كتبي الا اذا وجد لدي ما اقوله ، اما فضوله « المذكر » نحوي « كأنثى » ، فقد انطفأ . ٢٥ كتاباً قدمتها للقارىء العربي ، صدر آخرها هذا الشهر « الاعماق المحتلة » ، ولا اعتقد ان قارئاً واحداً سيشتريه تحت سطوة «تاء التأنيث» التي تصادف وجودها في اسمي . . .واذا فرضنا جدلا ان كون الاديب « أنثى » يؤثر في مجرى تلقي نتاجه الادبي ، فذلك سلاح ذو حدين . . . فالقارىء العربي ذكي ومرهف ، وسيكون غضبه مضاعفاً اذا اوقعته خديعة

ادبية مؤنثة في حبائل هدر وقته .

● لمن تقرأ غادة السمان حالياً ؟

- كعادتي ، اقرأ كل ما تطاله يداي بثلاث لغات ، واقرأ الاصوات التي اسمعها ، والألوان الراكضة في دفتر الطبيعة ، واقرأ الجمر تحت الرماد العربي ، والجرح الذي لن يندمل كيفما اتفق .

● الى اية موسيقى تستمعين ؟

- احب عبقرية الرحابنة وأغاني فيروز ، ولا ادري ايهما اروع حتى الآن : صداقة تلك السيدة ، أم صوتها؟ احب كل ما هو اصيل في الموسيقى العربية ، وما أقله وسط طوفان التفاهة والميوعة في هذا الحقل . استمع كثيرا الى الموسيقى الكلاسيكية ، ولكل وقت موسيقاه . لا استطيع مثلا الانصات الى بيتهوفن صباحاً ولا اثناء الكتابة لأنه يسحقني تحت سنابك عبقريته ، ويحتلني بجنونه طارداً افكاري . بالمقابل ، شوبان عذب وشفاف للحظات الكتابة ، وكذلك تشايكوفسكي المتوحش الدمعة ، وبرامز عصبيّها ، وموزار نهر الابداع المسائي ، وجريك الدافىء رقيق ، وشومان متوجع وحنون ورخمانينوف مرهف ، وكلهم يحتل حيزاً من حياتي لا يخطر ببال الى جانب ليست وسبيليوس وباخ وغيرهم . .

واعترف انني ذات ذوق (محافظ) في هذا الحقل . فقد استمعت طويلا الى بيلا بارتوك وجيرهارد بروخنر (الكلاسيكية الجديدة الالكترونية !) فلم يروقوا لي ، لكنني لن اقول عنهم ما قاله « روبنشتاين » ذات يوم في (كونشرتو الكمان) لتشايكوفسكي : « انها بلا اية قيمة ولا تستحق مجرد العزف . انها سيئة ، تافهة ، سوقية ، مفككة فنياً » !! . . .

لعلهم سبقوا زمنهم وانا قاصرة عن تذوق فنهم . لا ادري .

● من تحبين الآن ؟ وماذا تحبين ؟

- كعادتي ، احب رجلا لا اعرفه . . . سنتشاجر طويلا حين نلتقي ، وينتهي بي الامر كالعادة ، وحيدة اسبح في محبرتي وانا افكر بالرجل الآخر الذي لم اعرفه بعد ! ماذا احب ؟ عمري لا يتسع للأشياء كلها التي يخفق قلبي طرباً لها . . البحر . . . صوت الاصداف . . كائنات الطبيعة الجميلة كبيرها وصغيرها ، من تلك التي تعارف الناس على انها جميلة كالنمر والحصان ، او الاخرى التي احبها ايضاً كالحراذين اللطيفة والافاعي الطيبة والوطاويط الغريبة وسواها من مخلوقات الله المدهشة . . . الصبار . . . حجر

الصوان . . . النجوم . . . الغابات . . . الوردة وحدها معجزة صغيرة قلما نلتفت اليها . . كيفما تحركت على هذا الكوكب المدهش يخفق قلبي طرباً للقاءات جميلة عذبة وسرية . . وحين ينكسر شيء في عمري واحزن ، يكفي ان اتحسس بيدي قبضة تراب حية مسكونة بالبذور اللامرئية وانا اهمس : تبارك الخالق . . . او اتحسس نبتة خضراء وأقول لها : مساء الخير . . . او أهرول على شاطىء النهر ، ويمر بي النورس الابيض ، فأنس اليه مرحبة : اهذا انت ثانية ؟ بهذا المعنى ، لم اشعر يوماً بالوحشة المطلقة حتى قاع عظامي ، وحين تخذلني الدنيا كلها تظل ثمة مرافىء صغيرة الجأ اليها . . وهي مجانية ومتوافرة ولكن قلما ينمّي الناس صلتهم بها . .

● **انت التي تبتكرين شخصيات خيالية ، كيف تتعاطين مع الطفل الذي انجبته ؟ وما تعني فكرة الامومة لامرأة تزاول الكتابة ؟**

ـ الخطوة الاولى للتعاطي مع الطفل الذي انجبته هي النسيان : ان انسى انه كان طفلا (امتلكه) . هذا جزء من ذكرياتي لا ذكرياته هو . انظر اليه كشخص مستقل قائم بذاته ، واحاول ان امنحه الحنان والحرية معاً . مأساة الاولاد ان اهلهم يمنحونهم الحنان مقابل سلبهم الحرية . . حرية ان يكونوا اشخاصاً مستقلين بمعاني الكلمة كلها . . ان يستقلوا عن طموحاتنا المحبطة وهواجسنا المتوارثة واحقادنا الشخصية ، وثأرنا من الحياة الذي نرغمهم احياناً على ان يتابعوا مجازره .

حين اتعامل مع ابني ، احاول دوماً ان اتذكر كيف كنت يوم كنت في سنه . . . وما كان يضايقني يومئذ من عالمي . اعتقد ان الاسرة العربية مؤسسة جميلة تستحق الحرص عليها ، ولكن علينا تحويلها الى مؤسسة ديمقراطية ، ونطلق سراح ابنائنا من احلامنا الصغيرة ونتركهم يصنعون دهشتهم بانفسهم بعد ان نغرس في نفوسهم الانتماء القومي الى الوطن والمجتمع . . . لا يحق لنا (في شؤونهم الخاصة) ان نرغمهم على ان يعيشوا عنا حياتنا من جديد ! وكي لا نتألم ، علينا ان نتذكر ان تعليم التحليق لأولادنا بالنظريات وبالمراسلة امر مستحيل . . . ولا بد ان ندعهم يجربون اجنحتهم حتى ولو كنا متأكدين من سقوطهم . . لا يمكن لاحد ان يتعلم الطيران اذا لم يجربه بنفسه . ويكسر جانحه غير مرة . . . ومن حقهم ان (يغلطوا) ومن واجبنا ان ندعهم يرتكبون اخطاءهم ، وقد نستطيع ان نورثهم اموالنا ولكن ليس خبراتنا . . زراعة القلب ممكنة ، اما زراعة الذاكرة فمستحيلة . كأم ، انا منحازة لاستقلال ابني ، وحين يكبر سيسعدني ان نكون صديقين . هذا اقصى طموحي .

تسألينني عن معنى الامومة عند امرأة تكتب ؟ الامومة تعني درسا في الحب . . الحب الحقيقي بمعنى العطاء دونما انتظار مقابل حتى في قاع الذات . . . وبمعنى قبول الآخر كما هو وضمن شروطه لا على أمل تبديله و(اصلاحه) .

● هل تطبخين ، وماذا تطبخين ؟

ـ اعالج الابجدية في قدر الساحرات . اوقد الليل في الغابة ، واذهب الى (الطبخ) وقد عقدت شعري بمنديل الرياح وزينته بامشاط الصواعق ، واحمل معي ملحاً من دموع العاشقات العربيات ، وبهاراً من سفن قراصنة تكسرت على نصل ضوء حنانهن وشراستهن ، ومرآة كانت قطعة من قمر محطم في ليلة فراق ، ؛ واقول للحزن كن ، فيكون حرفاً !

● هل شعرت يوماً بانك عاجزة عن نقل بعض احاسيسك من خلال الكتابة ؟

ـ دوماً اشعر بذلك ، ولذا استمر في المحاولة .

● خارج الكتابة ، كيف تعبرين عن نفسك ؟

ـ بشكل في غاية الرداءة . انني دوماً قادرة على ان ابدو أفضل مما أنا ، او اسوأ مما أنا . . . ولكنني لم اقدر يوماً على التعبير عن نفسي لأحد كما (أنا) ، خارج أداة الكتابة . . وربما لذلك أصر حتى على كتابة (اجاباتي) الصحفية . فالكتابة أداتي التعبيرية الوحيدة الاقرب الى حقيقتي .

تعبيري الوحيد عن ذاتي خارج الكتابة يحدث دوماً بلغة حسية وبكماء ، كالسباحة وركوب الدارجة في الغابة والامساك بالافاعي التي اتفاهم معها عبر الكهارب والسيالات والشحنات العاطفية التي لا تصاغ بالكلمات ، وهي لذلك لا تلدغني كما يفعل بعض الاحباب . . . والخطأ ليس فيهم ، ولكن في قصور لغة الصمت بين الناس الى ما دون مستواها حتى عند الافاعي . . . وقصور لغة الكلام المعطلة دائماً عندي .

● مارست العمل الصحفي ، وما زلت تطلين اسبوعياً على القراء العرب . هل من احداث طريفة او هامة بدلت في مجرى حياتك عند قيامك بالتحقيقات الصحافية ؟ ما ابرزها ؟

ـ الاجابة على هذا السؤال تعني نشر فصل كبير من مذكراتي . لذا اكتفي بامثلة سريعة . . . حادثة طريفة ؟ كنت اكتب تحقيقاً في مستشفى المجانين ، وأمشي بحذر بعدما نبهني الطبيب الى ضرورة تحاشي مجنون عنيف وخطر ، وأرافق دليلي المرض وانا اتحدث الى المرضى وعيني على باب الهرب ، وكان دليلي لطيفاً رقيقاً يستشهد بأعذب

الشعر ، وحين ودعته أمام الباب اعطيته عنواني في بيروت ليتكرم بزيارتي ، وركبت في سيارة الطبيب الذي سألني : ما هي الورقة التي كنت تعطينها لمجنوننا الخطر ! ؟

ثمة احداث اخرى اقل طرافة وابعد تأثيراً ، منها ذهابي مع الصيادين الى البحر لتحقيق عن همومهم وقد اصطادهم القهر ، ومع الفدائيين في جنوب لبنان في إحدى غاراتهم ضد العدو ، ورحيلي للتحقيق في جريمة قتل ارتكبها احدهم واعترف لي بها في رسالة سطرها قبل انتحاره ، وذهابي بالقلم والكاميرا الى اصقاع مهجورة نائية في لبنان وعالمنا العربي(في وادي قنوبين اضطررت الى ركوب الدواب لانجاز التحقيق لافتقار المكان الجميل الجليل الى طريق !) وبوجه عام ، كان لعملي الصحافي ابلغ الأثر في مساري الروائي وسلوكي المعيشي ككل . . فالصحافة هي ملامسة الجرح بلا قفازات . انها الدخول الى محرق اوجاع الآخرين ، وهي تعلم الانسان كيف ينصت الى غير صوته (وهو ما لا يميل اليه الاديب غالباً !!) ، اي ان الصحافة هي العبور المباشر الى الدورة الدموية للوجع الكبير . . . ولذا فضلتها منذ صغري على المهن الأخرى كلها ، حتى التدريس الجامعي



- ٣ -

استجواب حول
المرأة ـ الرجل ـ التحرر

● حقوق النساء واجبات الرجال .

ـ كارل كراوس ـ

● ثمة خلافات بين ابناء الجنس الواحد اكثر من الخلافات بين الجنسين .

ـ روبرت لوي ستيفنسن ـ

● بين اولئك الذين يكرهون القمع ، ثمة كثير من القامعين .

ـ نابليون ـ

● يدفع المرء ثمناً باهظاً من أجل ابداع عمل يبقى . . . يدفع حياته كلها . . . فكيف يصلح بعدها لشيء آخر ؟

ـ ثورو ـ

١٩٧٩/٦/١٨

سعيد طـه يستجوب

● لا نريد استبدال رجل قاسٍ بامرأة قاسية !

للكلمة عندها نكهة شرقية خاصة ، ومن خلال اسطر رواياتها تفوح رائحة المرأة في عنفها وتمردها . . في كتاباتها ابداع واشراقة ، تحاول من خلالها ان تتجـاوز حدود الاقليمية التي تسعى الرجعية الى ترسيخها في أعماق الانسان العربي .

في بيروت كان لنا جولـة طويلة مـع الاديبة والقـاصة السـورية اللبنـانية غـادة السمان ، حدثتنا فيها عن البداية والمرأة ورحلتها مع الأدب .

● غادة السمان من أنت ، ومن صنع منك أديبة ؟

ـ أنـا امرأة عـاملة وأم لصبي واحد (حـازم ـ ٨ سنـوات) تسـألني من « صنـع » مني أديبة ؟ . . . الجميع ، ولا أحـد . لا ريب في ان عوامـل كثيرة تضـافرت وسـاهمت في تكوين شخصيتي ككاتبة .

لنستعرض بحياد واختصار ، وقائع حياة تلك المرأة التي هي أنا . نشأتْ في بيت تسكنه الكتب . والدها أرمل وهي رفيقته الوحيدة ها هي طفلة تنمو في مناخه ورفاقـه من اساتذة الجـامعة ، وتـألف لغتهم وعالمهـم وقـد انكسرت طفـولتها لكنهـا وجدت البديل في عالم المعرفة البـاهـر . . ترحـل الفتاة مـزودة بالعلم . تـواجه العـالم القاسي وحيدة . تعمل باستمرار وتعيل نفسها . تغامر تفشل : تنجح تفتش عن مدن جديـدة وحقائق جديدة . تسقط اكثر من مرة ولا يرفعها أحد ، وتتعلم كيف تخرج باستمرار من رمادها لتعاود تقمصها في جسد امرأة . تلملم اعضاء جسدها المتناثرة حولها فوق ثلوج الغربة وتلصقها من جديد لتتابع ركضها من أجل عالم أقل بشاعة وكلمة اكثر عطاء . . .

ولكن ، هل كان ممكناً ان تجعل مني هذه الأمور (وسواها) كاتبة لو لم تكن بذرة الكتابة مطمورة في أعماقي ؟ ام ان كل ما فعلته الغربة والثقـافة ورحلة الـزحف فوق

الجمر ، هو أنها حضنت تلك البذرة الجهنمية التي لا تنمو بغير الألم وأنضجتها ؟ . . . لا أدري . . .

● لمن تكتبين ؟

ـ أكتب غالبا للذين لا يقرأونني ! . . . أكتب للمتعبين والبسطاء والمعذبين واكثرهم في عصرنا الحاضر وفي عالمنا العربي من الأميين . من هنا كان فرحي كبيراً حين علمت بحملة مكافحة الأمية في أكثر من قطر عربي . أكتب ايضا للذين لا يملكون ثمناً لكتبي ! . . . وهذا طالما أوجعني . بعض الذين يقرأون كتبي هم الذين كرست كلماتي لفضح قيمهم الهزلية ومجتمعاتهم الاستهلاكية واحتفالاتهم التنكرية الكرنفالية حيث عالم الأقنعة والزيف .

وهذا الكلام ينطبق بصورة عامة على أعمالي الأخيرة .

● ما هو أحب كتبك إليك ؟

ـ أَحَبُّ كتبي اليَّ هو ذلك الذي لم اكتبه بعد . بالاحرى ، تلك اللحظة التي تسبق الكتابة ، حين يكون الكتاب سديماً مضيئاً ملتهباً يخترق جدارات رأسي وروحي كشفرات مروحة جهنمية الدوران مستقطباً كل الكلمات المنسية والكلمات التي لم تقل . . . الكتابة كالحب ، أحلى وأصدق لحظاتها هي لحظة ما قبل اللغة ، اللحظة المضيئة التي تسبق مثلاً التصريح بالحب لغويا ورسمياً ليتحول بعدها الى جزء من الاشياء المقولبة الخاضعة لنصوص سلفية وأطر جاهزة ! في هذه اللحظة أحب كتابي الذي تزدحم كلماته فوق الرأس الدقيق لقلمي ، وتصرخ بلغة غامضة وبكل الصدق البدائي لإنسان الكهف الحجري لحظة تناول عن الأرض حجراً لأول مرة ليرسم به على جدران كهفه صرخة روحه . .

● هل تشعرين بوجود فجوة بين ما تكتبين وما تؤمنين به ؟

ـ لا أشعر بمثل هذه الفجوة ، لأنني منذ البداية وطنت نفسي على إعلان صدقي جمهورية مستقلة أيا كان الثمن . . . في البداية كان الأمر موجعاً والقمع الاجتماعي شبيه بلسع السياط . . ثم صار الألم من بعض العطاء بصدق. الذين يقبلون بتدجين فنهم مرة ، يخسرونه الى الأبد ، خصوصا في مراحل العطاء الأولى لانهم يألفون ذلك الذل الصغير الصامت ، ويصيب عطاؤهم ما يصيب أقدام الفتيات الصينيات ايام كانت توضع في الاحذية الحديدية كي لا تنمو .

أنا شرسة كالبرق ، ووحيدة كقطرة المطر ، وليس هناك ما اخشاه سوى عذابي

الداخلي المريع إذا جرؤت مرة على خيانة صوتي الداخلي ولكنني أعاني من عذابين :

(١) العذاب الذي يخلفه احساسي احياناً بوجود هوة بين الفكر واللغة أي بين ما أرغب في قوله ، وما اكتشف أنني قلته بعد أن دخلت الفكرة نطاق اللغة . أحياناً أحس بهوة ، وأتعذب ، واكافح بضراوة كي أمتلك ذلك الصفاء الذهني والمهارة اللغوية في آن معاً بحيث تصير الكلمات (جنود مجندة) للأفكار ، تتعارف وتتآلف دونما تنافر او اختلاف .

(٢) العذاب الذي يخلفه الاحساس بأن للحقيقة أكثر من وجه واحد . وهكذا فالفجوة ليست بين ما أؤمن به وما اكتبه ، ولكنها بين ما اؤمن به بيقين مطلق او بيقين نسبي او بايمان مهزوز ـ وهو أضعف الايمان ـ

فمشكلة الفنان مع العالم الخارجي لا تخيفني وقد روضت ذاتي على احتمال النتائج أياً كانت . جوهر المشكلة يقبع في داخلي ! في الايمان بحقائق نهائية وسط عالم فقدت محطاته رشدها وصارت هي التي تركض على سكك القطارات وصار على كل قطار ان يعيد النظر بسكته وبمحطاته وبزمن رحيله ووجهة سيره .

● **بأية أحاسيس تكتبين ، المرأة ام المواطن ؟**

ـ لا تناقض بين احاسيس (المرأة) وأحاسيس (المواطن) ، أنا مواطنة ، لا تلغي تاء التأنيث في اسمها مواطنيتها الحقة ، وانشغالها الحقيقي بقضايا وطنها .

● **غالي شكري أصدر مؤخرا كتاب نقد لكتابات غادة السمان . فما رأيك بالكتاب ؟**

ـ كتاب غالي شكري النقدي عن اعمالي كتاب جاد وعلمي جدير بالاحترام . وهو بداية جميلة لظاهرة أتمنى ان تنتقل عدواها الى بقية النقاد ، بحيث يُدرس نتاج المرأة الأديبة بمعزل عن النظرة السلفية الدونية التي نجدها لدى بعض النقاد نحو أي شيء تكتبه المرأة وقبل حتى مجرد قراءتهم لأعمالها

أوائل السبعينات ؟

حوار مع مجهول*

● ما الحب الا للحبيب الأخير

● هل هناك بين الادباء العرب من يستطيع ان يصور احاسيس المرأة بصدق وواقعية ؟

- ذلك يتوقف على ما تعنيه بأحاسيس المرأة . فالاديب المبدع هو ذلك القادر على تصوير احاسيس الانسان ، امرأة كان ذلك الانسان أم رجلا . . . في الادب ليس هنالك (تخصص) في طرح قضايا الانسان وليس هنالك ما يستدعي مثل هذا الفصل بين قضايا الرجل والمرأة حتى ولا مرحلياً . . فما يسمى بمشكلة المرأة العربية وأحاسيسها وحقوقها وتخلفها ما هو الا جزء من مشكلة الانسان العربي ككل وأحاسيسه في خضم ذلك وانتزاع المرأة لحقوقها هو جزء من معركة انتزاع الإنسان العربي لحرياته وحقوقه السياسية والاجتماعية والانسانية والجنسية ، والمرأة داخل الأسرة الواحدة هي « البروليتاريا » والرجل هو طبقة « البورجوازية » ! (في الطب هنالك ضرورة لتخصص الطبيب في الطب النسائي مثلاً ، وذلك لان تكوين اعضاء المرأة ، المخصبة (رحم) يختلف عن اعضاء الرجل . . .) أما في الادب ، فالدماغ واحد ، والشبكة العصبية واحدة ، والاحاسيس واحدة ، والعذابات واحدة ، والاضطهاد واحد . . في التاريخ ، جميع الفنانين الكبار كانوا قادرين على خلق نماذج انسانية خالدة نسائية ورجالية على السواء . . . فالنسيج الانساني هو نفسه وان اختلف تشريحياً في بعض المواضيع .

وصحيح ان ذلك الاختلاف التشريحي يؤدي الى بعض الاختلاف الوظيفي (المرأة هي التي تحمل لا الرجل) ، ولكن احاسيس المرأة عالم كبير وما حكاية الحمل والولادة الا من بعضه ، والادباء الكبار قادرون حتى على تجاوز ذلك الحاجز برؤياهم الثاقبة ، وكمثال اذكر بشخصية « مدام بوفاري » التي ابدعها رجل هو فلوبير ، وبشخصية « آنا كارنينا » التي ابدعها رجل هو تولستوي ، والشواهد المماثلة كثيرة .

(*) هذا الحوار وجدته لدي في نسختي الخاصة (فوتوكوبي) ولم يزودني به صاحبه بعد نشره ، ولم اكتب عليه اسم المحاور ليقيني بانني لن انسى ، او لأنه صديق حميم ، ولكنني نسيت فيما يبدو. ولست متأكدة من تاريخ الحوار .

● هل تغيرت أحاسيس رجل القرن العشرين ؟ هـل لا يزال ذلـك الإلّه بـالنسبة الى المرأة ؟

ـ الرجل (المنفوش) شعر الصدر والذي جر أمرأة بإحدى يديه من شعرها وحمـل بيده الاخرى هراوة وتاه زهوا بعضلاته الفولاذية على بقية حيوانات الغاب انتهى عصره على مـااعتقد . . . لقـد سقط عصر «الرجـل الـوثن » ، والمـرأة العـاملة كفت عن وثنيتهـا العاطفية . . . صارت تبحث عن الرفيق في الرجل لا عن السيـد . . . لم تعد تسجـد لحامل السوط ، والمركيزدي ساد انتهى عصره مع بـدء عصر المرأة العـاملة وبدأ اليـوم عصر الرجل الشريك، شريكها في مواجهة متطلبات الحياة المعاصرة على الصعيـدين : العمـلي اليومي المـادي ، والصعيد الـوجودي الميتـافيزيكي (صعيـد ما وراء الـطبيعـة واسرارها وانعكاس ذلك على الانسان) . . .

● مررت في حياتـك العاطفيـة بالمـراحل الـطبيعية للمـرأة . . ماذا اكتسبت ، ومـاذا خسرت منذ ارتعاشات المراهقة الاولى الى الآن ؟

ـ لا . لم امر في حياتي العاطفية (بماتسمونـه) المراحـل الطبيعيـة للمرأة . لقـد عشتها بـاستمرار كلهـا دفعة واحـدة . . . كنت دوما مـراهقـة وصبية وكهلة وعجـوزا في آن واحد . . . وهكذا فانني لم اخسر شيئا منذ ارتعاشات المراهقة الاولى حتى الآن لان كل لحـظة حب حقيقية تعيـد الي رعشات المـراهقة دون ان تجـردني من قدرة الشيـوخ على امتصاص التجربة واستنزافها والاستمتاع بها. ربما كنـا نخسر الزمن لكننـا دوما نـربح التجربة ، والتجربة تعلمنـا اختصار كثير من الزمن الضـائع ، الـزمن الذي لا يحسن المراهقون استعماله ولا يوظفونه ، ويخسرونـه ، ويصبيرون بـالتالي اقـل امتلاكـا له من سواهم . . التجربة هي اختصار للزمن الضائع . . .

● ما هو اول ما يلفت نظرك في الرجل عند رؤيته . . . واستطرادا من هو الرجل الذي يستطيع ان يلهمك قصة ؟

ـ لا شيء . ليس هنالك رجل يستطيع ان يلفت نظري منذ الوهلة الاولى الا اذا كـان مصاباً برصاصة او جريحاً مثلا أو مهرجاً ! . . . بالنسبة اليّ النظرة الاولى هي اللقاء عبر الاقنعة . . واللقاء عبر الاقنعة والقفازات لا يهزني . . .

يستطيع الرجل ان يلفت نظري بعد ان اسمعه يتحدث وارى تصرفاته . حديث الرجل هو الرجل بالنسبة اليّ . . . فالحـديث مرآة النفس والسلوك شـاشة الـروح . .

والرجل بالنسبة الي نفس وروح لا مجرد حيوان جميل في غاب حفلات الكوكتيل. انا لا (ارى) أي رجل الا بعد ان (اسمعه) . وبعد ان اسمعه اقرر فيما اذا كانت لدي رغبة لرؤية المزيد منه ام لا . . . وبعد ان يخترق ذاتي بصوته وبمضمون ذلك الصوت من افكار، تبدأ عيناي دورتها. . . اطلقها حوله كمصباحين في مطار ناء، واتهيأ لاستقباله في عالمي . . . أما الرجل الذي يستطيع ان يلهمني قصة فهو اي رجل قد أمربه . . بالنسبة اليّ كل انسان مادة اولية غنية لكتابة قصة ما ، بل ان كل شيء يستطيع ان يلهمني قصة . . حتى احجار الارصفة المتآكلة . . .

● **اين انت كشرقية من نغمة « الحياة الحرة »التي تنادي أو تقول بسلبية الزواج وعدم ضرورته في علاقة المرأة بالرجل ؟**

ـ لا استطيع ان افهم لماذا الزواج هو بالضرورة ضد « الحياة الحرة » . . . ولماذا نعني « بالحياة الحرة » اشياء قذرة وسوقية مثل الانضمام الى نوادي العراة أو تأدية نمرة ستربتيز في سوق مزدحمة . . . عبارة « الحياةالحرة »توحي لي شخصيا باشياء جميلة وهامة . . . مثل حق الانسان في اختيار عمله ، واصدقائه ، وثيابه ، وطرق انفاق امواله ، واجازاته ، وحريته في اختيار الحزب الذي يود الانضمام اليه ، والمعتقد الذي يشارك في تحرير بلاده وانسان بلاده . . . الحياة الحرة عبارة تذكرني بالمطالبة بمحو الامية ، والمطالبة بتعديل القوانين ومن بينها قانون (جرائم الشرف) غير الشريفة بالمعنى الانساني . . . « الحياة الحرة » عبارة توحي لي شخصيا بكل شيء الا بحفلات الاورجي (الجنس الجماعي) وغير ذلك . . . اما عن تصادم مؤسسة الزواج مع (الحياة الحرة) كما هي بمفهومي ، فأمر يرجع الى فساد مؤسسة الزواج بشكلها القائم في بلادنا . . . الزواج عندنا هو غالبا مجرد عهر رسمي علني مزود برجل دين ووثيقة رسمية وشهود ومدعوين . . . انه يشين المرأة بقدر ما يشين الرجل ويحد من قدرتها على العطاء وعلى الابداع الانساني . . .

الزواج الحقيقي هو ذلك الذي لا يقف بوجه الحياة الحرة الانسانية ، وانما يشجع حرية الانسان (أمرأة كان ام رجلا) على الانتاج والعطاء الى آخر مدى . . .

● **أريدك ان تتهمي الرجل . . . فبماذا تدينيه هذه الأيام ؟**

ـ اتهم الرجل العربي المعاصر بالازدواجية واخص بهذا الاتهام الثوريين العرب . . . بعضهم هو دكتور جيكل بين الناس ومستر هايد في علاقاته الحميمة مع نسائه و (حريمه) . . .

. اتهمه بالازدواجية بين آرائه وسلوكه ، بين معتقداته وممارساته . . انه قد يقضي امسية يتحدث فيها عن ضرورة تحرير المرأة وطاقاتها من اجل بناء مجتمع جديد ، ثم يتشاجر مع شقيقته فور عودته الى الدار لانه امسكها (بالجرم المشهود) تراجع دروسها مع زميلها بالجامعة . . . اتهمه بالازدواجية في الولاء . . . بعضهم يقضي مساءه في التخطيط للحرب والدفاع عن شرف الارض لكن لا يتواني عن هجر الجيش اثناء المعركة للحاق باخته وقتلها دفاعا عن (العرض) . . . .

● كامرأة وكأديبة ، ما هي الاعتبارات والالتزامات التي يجب الا تتجاوزها المرأة بالنسبة لنظرية المعادلة بالرجل ؟

ـ بالنسبة اليّ ليست هنالك اية اعتبارات لا يحق للمرأة ان تتجاوزها الا اذا اصرت على ان يحمل زوجها وينجب الاطفال بدلا منها والا طلقته . . على مثل هذه المرأة الصبر قليلا فقد لا يطول الوقت قبل ان تتولى آلات خاصة مهمة الالقاح وانجاب الاطفال واختراع (الرحم الاصطناعي) قد لا يستغرق وقتا طويلا . . وقد يشهق الناس لما أقول ، ولكن ذلك لا يهمني، لا ريب في ان الكثيرين شهقوا حين طرح مجنون آخر مثلي اعتقاده بأن الانسان سوف يسير بقدميه فوق سطح القمر ذات يوم . . وشهق الكثيرون يوم قال غاليله ان الارض هي التي تدور حول الشمس وطلبوا اليه ان يسحب كلامه تحت طائلة الاعدام . . وسحب كلامه وقال هامساً (ولكنها تدور) . . .

● اي انسجام يمكن ان يوجد بين رجل كبير يحب فتاة صغيرة . . . أو بين امرأة كبيرة تحب شابا صغيرا ؟

ـ تلك قضايا خاصة لا يمكن طرحها في المطلق . . . هنالك علاقات كثيرة ناجحة بين نساء يكبرن رجالهن سنا او العكس . . . ولا ارى من حيث المبدأ ما يحول دون ذلك . . . بل ان ما نراه نحن (نواقصا) قد يكون هو بالذات ما يشد كل منهما الى الآخر . . . قد يحب الشاب امرأة اكبر منه سنا بالضبط لانها كذلك ولانه يجد فيها المرفأ والحنان والملجأ ، والعكس صحيح . . . قد تحب صغيرة رجلا يفوقها سنا بسنوات فالزمن بالنسبة لبعض الناس يزيدهم توهجا ويصيرهم كخمرة الاديرة المعتقة . . .

والمهم في هذه العلاقات ككل العلاقات الانسانية ان لا يكون هنالك اقسار أو ارغام من طرف لاخر . . .

● ما رأيك في رجل يبكي بسبب الحب ؟

ـ لكل انسان الحق في التعبير عن مشاعره بطريقته الخاصة . هنالك نساء يعبرن عن الحزن بالصمت وبغرس اسنانهن في شفاههن وهنالك رجال يريحهم البكاء . المهم ان يكون الانسان صادقا في حزنه اما طريقة التعبير فأمر ثانوي . . . وانا ضد كل الاشياء التقليدية والمفاهيم التقليدية بما فيها مفاهيمنا عن طريقة التعبير عن الحزن . . . لم لا يبكي الرجل ما دامت الطبيعة قد خلقت لـه عيونـا وغددا دمعية وعواطف ورغبة في البكاء ؟ ولم يكون ذلك الاسلوب في التفجع حكرا على النساء . . .

لماذا نصفق لموضة (اليونيسكس) في الثياب حين ترتدي النساء والرجال زيا واحدا ونرفض في الوقت ذاته ان يعبر كل من المرأة والرجل عن عواطفهما على طريقة الـ(يونيسكس) ؟ لماذا نتقبل دوما قشور المواقف ونرفض مضامينها ؟ . . .

● هل الحب الاول هو أقوى حب في حياة المرأة ؟

ـ لا ادري بالنسبة لبقية النساء ، أما بالنسبة اليّ فالحب الاخير هو دوما اقوى حب في حياتي وهو في كل مرة حبي الاول . . . وكلما احببت ، جاء ذلك الحب ليلغي كل ما قبله وليصير حبي الاول والاعنف والاصدق . . . كأن الزمن « يدوزن » اوتار النفس مع كل حكاية حب ، وتصير كل مرة اكثر قدرة على ان تصدح وتتوهج بأنغام الحب . . .

● هل الحب يؤدي وظيفة معينة في حياة المرأة . . . وفي حياة الرجل ؟

ـ الحب شحنة عاطفية جبارة يمكن ان تعيد خلق الانسان او تدمره . . . الحب هو الولادة الثانية للانسان ، واذا كان لا خيار له في ولادته الاولى (حين يجره الطبيب من جوف امه ويقذف به في الحياة) فإنه يستطيع الى حد بعيد ان يتحكم في ولادته الثانية ، الحب ، لتكون محرك عطاء وابداع لاينضبان . . الحب يطهر كما النار ، يستطيع الانسان عبره ان يعيد صهر ذاته . . . . بالحب تسمو الروح وتشف وتمتلىء رغبة بالصفاء واحتضان كل ما في الوجود . . .

● هل الجنس يكمل الحب ؟ واذا كان الجواب ايجابا فهل الحب عاطفة ناقصة ؟

ـ اوافقك على ان الجنس يكمل الحب ، لكن ذلك لا يعني ـ كما استنتجت انت ـ ان الحب عاطفة ناقصة . . . الجنس هو اكتمال الحب ، كما يكتمل البدر في منتصف الشهر ، والحب هو الهلال كما نراه أول الشهر ، لكن ذلك لا يعني ان (الهلال) قمر ناقص وانما هو قمر ليس في افضل (وضعية) للرؤية . . . لذا لنقل ان الحب بدون جنس هو حب ليس في (أفضل اوضاعه) . . .

● يقول الشاعر الانكليزي بايرون . . . ان الحب بالنسبة للرجل هو احد المشاغل فقط . . . اما بالنسبة للمرأة فهو حياتها . هل هذا صحيح ؟

ـ نعم هذا صحيح في مجتمعات معينة وفي عصر مضى الى غير رجعة ، اي انه قول مرتبط بمواصفات تاريخية واجتماعية معينة ، لكنه لا يكفي لوصف مشاعر الحب الاشمل . . . والواقع ان شكسبير هو سيد من تحدث عن الحب وفهم علاقات المرأة والرجل في جميع وجوهها . . . ولكن ما سبب شهرة هذا القول لبايرون في بلادنا بالذات ؟ اعتقد ان الرجال يحبون الاحتماء به وجعله مظلة واقية امام نسائهم . . فالرجل الشرقي الحامل لكبت آلاف من الاعوام ، مصاب بمراهقة مزمنة ، وهو كالجائع الذي وجد نفسه فجأة في وليمة . . او مثل طفل وجد نفسه وحيدا في دكان الالعاب . . . انه لا يريد بالضرورة امتلاك كل الدمى حوله ، ولكنه يريد لمسها واللعب بها ويحار من اين يبدأ .

أما القول بأن (الحب هو حياة المرأة كلها) فأنا اعتقد انه يدلل على حقيقة (مادية) اكثر مما يشف عن حقيقة عاطفية . .

فالرجل هو الذي يعيل المرأة بصورة عامة في بلادنا ، اي انه هو (عملها) وهو بالتالي كل حياتها . . . والدليل هو ان هذا القول لبايرون لا ينطبق كثيرا على المرأة العاملة او ذات المورد المادي . . حيث ينتفي مفعول حكمة بايرون ذات المظهر الرومانتيكي والمضمون المادي . . .

● هل تغارين من امرأة اذا كان برفقتها « رجلك المثالي » ؟

ـ لا يمكن لهذه الفرضية ان تحدث ابداً. ان وجود امرأة في حياة رجل رائع ما ـ ايا كان هذا الرجل ـ يجعله يكف عن ان يكون (رجلي المثالي) . . . . فأول صفة في (رجلي المثالي) ـ اذا فرضنا جدلاً ان التسمية صحيحة ـ هي الا يكون مرتبطاً بامرأة أخرى . . . فأنا اكره بناء سعادتي فوق اشلاء تعاسة الآخرين . . . اذن لا اغار من مثل هذه المرأة ، ولا أحسدها وانما اغبطها بمحبة واصلي من اجلها وانسحب من حياتها . . . .

● هل تمنيت في يوم لو ان الله خلقك رجلا ؟

ـ مرة واحدة فقط تمنيت ذلك : خلال ولادتي لوحيدي الصغير حازم . . .

● ماذا يعني لك شخصيا شارب الرجل . . . وهل هو اكثر من ديكور . . . للزينة ؟

ـ لدي قط صغير وقد لاحظت انه يستعمل شاربيه للمس والشم ، ومن يومها وانا

اتخيل ان شاربي الرجل ليسا مجرد حاجبين اضافيين فوق الفم ، وانما تكمن فيهما (حاسة ما) . . .

● **هل تحبين ان « يحكمك » الرجل . . . ام ان تكون القيادة في يدك ؟**

ـ اكره فكرة (الحكم) في العلاقات . . . اكره كل علاقة (استعمارية) بين انسانين فيها حاكم ومحكوم . . . اكره ان يكون حبيبي سجانا بقدر ما اكره ان يكون سجينا . . . لا اتصور ابدا ان العلاقة بين الرجل والمرأة هي مثل العلاقة بين النمور ومروضها ، او بين السكين وجرحها . .

احب العلاقات الانسانية (الديمقراطية) حيث الحب جسر مضيء من المشاركة والتفاهم يمتد بين انسانين .

● **ما هو السلاح الذي تستطيع المرأة ان تسيطر به على الرجل ؟**

ـ التفاهم والاقناع العقلاني والحوار المنطقي المباشر والبعيد عن الخبث . . . هذه كلها هي (أداة) حل المشاكل بين رجل وامرأة . . . اما عبارة (سلاح) فاكره استعمالها في الحديث عن العلاقة بين المرأة والرجل ، فالانسان يستعمل السلاح للحرب وللصيد وانا ارفض كل علاقة مع الرجل تستحيل حرب مناكدة (واثبات وجود) ، او رحلة صيد الهدف منها غرس رايتنا فوق جسد الضحية ودمغ اسمنا فوق جلد الطرف الآخر واعلان ذلك على (المجتمع) ، ثم البحث من جديد عن رحلة صيد جديدة . . .

علاقة المرأة بالرجل يجب ان تسمو عن ان تكون مجرد لعبة صيد . . . أو (ماتش) مصارعة واستعراض عضلات غرامية . . .

● **كيف تصارح المرأة الرجل بحبها . . . وهل يجب ان تكون هي البادئة ؟**

ـ في مجتمعاتنا العربية المعاصرة لا انصح اية فتاة بمصارحة حبيبها بحبها او حتى بأن تكون هي البادئة . . فالحب في بلادي لعبة شد حبل ، وكثير من الرجال هجروا حبيباتهم لمجرد انهن احببن بصدق وعلناً ، فكانت النتيجة ان اتهمن بالابتذال والرخص . . . ان قانون (العرض والطلب) الاقتصادي يتحكم حتى الآن في عواطف الرجل الشرقي . . . ولكن لا . . . فليكن العكس . . . فلتصارح كل فتاة رجلها بما تحس به نحوه بكل صدق وبلا مواربة . . . ولتكن هي البادئة في كسر قناع (لعبة الغميضة) التي يسمونها الحب في بلادي . . . ولتأخذ المرأة المبادرة في محو الخبث من العلاقات . . ولتصارح كل فتاة حبيبها في هذه اللحظة وفورا ، بعد ان تقرأ هذه النصيحة القاتلة . .

● ما هو دور الغزل في موضوع اسمه الحب ؟

- ليس للغزل اي دور في الحب . . . انهما في نظري مستقلان تماما . . . الحب صمت محموم تجسده الأيام في سلوك بناء قد يصير بيتا او صداقة . . الغزل قد يكون العتبة لكن الحب هو الدار والمعبد .

ان من يعيش بالغزل وحده هو كمن يغمس خبزه ببخار الشواء ويتوهم انه يأكل لحما . . ولكن لا بأس في شم رائحة الشواء قبل التهام وجبة الطعام . . . .

خريف ١٩٨٠

زينب حمود تستجوب

● الحب المعافى هو الشمس والايجابية والمصارحة .

ماذا نقول لهذه الدمشقية الراحلة ابدا في دنيا هـذا الكون تستكشف اسـراره ! ماذا نقول لتلك السندبادة الطائرة ابدا . لذلك الحضور الفريد المميز في عالم العـطاء والكتابة ؟

ماذا نقول لغادة السمان الحبلى دائما بالكتب والمتقدة ابدا بنار الكتابة ؟

صديقة الاطفال والفقراء والكادحين وعشيقة الورود والأشجـار والرياحين .

انقول لماذا هذا التدفق والانتاج؟ كلا . . . عيب هذا السؤال . لكن السؤال يأخذ مجراه عندما نسألها ان تقدم نفسها لقراء « العطاء » فنسمع الجواب التالي :

ـ ليس لدي ما اقدم به نفسي غير اعمالي الموجودة في المكتبات : عيناك قدري ـ لا بحر في بيروت ـ ليل الغرباء ـ رحيل المرافىء ـ حب ـ بيروت ١٩٧٥ ـ اعلنت عليك الحب ـ كوابيس بيروت ـ زمن الحب الآخر ـ الجسد حقيبة سفر ـ السبـاحة في بحـر الشيطان ـ ختم الذاكرة بالشمع الاحمر ـ اعتقال لحظة هاربـة ـ ع . غ . تتفرس .ـ صفـارة انذار داخل رأسي ـ كتابات غير ملتزمة ـ وفي المطبعة كتاب الحب من الوريد الى الوريد .

اما طفولتي فهي كطفولة اية فتاة دمشقية يسكنهـا طموح شـاسع . كـطفولـة اية شجرة برية تنبت في العاصفة وتتعلم كيف يصير البرق شريانها لتتغذى به . وبالرغم من الريح التي تحاول اقتلاعها تصرّ ان تمد جذورها في تربة وطنها ، دون ان تفقد القدرة على الانتشار في المسافة بين الجرح والحلم . تفتحت شهيتي على الكتابة وانـا مراهقـة نزلت لاسبح داخل محبرة . فغرقت في المحبرة . وما زلت في ليل التحدي الطويل .

● ما هو رأيك بجيل الشباب المعاصر واين موقعه من خلال كتاباتك ؟

ـ الشباب هم الوقود الحقيقي للمستقبل والامل الوحيد في التغيير . ولا اعني بالشباب سناً زمنية فحسب ، بل اعني روح العطاء والبـذل ، والقدرة عـلى تحويـل الافكار الى

سلوك معاش ، وردم الهوة القائمة بين النظريات والممارسة . . . أعني بالشباب ، العين الجديدة القادرة على الخروج من ركام التقاليد ، القادرة على التحرر من جفون العرف والعادة وتناول الفضاء الانساني الرحب ، كحق من حقوقها ، دونما خوف او وجل .

● هل يمكن لغادة السمان ان تحدد لنا باختصار موقع رواياتها في مسار الروايات العالمية ؟

ـ ان لوثة التنظير والتشهير تسود مناخنا الادبي اليوم . انا شخصيا احب ان اعمل ولا احب التنظير لأعمالي الا بقدر ما يساهم ذلك في التعريف ببوصلة مساري ، انا غير معنية بموقعي (في اول الصف أو آخره) بين الروايات العربية انما معنية بمسار رواياتي في الهم العربي المقيم في صدري والجرح العربي الذي انا مسؤولة عنه ككل عربي آخر لأنه لا بريء بيننا ولا محايد . وهناك نوع من التواطؤ بين السكين والجرح . وبين القاتل والمقتول ولنترك للتاريخ مهمة النقد . أما نحن فعلينا فقط الكتابة .

● غادة السمان . عالمك خاص . حالاتك مميزة ، لغتك . . . ايضا خاصة . انت مليئة بالدهشة والسر . . هل تشرحين لنا . . ذلك .

ـ انا امرأة البراري المكشوفة للضوء والصدق والريح . انا الساقطة في شرك العاصفة . كما انا اميرة الانهيارات في مملكة الزلازل ، انا تلك الريشة في مهب الاعصار اتطاير واتفتت في كل آن وألملم اشلائي الآدمية والسرابية ، لأتطاير من جديد كي اصف من الخارج ألم الاعصار . . . انا . . .؟ آه . . . كمن يسأل الطيور الراحلة عن اسرار ترحالها الغامض . . انها تطير وهذا يكفي .

● ما هو رأيك بالحب . . وكيف يمكن ان تكون صورته الجديدة وفق المعطيات الجديدة للتطور الاقتصادي والاجتماعي التي بدأت تغير في بنية المجتمع العربي . . وهل يمكن ان يكون قضية اساسية تجاه قضايا التخلف والاستعمار التي تواجه الشباب العربي ؟!

ـ الحب في نظري ليس خطيئة ولا وثنا . انه ببساطة « امر واقع » . . . وانا لا أحب أن ننظر الى الحب بمفهومه الضيق . اي بمفهوم العلاقة بين المرأة والرجل وان كنت لا اهرب من ذلك .

لكنني أرغب في التنويه بأن علاقة الشاب النقي بالوجود هي علاقة حب بالمعنى الكوني الشامل للكلمة . . الثوري عاشق : عاشق للحقيقة وللقيم الانسانية ، كالعدالة والحق والخير والحرية والمساواة .

وتحركات الثوري الحقيقي ، هي فعل حب . انه يريد غسل البشاعة عن وجه العالم ، وازالة استغلال الانسان للانسان واللاعدالة والظلم الذي ترزح الجماهير تحته ، ويحول بين الابتسامة ووجوه الاطفال والكادحين . . .

الثوري الحقيقي ، بهذا المعنى هو رسول حب . لكننا (نجفل) عادة من استعمال كلمة (حب) لكثرة ما علق بها من مفاهيم مغلوطة بشعة طيلة عصور . . .

صورة الحب كما نراها في اكثر الافلام المصرية واللبنانية واكثر الاغاني العربية هي تعبير عن موقف هروبي من الحياة وعن نفسية انهزامية هاربة من مسؤولياتها السياسية وواجباتها القومية منكبة على افيون النواح مدعية ان ذلك يحدث باسم الحب وبسبب هجران الحبيب ! صورة الحب في اكثر وسائل (الفن) العربية بشعة ومهزوزة وخاطئة . . انها غالبا تعبير عن استراتيجية منحرفة في مواجهة النزاع الطبقي . مثلاً : دوماً البنت الفقيرة تحب ابن الباشا وتحل مشكلة الفقر عن طريق الهروب من طبقتها ، وخيانتها لها ، والانضمام الى طبقة (الباشا) وزمرته من اعداء الشعب ومستغليه .

وهناك ايضاً (الحب من اول نظرة) وهو موقف آخر هروبي من تحمل مسؤولية الحب الذي يفترض ان يكون (عن سابق تصميم وتصور) . . .

وحتى حكاية روميو وجولييت العربية ، (اعني قيس وليلى) ، فيها تعبير عن الميول الماسوشية المرضية في قضية الحب حيث يؤدي ذلك المرض بصاحبه الى الجنون !

حينما اتحدث عن الحب افكر بالشمس والايجابية والمصارحة والمواجهة والعمل البناء .

وحينما احصي ما بدلته قوى التغيير في القيم الاجتماعية السائدة وما ينتظر ان تبدله في بنية المجتمع العربي اشعر بأن الظروف صارت اكثر ملاءمة ليعيش الفرد العربي حكاية حب صحية بحيث لا (يقع) في الحب بل (يقف) في الحب بمعنى ان يكون الحب عملا مسؤولا مترابطاً مع بقية فعالياته وايجابياتها على المستويات الاخرى .

من المفروض ان الثورات جاءت لتكسر قشرة الرياء الاجتماعي والفروق الطبقية والعقلية العشائرية عن وجه المجتمع ، وهذه كلها طالما سممت الحب وشوهته وحولته إلى طريد يقطن الظلام وربما إلى مجرم ! . .

الحب المعافى لا يمكن ان ينمو الا في مناخ انساني وصحي . ومن هنا كانت حاجة الحب الى ثورة اساسية .

تسألينني عن الحب . وكونه قضية اساسية تجاه قضايا التخلف والاستعمار التي تواجه الشباب العربي ، اقول لك ان الحب المعاق ليس ضد قيام « الثوري » بواجب النضال في وجه قضايا التخلف والاستعمار . . . الحب بمعناه السلبي المرضي الاستعراضي هو طبعا هدر لوقت الثوري وتشتيت لطاقاته عن النضال لانه شبيه بمرض يفتك بالنفس من الداخل . . الحب بلا عقد وبلا انحرافات وبلا قوالب تقليدية وضغوط تعسفية هو كالتنفس . . . ومن يتنفس جيدا يقاتل افضل . . الانسان الذي يعيش بدون حب هو كمن يعيش برئة واحدة . انه اقل حماسا في المجالات كلها .

الحب بمفهومي هو موقف ايجابي من الوجود ، وليس مجرد موقف رومانسي من المرأة فحسب ! الحب ليس حصرا للعواطف فوق رقعة جسد الحبيبة ، بل هو شعاع من العطاء يلف كل ما تقع العين عليه من بشر وارض وقضايا . «اريك فروم» لامس في كتابه « فن الحب » هذه الأفكار بشكل متقن .

● المرأة الشابة لا زالت تعاني . . . هل حررت نفسها . ام حققت شيئا من حريتها على المستويات الاجتماعية والاقتصادية . ترى ماذا تقولين للفتاة الشابة في القطر العربي السوري وهي تواجه مسؤوليات ضخمة ؟

ـ من الخطأ الفادح طرح المرأة لقضيتها على طريقة الحركات الليبرالية البورجوازية التي تحاول تشويه نضال المرأة ووضعه في غير المجرى الثوري الحق الذي يجب ان تصب فيه ، اي ان المطالبة بحقوق متساوية للمرأة بالرجل دون طرح قضية النظام الاجتماعي ككل لا يخدم أحداً .

انني اؤمن بأن تحرير المرأة ليس قضية منفصلة عن تحرير كل الكادحين والمناضلين العرب ، وبقية الطبقات المسحوقة . . فالمرأة في بلادنا العربية هي طبقة مسحوقة بفعل القوى الاجتماعية والتسلط والتخلف نفسه الذي هو سبب عذاب العمال والفلاحين وبقية المسحوقين .

المرأة هي بروليتاريا البروليتاريا ومن الخطأ الفادح تحويل قضيتها الى حكاية (نسوان) والنظر اليها على ضوء مفاهيمنا البالية عن الذكر والأنثى أو اسطورة (شمشون ودليلة) .

قضية المرأة يجب النظر اليها ضمن رؤيا تاريخية تراثية اجتماعية مادية شاملة . ويجب ربط كفاحها من اجل نيل حقوقها بكفاح بقية الجماهير والطبقات المظلومة .

ان تحرر المرأة لا يتم الا بتحرر المجتمع من مستغليه ، والفرد العربي من القوى التي ما تزال تستلب انسانيته في اكثر الاقطار العربية . وكفاحها يجب ان يظل جزءا من كفاح الفرد العربي لانتزاع حقوقه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية . وهكذا فان مهمة تحرير المرأة لا تقع على المرأة وحدها بل هي واجب « الثوري » العربي . وان اية حركة لا تضع في رأس مهماتها تنظيم النساء الكادحات وتهيئتهن للنضال القومي لن تستطع التصدي لتحرير المجتمع العربي .

١٩٨١/٥/٥

محمد حمود يستجوب

● وضع المرأة العربية جزء من وضع المجتمع العربي .

عندما تتكلم مع « غادة السمان » على الهاتف تشعر بأن صوتها قادم من خلف الغيوم ، يشدك اليها رغما عنك . فلهذا الصوت سحر يعرفه كل من يقرأ أدب غادة . ففي أدب غادة السمان روح من التحدي والاصرار على ان تشق لعقلها وقلبها مكانة في هذا العالم ولا شك ان موهبة غادة السمان قد ساعدتها على اقتحام العقبات والأشواك وجعلتها تدخل من الباب الواسع الى عالم احتكره الرجال طويلا وهو عالم التعبير والفن والأدب والبوح والتفكير بصوت مرتفع ومناقشة قضايا الانسان والدنيا بلا خجل .

فهي لا تتردد عن « السباحة في بحيرة الشيطان » وترى « الجسد حقيبة سفر » وفي « زمن الحب الآخر » تمزق غادة السمان اقنعة النفاق وتقدم نفسها امام اعين الآخرين دون حجاب ودون ان تشعر « بالعار » ! اما « كوابيس بيروت » فيكفيها قول النقاد انها عمل أدبي شامخ . اما « اعلنت عليك الحب » فهو نموذج مبدع لأدب البوح العاطفي الرفيع وتجديد للون رائع من الأدب العربي عرفناه عند القدماء مع الكاتب الاندلسي ابن حزم في « طوق الحمامة في الألفة والألاف » ومع الشيخ جعفر بن احمد بن الحسين السراج من ادباء القرن الخامس الهجري في كتابه « مصارع العشاق » ومع ذلك فله مع غادة نكهة خاصة مميزة . اما روايتها الأولى والكبيرة « بيروت ٧٥ » فقد اضافت الى الرواية العربية الحديثة رصيدا غنيا بالتجربة والمعاناة الى حد الاحتراق كما اضافت الى معنى الالتزام صياغة جمالية ثرية الى حد التنبؤ . . . لقد انتهت غادة السمان من كتابة هذه الرواية في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩٧٤ ولم تكد تمضي خمسة أشهر حتى اندلع الجحيم اللبناني من تحت الرماد الأزرق .

وماذا عن « ليل الغرباء » ، في « ليل الغرباء » يشعر القارىء انه يسير على جمر ملتهب من أول سطر الى آخر سطر . لغتها ادبية رفيعة والفاظها مدببة جارحة واسلوب

غادة احتراق ومعاناة ولهاث . وتشدك غادة في قصص « لا بحر في بيروت » الى اغوار للنفس مائجة بالضباب واللهب وبالتناقض والاضطراب وحسبها انها لا تقف عندما ترى وتحس بل تحن ابدا الى أغوار اعمق وابعد والى مزيد من الاحساس بزخم الحياة وحسبها انها بذلك تثور وانها لا تريدك ان ترضى عنها او ان ترضى عن نفسك . اما في « عيناك قدري » فيبدو ان غادة تعاني وتعي ما تعانيه وتحاول ان تؤجج لنا لوحات عنيفة عن انبثاقة الكائن الانساني في الأنثى العربية .

ان غادة الكاتبة في الحقيقة ، شيء لا يمكن الا ان يهزك حتى الأعماق ، تحبها لدرجة الحقد او تتحامل عليها لدرجة العشق ، دون ان تستطيع التعرف الى حقيقتها كاملة . الذين احبوا كلمتها والذين نفروا منها لسبب او لآخر لا يستطيعون إلا ان يعترفوا بتفردها وتميزها . وبالمكانة التي استطاعت اخيرا ان تحتلها .

اما غادة « الانسانة » فهي من اللواتي يعرفن ماذا تعني هذه الكلمة .

● غادة هل توجزين في البداية قصة حياة غادة السمان ؟

ـ اعتقد انه يمكن ايجاز قصة حياتي في عبارة واحدة هي : العمل . لقد كنت باستمرار امرأة عاملة . منذ طفولتي كان اول مشهد انطبع في ذاكرتي كالوشم هو مشهد والدي الاستاذ الجامعي منكبا على كتبه واوراقه . في هذا المناخ الجاد الصارم نشأت . وكبرت والمشهد لا يتبدل . وصار والدي رئيسا لجامعة دمشق ووزيرا للتربية والتعليم والمشهد هو ذاته : رجل غارق بين اوراقه ودفاتره يؤلف الكتب ويسعى لنشر العلم ، وبيت ماتت الام فيه فصار الكتاب امي منذ طفولتي ، ومناخ متقشف لا موضع فيه للابتذال الاجتماعي او حب المظاهر .

وهكذا بدأت عملي الأول كأستاذة في المدارس الثانوية وانا ما ازال طالبة جامعية . وكنت في الوقت نفسه اعمل موظفة في مكتبة الجامعة . بعد ان حزت على الليسانس في الأدب الانكليزي عملت كاستاذة محاضرة في كلية الآداب ، ومثقفة للطالبات فموظفة في كلية الهندسة .

اثناء دراسة الماجستير في الجامعة الاميركية في بيروت عملت في الصحافة واثناء دراسة « الدكتوراه » في لندن عملت ممثلة اذاعية في أل « بي . بي . سي » ومترجمة وعملت في باريس وجنيف وكل مكان تشردت فيه . واذا كان الرحيل قد دمغني ، فان العمل هو الايقاع الداخلي لحياتي كلها . . متشردة كنت ام مستقرة . الآن اعمل

موظفة عند غادة السمان الكاتبة ولأجلها قمت بتأسيس دار للنشر هي « منشورات غادة السمان » وسأعود للعمل في الصحافة من جديد مع مطلع الربيع .

● وما حكاية قصة غادة السمان مع الأدب ؟

ـ يخيل الي ان الأمر يبدأ كهواية . في هذه المرحلة اصدرت كتبي الاولى : عيناك قدري ـ لا بحر في بيروت ـ ليل الغرباء ـ ثم يصير الأمر عشقا في هذه المرحلة اصدرت كتبي : ـ رحيل المرافىء القديمة ـ حب ـ بيروت ٧٥ ـ ثم يصير الأمر ادماناً وفي هذه المرحلة اصدرت كتبي ـ ختم الذاكرة بالشمع الأحمر ـ اعتقال لحظة هاربة ـ مواطنة متلبسة بالقراءة . ثم يكتشف الكاتب ان ماهية العطاء هي مزيج من ذلك كله : الهواية والعشق والالتزام . وفي ظل هذا الوعي كان كتابي : «الرغيف ينبض كالقلب » وهو اخر ما صدر لي «وكتابات غير ملتزمة» و «صفارة انذار داخل رأسي » و « الحب من الوريد الى الوريد » وهي حالياً على « ذمة المطبعة » واعمل الأن على انجاز كتاب « ذات ليلة ذات جرح » وكتاب آخر هو « قراءات لحفلي التأبيني » .

وكما ترى ان حكايتي مع الأدب مشابهة لحكايتي مع الحياة ويمكن ايضا تلخيصها بعبارة : العمل .

لي طموح نسر ، ومثابرة نملة ! . . لقد سقطت حبة القمح من فمي اكثر من مرة ، وكنت دوما اعود اليها لأجرها في الغربة والبرد والوحشة غير آبهة بجراح روحي ونزفي الداخلي تماما كأية نملة اخرى مسكونة بغريزة الكفاح .

● لم يسبق ان احتلت امرأة عربية المنزلة الأدبية التي تحتلها غادة السمان في الأدب العربي المعاصر ، إلام تردين اسباب نجاحك ؟

ـ الى وعي الشعب العربي وفضوله العلمي . ليس صحيحا ان الشعب العربي لا يقرأ ، كل ما في الامر هو انه يختار ما يقرأ ، ولولا الأمية المتفشية في وطننا العربي لكنا امام شعب من اكثر شعوب الأرض اقبالا على المعرفة . وانا سعيدة بمكانتي في نفس القارىء العربي ، واعتقد انني مدينة ايضا بما حققته من مكاسب لأمر بسيط هو : استعدادي للخسارة وقدرتي على التخلي عن كل ما احب من اجل ان اكتب بصورة افضل . لقد تعلمت منذ البداية ان حكمة ما تكمن وراء وجود يدين فقط للأنسان (بدلا من ثمانية اذرع كما للأخطبوط مثلا) ! فكأن على الانسان ان يفهم انه لا يستطيع ان يمتلك كل شيء دفعة واحدة ولا يستطيع ان يقبض بيديه جيدا على اكثر من شيء واحد في الحياة . لقد اخترت الأدب ـ او انه هو اختارني ـ ومن اجله تخليت باستمرار عن اشياء كثيرة

ومكاسب اخرى . ان الاستعداد للخسارة والقدرة على التخلي هي صفة يجب ان ترافق الذين ينذرون انفسهم لهدف ما لا يحيدون عنه . ويجب الا تشوب هذه الصفة مشاعر المرارة او الندم او الأسف او الاستعلاء !!

● هل بالأمكان تعريف القارىء عن ابرز الموضوعات التي غالبا ما تحاولين التركيز عليها فيها تكتبين ؟

ـ ربما كانت المحاور الأساسية التي تشكل خلفية سطوري هي الهواجس التالية : الحرية ، حرية الانسان داخل مجتمع ، لا داخل غابة مفترسة ، اي حرية الانسان بالمعنى المسؤول للكلمة . العدالة : الانسان مع ذاته ومع الآخرين . الصدق : في مواجهة زمن الاقنعة والزيف وعلاقات الرياء والمخادعة تلك التي تفرغ الانسان من سموه وتحوله الى هيكل ملون اجوف . . . المحبة : بالمعنى العميق والشمولي للكلمة .

انني باختصار اطمح الى عالم اقل شراسة وقسوة وبشاعة ، واطمح الى علاقات يسودها التفهم وابكي بصمت لموت الحنان والرقة والعذوبة وانقراضها التدريجي عن كوكبنا ، واطمح في ان تحمل سطوري صرخة ـ ولو خافتة ـ صرخة احتجاج وصرخة شوق الى شمسها .

● بعد ان أثبت امكانية المرأة العربية على العطاء بل على الابداع ، ما رأيك بوضع المرأة العربية مالها ، وما عليها ؟

ـ لا احب السذاجة التبسيطية التي يتبناها كثيرون والتي تنطلق من المقولة التالية : الرجل العربي يظلم المرأة يسلبها حقوقها . الى آخر هذه النغمة النواحية .

ارى ان القضية اكثر تعقيدا من ذلك . فالمرأة جزء من كل وهذا (الكل) هو المجتمع العربي . ومن البديهي ان تنعكس على شاشة حياة المرأة كل ما يقاسي منه مجتمعنا من عذابات وامراض .

اذن انا لا انفي الظلم الاضافي الواقع على المرأة، الظلم المركب . لكنني انفي ان الرجل يتعمد ذلك او انه المسؤول الاوحد . هنالك عوامل نفسية اجتماعية متبادلة خلقت عذاب الرجل والمرأة معا في هذه المرحلة الانتقالية التي تعيشها مجتمعاتنا . وهكذا فوضع المرأة العربية هو جزء من وضع المجتمع العربي ولا يمكن مداواة وضعها خارج الاطار العام ولا يمكن لها تحقيق مكاسب جذرية خارج اطار مكاسب المجتمع ككل .

● ولكل اديب مبدع مصادر يستمد منها ما يكتب او بتعبير النقاد يستوحي منها ما يكتب . ما هي هذه المصادر بالنسبة لغادة السمان ؟

ـ الصمت والعزلة . ففي الصمت تأتي الأصوات اللامسموعة ، الاصوات الحقيقية ، تأتي بزخمها كله لتقرع جدران رأسي من الداخل ، وتتفجر اصوات الينابيع الداخلية والعناصر ، وتهب رياح النفس البشرية حاملة اصوات النوازع بعيدة الاغوار . . . في الصمت ترهف الروح اذنيها ، وتعيد الانصات الى شريط احداث الحياة اليومية فتختزلها ، وتستخرج منها الكلمات التي لم تقل ، والصرخات التي تم خنقها وراء كمامات اللياقات ،والاظافر التي تم سترها تحت قفازات المجاملة او الزيف وتسمع صرير تلك الاظافر المخالب وهي تجرح زجاج الليل المغسول بامطار الحزن القلبي الحقيقي .

وفي العزلة يأتي الآخرون حقا الينا . وفي العزلة نراهم بشكل افضل ونحبهم بشكل اعمق ، ونتواصل معهم ، مع جراحهم حتى الالتحام .

في الصمت والعزلة يصير بوسع الكاتب ان يفتح جرحه ليتدفق عبر الجرح الى الدورة الدموية الواحدة لمجتمعه ، يسبح فيها كالسمكة ، ويتأملها ويذوب فيها ويصير من بعضها ويرسل شارات الاستغاثة ويطلق شهادة الوعي بما كان وما قد يكون ! . .

● **ما هو الأثر الادبي الذي تعتبرينه الأكثر تعبيرا عما تشعرين وتفكرين به ؟**

ـ انه الأثر الذي لم اكتبه بعد ! . . مأساتي انني كلما انجزت كتاباً قلت : هذا هو ! ومع فجر اليوم التالي اعود فانكره وانكب على كتاب جديد .

هذا الشعور الدائم بعدم الانجاز يعذبني باستمرار ، يحثني باستمرار على محاولة بعد الاخرى . يخيل الي انني لحظة احتضر ، سأصرخ وانا ممددة فوق فراش محشو بآلاف الصفحات التي كتبت : يا الهي ، سأموت قبل ان ابدأ بالكتابة !! . . . .

شتاء ١٩٨٢

سوسن شريف تستجوب

● المخيف ليس الـزمن ، بل الـزمن المهدور !

● هل فرضت التقاليد والتراث يوماً ما عليك قيوداً انطلقت منها او دُرْتِ في مدارها، ام انك تمردت واتجهت في غير تلك الطريق ؟

ـ علاقتي والتقاليد والتراث غير عدوانية . انني اعي زنزانة التقاليد ، ولكن سجينها هو السجان ذاته . بعبارة أخرى ، بعض الناس يفضل الهرب من مواجهة تحديـات الحياة بالهرب الى زنزانة ذاتية من السلبية ويلقون بمسؤولية هربهم على التـراث . اتعامـل مع التراث كمادة حية غنية بالامكانات . آخذ من التراث ما هو (انساني ومستمـر) وانبذ القشور والاقنعة . ابحث باستمرار عن الجوهر ، وأهمل ما تبقى من خرافات . احترم الخبرات المتوارثة . أسخر من الخرافات المتوارثة . .

وحين اتحدث عن العلاقة بالتقاليد والتراث لا اعني العـلاقة بـين الرجـل والمرأة فحسب ، وانما أعني عاداتنا وتقاليدنا التي تمس نواحي حياتنا كافة ، كطقـوس الزواج والموت والأعياد والعلاقات الاجتماعية وسواها . وهكذا فأنا لست من أنصار « التمرد للتمرد » وانما من انصار التمرد لأجل الأفضل والأجمل .

● ماذا تعني لك المساواة بين المرأة والرجل ، وعن اية حقوق تبحث المرأة ؟

ـ تعني لي إطلاق طاقة مهدورة وتوظيفها في خدمة الوطن . هذا على الصعيد القومي . وتعني لي منح حق الحياة والخطأ والصواب لفئة مقموعة من البشر . هذا عـلى الصعيد الانساني . عن اية حقوق تبحث المرأة ؟ عن الحقوق نفسها التي يكافح من أجلها رفيقها الرجل .

حق الحرية السياسية والفكـرية ، والحق في حيـاة كريمـة اقتصاديـاً وانسانيـاً . الحق في توفر الفرص للجميع دونما اعتبارات طبقية او طائفية او شوفينيـة (انثى ـ ذكر) من

هنا لا يمكن فصل قضية تحرر المرأة عن قضية تحرر الرجل العربي . والمرأة العربية لا تطالب في الحقيقة بالمساواة مع الرجل العربي لأنه هو نفسه لا يتمتع حقاً بحقوق يحسد عليها . .

ومن هنا لا بد من صهر نضال المرأة داخل بوتقة نضال المكافحين جميعا من أجل حياة أفضل للانسان العربي .

● **لماذا أبواب السياسة موصدة أمام المرأة اللبنانية . وهل غيابها عن الحياة السياسية غياب مجبرة عليه ؟**

ـ المرأة اللبنانية ليست غائبة تماماً عن الحياة السياسية بوجه عام . انها غائبة عن الحياة السياسية (التقليدية) ، لكن حضورها أكيد وفعال ضمن صفوف القوى الوطنية الصاعدة .

ثمة حقيقة لا نستطيع انكارها : الاكثرية الساحقة من النساء اللبنانيات ـ بعيداً عن واجهة النساء المرفهات الاقلية ـ هن نساء كادحات بمعاني الكلمة كلها ،لكنهن غير منظمات واكثر الكادحات هن طبقة ربات البيوت اللواتي أكن لهن احتراماً حقيقياً ، فعملهن شاق ويومي وبلا إجازات ولا رواتب تقاعدية ولا ترقيات ! . . . هذه الاكثرية الساحقة من نساء بلادي ما تزال محرومة من التعليم ومن التوعية والرعاية مما يجعلها طاقة مهدورة في درب العمل السياسي . . . ان التوجه الى الكادحات اللبنانيات وتنظيم صفوفهن ضرورة ومهمة غير سهلة . . . إذ كيف نقنعهن اولاً بأن مهام الرحم (الانجاب) ليست بالضرورة ضد مهام (الرأس) ؟؟ . . . وأن مهنة (ربة المنزل) لا تلغي مواطنيتها ولا تحرمها من ممارسة حقوقها ـ بل واجباتها ـ القومية الأخرى ؟ . . . وكيف نقنعها بأن (أمومتها) لا تلغي (مواطنيتها) ؟ . . .

● **الزمن يخيف المرأة ، ويجعلها في كثير من الاحيان تسعى لمسابقته أو تجاوزه . غادة السمان ، هل يخيفها الزمن ؟**

ـ الزمن يخيف أصحاب المهن التي تتطلب مهارات جسدية معينة ، رجلاً كان ام امرأة .

الزمن ضد الملاكم ، وضد لاعب التنس ، وضد راقصة الباليه أو بطلة الجمباز ، ضد المرأة التي تعتاش من جمالها او الزوجة التي مهمتها الوحيدة في حياة زوجها هي (الانجاب) . . .

بوجه عام ، الزمن ضد كلوديا كاردينالي مثلا ومع مدام كوري . الزمن ضد محمد علي كلاي ومع اينشتاين وبرناردشو . كل من تتوقف أساسيات حياته على محور الجسد ،

يخسر مع الزمن ، وكل من يمارس وجوده في حقل الفكر يربح مع الزمن . .

بنـظري : الزمن ليس مخيفـاً ، المخيف حقاً هـو الزمن المهـدور ، بـاختصـار : لاتصدقي ياعزيزتي ان الخوف من الزمن مكرس للمرأة . الرجال يخافون الزمن لكنهم يتسترون على ذلك ، واسألي أبطال قصصي ! . . .

● **هل أنت جريئة في الحب وفي الحياة كما انت جريئة في كتابتك ؟**

ـ نعم . أقولها ببساطة ودونما مواربة !! . . .

١٩٨١/٢/١

مريم ابو جودة تستجوب

● دوري التحريضي في حياة المرأة العربية لا أنكره . نريد العدالة الانسانية لا « العدالة المذكرة » !

في كلماتها الينا تثقب شرنقة المألوف لتطير فراشة حرة في فضاء لا يحد . في المرأة ترى عقلا ينبض بالعاطفة . لكنها تعارض الدمعة المهدورة في عينيها . ولكي لا تنكر دورها التحريضي ككاتبة في حياة المرأة العربية كان هذا اللقاء :

● ارتبطت غادة السمان بالمرأة العربية كأنها العقل الموجه والمحرك . لكنها بالرغم من حريتها التعبيرية المطلقة في السرد والوصف والتفسير ، ظلت محاصرة بخوف مجتمع الرجل منها . وهكذا رحنا نشعر بأنها تحاول تثبيت الانثى فيها بخلق عقدة نقص الرجل تجاهها .

ـ انا لا انكر دوري التحريضي في حياة المرأة العربية . ولكن لم يحدث مرة ان حرضتها ضد الرجل بالذات . انني احرضها ضد نفسها ، ضد مخاوفها ولحظات ضعفها ، واحاول ان اسقي نبتة الثقة بالنفس المحرومة من الضوء في داخلها . واحرضها ضد قوى القمع غير العادلة التي تحرمها حقها في انسانيتها . لا اشعر بانني محاصرة بخوف الرجل . اشعر انني محاطة بحب الرجل الانسان الذي يشتهي تطبيق العدالة على كائنات الطبيعة كلها دون ان يستثني المرأة من ذلك .

● الحرية اسم ولفظة للمرأة بشكل مطلق . ولانها كذلك ، كيف تنظرين الى حريتك ككاتبة انطلاقا من ماضيك حتى اليوم ؟

ـ انا لست ابنة الفراغ والفوضى . انني حصيلة مجتمع معين ، وحتى حريتي المطلقة ككاتبة يحيط بها ذلك المجتمع العربي بكل سموه وسقطاته . . ككاتبة ارى في حريتي كسبا لمجتمعي وشهادة لصالحه . ها انا اثقب شرنقة المألوف واطير في افق المعرفة الرحب فراشة حية ولا اعاقب بشكل (مطلق) . . . ربما لانني وعيت ان الحرية لا تولد في فراغ

المطلق ، ولا خارج الجماعة ، وجـذورها مغـروسة في ارض الاخـرين بالـرغم من ان فروعها تسكن الغيمـة والحلم . لقد وعيت دومـا تلك المعادلـة ـ المفارقـة : قد يكـون الاخرون قيدا ، ولكن لا حرية خارج اطار الاخرين الذين ارتبط والتزم بهم .

● كلماتك غادة السمان ترددها المـرأة ، لكن في احيان كثيرة لا تفهم ماذا تريدين من ورائها . اي ان انقيادك احيانا وراء « العبث » او « اللامعقول » في اسلوبك القصصي يخلق جدارا من الايصال بينك وبين المرأة القارئة . لماذا ؟ وكيف تفسرين اسلوبك ؟

ـ اسلوبي موجات مختلفة لبحر واحد . اسلوبي رغم وحدة النبع يختلف من موضـع الى آخر . اسلوبي في بعض قصصي القصيرة يصح فيه ما قلته . لماذا ؟ لانني كفنانة لا املك اجوبة نهائيـة بخصوص تلك القضـايا الانسـانية والكـونية التي طـالما حيـرت الفنانـين سواي . القارىء الذي يريد اجوبة محددة او مشاعر واضحة ، عليه ان يفتش عنها في كتبي الاخرى ، عليه ان يتجنب مثلا كتابي « ليل الغرباء » الذي يفجر في النفس لوعاتها الغامضة وجوعها الى الحنان والحب في قحط من الخواء ، وعليه ان يقرأ مثلا « اعلنت عليـك الحب » . وهذا لا يعني انني اجـد كتاب « لـيـل الغربـاء » افضل من « اعلنت عايـك الحب » ، لكن اسلوبي في الكتـاب الثـاني مختلف ، لان الاسلوب هـو امتـداد للموضوع وكل ما في الكتابين يحاول نبش مشاعر مختلفة . من يفتش عن حد ادنى من الوضوح المطلق عليه ان يتجنب ايضا قراءة « رحيـل المرافىء القـديمة » وان يقـرأ كتابي « صفارة انذار داخل رأسي » او « الجسد حقيبة سفر » او « كتابات غير ملتزمة » .

● اذا كنت محرضة في مجتمع يقوم على الدونية ، او النكوص والكبت ، فهل انت ردة فعل لذلك ام فعل يهدف الى التغيير والتطوير ؟

ـ يخيل الي ان الفعل وردة الفعل يمتزجان في هذا المجال ، ويصعب تحديـد اين ينتهي الاول ويبدأ الآخر . حينما يتلقى الوجه صفعة ، تركض الدماء اليه ـ كحد ادنى من ردة الفعل ـ المهم الا يكون سلوك الانسـان مجرد ردة فعـل آنية هـوجاء . المهم ان يخـطط الانسان لألمه ، وان يحفر له القنوات البناءة ، كي لا يكون الرفض سيلا يجرف السيء والطيب معا ، وانما كي يكون الرفض نهرا موحدا لسواقي القهر التي يحس بها المقموعون جيمعا من امرأة ورجل . وهذا ما اطمح الى تحقيقه دوما في سطوري .

● كيف تنظرين الى المرأة كعاطفة ؟

ـ لا انظر اليها كعاطفة فقط ، مهدورة كدمعة ، اراها عقلا ينبض بالعاطفة . انها عقل انساني الحنان .

● قلب المرأة الكاتبة يتحول احيانا الى دماغ محرك للشعور ، هل يعود هذا التحول الى تثقيف الرجل لها ، ام ان الحدس الذي هو اسبق وعيا فيها هو الحركة الفاعلة والمنفعلة في وجودها .

ـ الكاتبة بحاجة الى ادواتها كلها وابرزها الثقافة والحدس معا ، لكن المرأة لا تكتب بانوثتها وانما بانسانيتها . انها لا تمانع باستخدام اية ادوات اضافية زودتها الطبيعة بها كالحدس مثلا ـ اذا فرضنا جدلا ان المرأة تملكه اكثر من الرجل وانا اشك بذلك ـ لكنها لا تنسى ان تشحذ بقية الأسلحة الإنسانية التي اسبغتها الطبيعة والحضارة على الجنس البشري .

● ما دامت الانوثة هي الانوثة ، وما دامت الذكورة هي الذكورة ، ما الفرق بين الاثنين ؟ وما هي المميزات لكل منهما اذا اعتبرنا الانوثة قلبا والذكورة عقلا ؟

ـ الانوثة قلب ، والذكورة عقل ؟ . . . ارى في ذلك تبسيطاً شديداً للاشياء يشوه جوهرها .

ربما كانت الوظيفة الاجتماعية للمرأة التي تعاطتها مرغمة احيانا على مر العصور قد نمت لديها موهبة القلب وشغلتها عن حصاد العقل . لكن ذلك مجرد نتيجة لسجن طاقاتها الاخرى . تماما كما يحدث حينما نسقي بذور نبتة فتنمو ونحرم الاخرى من الماء والضوء والرضى الاجتماعي . وانا شخصيا اعتقد ان الفرق الوحيد بين الرجل والمرأة هو طاقة الانجاب ، وهو فارق لصالحها ! لكن المجتمعات المتعاقبة ، بدلا من ان تكرم المرأة لطاقتها الاضافية على الخلق ، حرمتها من حقها في الخلق في بقية الحقول الاخرى الفكرية والانسانية والعلمية . . وبذلك اضاف الانسان الى جرائمه على مر العصور جريمة حرمان فئة النساء من حقوقهن اسوة بفئات اخرى طالما حرمت من حقوقها وربما ما زالت . ان المرأة تنتمي الى طبقة المحرومين التي يحاول الفنانون والطيبون والمكافحون (عتقها) اينما وجدت .

● اين وصلت تجارب المرأة في عصر يحكمه الرجال ؟ هل يعود اليها امر المشورة ، ام ان حنانها الاكبر كأم وحاضنة عاطفية للاطفال هي الحقيقة الواقعية والملموسة في حضارة اليوم ؟

ـ النظريات الملونة كثيرة تجدها في اي كتاب يتحدث عن « تحرير المرأة » . حسنا . لنكن أكثر واقعية ولنعترف: الأطفال بحاجة إلى رعاية. والبيت بحاجة إلى تنظيف. ولا تستطيع المرأة ان تقذف باطفالها من النوافذ وان تترك العنكبوت يحتل الاثاث وان تتناول

وزوجها وجبة طعام من النظريات عن تحرير المرأة او ان يلتهما بعض صفحات من مقدمته ! مأزق المرأة العربية امر واقع يجب ان نجابهه :هنالك (كمية) من الاعمال البيتية الرتيبة يجب ان يقوم بها شخص ما ولا مفر من القيام بها. الخادمة ؟ هذا حل لمشكلة عدد محدود جدا من النساء العربيات . (ثم ان الخادمة هي بدورها امرأ ة) . . . ماذا تفعل الاكثرية الساحقة من النساء العربيات لتحرير طاقاتهن الخلاقة كلها دون ان يكون الثمن تدمير البيت العربي ؟ الحل لن نجده عند المرأة وحدها ، ولا عند الرجل وحده . الحل يبدأ من تفهم المجتمع لهذا الواقع ، ومن تعاون عملي وفعال لايجاد حل لا نخسر فيه انوثة المرأة كي نربح انسانيتها . فالام حقيقة اكبر من النظريات كلها ، واطفالنا ليسوا بعد من اطفال الانابيب !! . . . ان المرأة العربية بحاجة الى حل ينبع من واقعها ومن تفهم عميق لحقيقة تراثها بحيث لا تخسر حقيقتها كأم ولا تدمر حقيقتها كعضو فعال منتج في المجتمع .

● لن نسألك عن الحب ولا عن العلاقات الحرة بين الرجل والمرأة ، وانما نحاول النفاذ معك الى عقل الحب والى عقل غادة . كيف تنظرين الى هذه اللغة بين الرجل والمرأة ، وما هو القاموس الصحيح الذي تقاس به هذه اللغة ؟

ـ « العدالة الانسانية » لا « العدالة المذكرة » . ان لا يطلب الانسان من سواه ما لا يرضاه لنفسه . فكلنا نقف سواء امام الحق . والمرأة لم تخلق من فصيلة مختلفة عن الرجل . والامومة التي حبتها الطبيعة بها كملكة اضافية يجب ان تكون موضع تكريم لا مبررا لاضطهاد .

١٩٨١/٢/٢٦

نهى الغور تستجوب

● تـاء التـأنيث سـور بشكـل دائرة .

الاديبة والروائية والقاصة ـ « غادة السمان » ـ حملت مشعل الرفض المطلق لكل ما يقيد الذات الانسانية المحلقة في فضاء هذا العالم . .٠« غادة السمان » أعلنت حبها للانسان والحياة على شكل أناشيد وروايات وقصص ارادتها حرب ابادة ضد كل القيم والافكار والمبادىء الصنمية ، فراحت تنحت أفكارها بـإزميل الجـرأة الثقافيـة تارة ، وبـإزميـل العقـل البـاطني المنفلت من قيـود الـوعي المـراقب ـ بكسر القـاف ـ تـارة اخـرى . . . « غـادة السمـان » صـوت أدبي يـدوي في آذان القـارىء العـربي منـذ سنين . . .

ونبحر في لجة الحوار مع « غادة السمان » ميممين شطر بداياتها الكتابية منذ ان كانت طفلة في سن التاسعة من عمرها . . ونسألها :

● المعروف عن غادة السمان ، ابنة التاسعة من عمرها انها قـرأت لفيكتور هيكـو ، وبرناردشو . فمن الذي وقف وراء هذه الثقافة المبكرة ؟

ـ والدي . . . فلقد اطلعني على كنوز الادب العالمي ، وعلى كتب التراث العربي قبل ان ابلغ سن المراهقة . خطفني من الطفولة الى النضج ، ومن النسيان الى الجرح ، فوعيت منذ البداية ان الحياة ليست نزهة لقطف التفاح ومطاردة الفراشات في حقول اللهو .

● من الذي دفعك الى اخذ منهج الوجودية ؟ وهل هو منهج مستمد من ارض الواقع ؟ أم أنـه من نشادك للتطور المستمر ؟ وبمعنى آخر نخالك مسافرة دائماً فكرا وجسدا . . فمما سبب هذا التأرجح في حياتك ورحيلك ؟

ـ ليس هنالك اجماع نقدي على ان كتاباتي يمكن ادراجها في خانة نهج الوجودية . بعض النقاد يميل إلى وصف أعمالي الاخيرة بأدب « الواقعية » .

اما اذا كان التساؤل يشمل حياتي الشخصية ، فأنا اعتقد ان الفنان الذي لا يتطور ينتهي .

الثقافة وسعة الاطلاع والرحيل ، هذه كلها ، ادوات ضرورية لتوسيع افق الفنان وتجديد ابجديته .

● **عشت البوهيمية والوجودية بتجربة عميقة وواسعة ، فما مدى انعكاسهما على كتابتك ؟**

ـ نعم عشت البوهيمية والوجودية ، لكنني عشت ايضاً اشياء اخرى كثيرة .

عشت العمل والغربة والاستقلال والمسؤولية .

الكاتب وحدة لا تتجزأ . ومن الصعب عزل جانب واحد من جوانب حياتي ورصد انعكاسه على كتابتي. من هنا اقول لك ببساطة: لا اعرف بالضبط مدى انعكاس (بوهيميتي) على نتاجي سلبا او ايجابا ، لكنني اعرف انني عشت كل لحظة من حياتي بكل ما في طاقتي على النبض والاخذ والعطاء ، سواء في ازقة « سوهو » الموحلة او في اروقة المتحف البريطاني الباردة كتحية اجتماعية ارغامية ! . . .

● **بعض الكتاب القصصيين يستقون قصصهم من الواقع ، والبعض من تجاربهم الخاصة ، والمعروف عنك ، ان تجربتك الذاتية طاغية . . . اكثر من التجارب الانسانية فهل انت هكذا فعلا ؟**

ـ ثمة خطأ نقدي شائع يفصل بين ما يدعى « التجربة الذاتية » و« التجارب الانسانية » . . . انا انتمي الى مدرسة نقدية اخرى عبر عنها الكاتب « البيروني » ذو الشهرة العالمية « ماريو فاغاس لوسا » بقوله : « التجربة الذاتية هي مصدر جميع الكتابات وحتى « الفنتازية » منها ، كحالات «بورغيس»و«كافكا » والفرق الوحيد يعتمد على درجة وعي الروائي ازاء مادة الخلق . إنه أمر غير ممكن اختلاق كل شيء من الصفر والفراغ » .

● **لماذا لم تتخصصي بادب الجريمة ؟**

ـ ربما لانني افضل القتل . . . حبا !! . . . والحب من الوريد الى الوريد ! . . .

● **احببت اباك لدرجة التفرد . . . فهل وجدت في شخصية كل رجل صادفته واحببته ، الصورة الواضحة لابيك الحبيب ؟**

ـ في الحب انا لا انشد التكرار ولا ابحث عن البديل . . لقد احببت ابي حبا هائلا يستحقه ، لكن ذلك الحب لم يتحول الى هوس . فانا اعرف ان كل رجل هو كائن

مختلف وفريد كبصمة الاصبع . . . وابي لن يتكرر .

لكنني لا انكر انني ما زلت اقدر صفات ابي : سعـة العلم والمعرفـة . التواضـع الجم . المرح . ولا انكر انني افرح حين اجد هذه الصفات ،بعضها او مجتمعة في كائن حي اخر . . . ان ذلك لا يعني بالضرورة انني ساقع صريعة غرامه فورا ، لكنـه يعني ان امكانات نشوء علاقة انسانية بيننا قد تزايدت .

● **المعروف عنك انك المحرضة العنيفة على حريـة المرأة . . . فكيف استـطعت تنمية مفهوم الرجل الشرقي بالمرأة الشرقية ، ومن اي منطلق ؟**

ـ من منطلق المشاركة في العمل وفي حمل المسؤولية . من منطلق وعي الواقع الموضوعي الذي نعيشه والمأزق الذي يواجهه الوطن . من منطلق الخـوف من ابادتنـا نحن الذين نتلهى عن الزلزال بقضم الاكاذيب . من منطلق الحاجة الى اطلاق سراح نصف سكان هذا الوطن الذين تم سجنهم داخل « تاء تأنيث » التي حولناها الى سور بشكل دائرة .

● **في كثير من الاحيان ، المرأة لا تستطيع ان تدرك ابعاد الكلمة التي تقولينها من حيث مـدلولهـا ومغزاهـا ، وهذا مـا يجعل بحثـك عن الحقيقة المطلقة تخلق حـاجزا بينـك وبينها . . . فلماذا ؟**

ـ انا اؤمن بذكاء قارئي ، ولا اعتقد ان المرأة لا تستطيع الطيران مع كلماتي . وهي اذا لم تفعل في مرحلة ما ، فستفعل في مرحلة اخرى . . . فأنا في جوهري لا اكتب كراسات موجهة للمناداة بتحرير المرأة . انا اكتب ادبا ، والادب يتضمن دعوة لتحرير الكائنات الحية كلها من اي اضطهاد وتمييز . وهكذا فانا لا اؤدي (نمرة) في سيرك المناداة بحرية المرأة ، لكنني اكتب حروفا اتمنى ان تبقى حتى بعد ان تتحرر المرأة . فحروفي مكرسـة لكل متألم ومعذب ايا كان جنسه ولونه وعصره .

● **ما هو مفهومك لحرية الرجل ؟**

ـ الشمس للجميع ، شرط الا يلقي احد بظله فوق الآخر من انثى ومن ذكر ! . . .

● **يقولون انك عنيفة مع الفكرة . فهل هذا هو انعكاس لشخصيتك الحقيقية ؟**

ـ لا انكر انني معجبة بالملمس الناعم لحد الشفرة . . . القاطعة !

محمد غشام يستجوب

● المرأة والرجل ، لا خلاص لأحدهما دون الآخر
● امقت ارتداء اقنعة الزيف ومسوح الزهد المفتعل !

(التمرد الجميل) كان هو الجناح الذي حلقت به غادة السمان من ارض التقاليد والرتابة والخضوع الدائم . . وهو الجناح الادبي الذي انفلتت به من قفص الظلام ـ من الماضي ، ليبهرها فضاء الحرية الاخلاقية ، المضاء بشموس العصر الحضارية من حولنا . ولذا اقتبست من ذلك الضياء ما اصبح مشعل الابداع في وجدانها وأزهر رياض البيان الادبي الجميل الذي تصوغ منه عبير الفكر والفن والعاطفة ، وتتراءى لها من خلاله اطياف الخيال ، كل ذلك زها في مؤلفاتها الغنية عن التعريف .

ولكونها امرأة عربية انطلقت وواصلت مسيرتها بشجاعة وثقة ، واخترقت جدران المألوف ، عمدنا الى استنطاق الهواجس والافكار والمواقف والعواطف التي تصطخب في اعماقها من خلال الحوار التالي :

● نود العودة الى الذكريات والى المناخ والمؤثرات التي اخصبتها في خاطر غادة السمان ؟

ـ دعنا يا أخي من حديث الذكريات فهو يطول ، وقد يقذف بنا الى صحارى الالم ووديان الندم . . . بايجاز اقول لك : كنت طفلة عربية ورثت في دمها خبرات حصنتها ضد الخوف والالم السلبي . . . طفلة مسكونة بكل ما في جداتها النساء العربيات من صلابة وطاقة على الاحتمال ورغبة في العطاء والمشاركة في بناء مجتمع اكثر صدقا وعدالة .

● من التي اختارت الاخرى انت ام الكتابة . وماذا تعتبرين الادب . . . متعة ام رسالة ؟

ـ الادب فن ورسالة . والفن الحقيقي لا يمكن الا ان يتضمن رسالة ما . فالفن لا ينمو في الفراغ . . والفنان هو ابن لمجتمع معين يتأثر بواقعه وقضاياه ، وعزلة الفنان عن قضايا وطنه تقتله ، ولكن تحويل فنه الى مناشير وشعارات ببغائية يقتل هذا الفن ايضا .

المهم باستمرار هو ذلك التلاحم الخلاق بين الفن والرسالة ، والتزاوج العفوي غير القسري بين القصة والهدف منها . . لا تضاد بين الابداع والرسالة . بل هنالك نوع من التكامل تصهره نار الموهبة لتتحول اللغة الى نسيج حي ، والحروف الى فراشات ملونة حيناً والى ألغام أحياناً !

● **نراك تنتقلين بين القصة والرواية والشعر ، فأي المرافىء تؤثرين ، وما هو مرماك الاخير الذي تودين الرسو عنده في النهاية ؟**

ـ اطمح الى ان ارسو في مرفأ الابداع سواء ركبت مركب القصة او الرواية او الشعر . . . لكل لحظة مركبتها ، لكل خاطرة قالبها . لكل فكرة جسدها الفني الذي تحل فيه . . . يخيل اليّ ان فعاليتي الاساسية تكمن في كتابة الرواية . لا شيء نهائياً حينما تأتي لحظة التوهج والتفجر ، لحظة الكتابة . وما قلته حول علاقتي بالرواية هو وليد خبرتي السابقة ، ولكن ما أدراني بخبراتي اللاحقة ، انا الشاردة في مهب اعصار العطاء مثل نورس فضولي ؟

● **اتوقف عند كتابك « اعتقال لحظة هاربة » لماذا « اعتقال ؟ » وما هو جذرها البعيد في نفسك ؟**

ـ كلمة اعتقال تفرض نفسها على قاموسنا العربي انطلاقا من الواقع الحزين الذي تعيشه بعض اقطارنا . . . لكنني في كتابي هذا كنت اتحدث عن « اعتقال » من نوع آخر يمارسه الفنان باستمرار مع اللحظات الهاربة . .

فالعمر لحظة هاربة . . . الحب . . الصداقة . . لحظات الصدق العذبة . . . لحظات الجمال المغسولة بالوفاء ، كما المدن الليلية في الشتاء الماطر . هذه كلها لحظات جميلة ومضيئة لكنها هشة كالازهار ، عابرة كالطائر الدوري . . . هنالك لحظات يتمنى الانسان فيها لو ان بوسعه ايقاف عقارب الساعة وانهيارات رمل الزمن . . يتمنى لو ان كل شيء يتحجر لحظتها ويدوم . . . المال يقف عاجزا عن اعتقال لحظة هاربة . . . السلطة والثروة . المجد والقمع والبوليس العلني والسري . . . كل اولئك لا يستطيعون اعتقال لحظة هاربة . . وحده الفن يقدر . . . وحده الفن يستطيع احتواء ذلك الجمال كله ، ذلك الحنان كله ، تلك المخاوف كلها ، وذلك القهر كله . . وهذا بعض

طموحي في « اعتقال » لحظة هاربة . . لقد اعجب الشاعر بايرون ذات يوم باناء اغريقي فخلده في قصيدته الشهيرة « انشودة الى اناء اغريقي » . . . لقد انكسر الاناء ولكنه ظل جديدا ونضرا داخل القصيدة دونما خدش وحتى « حينما تحترق الاوراق تطير الكلمات بعيداً » .

● **هل تعتبرين رواج كتبك انجازاً عاماً من اجل التغيير ام تشعرين في قرارة ذاتك بالمجد الفردي ؟ وهل تعتبرين انك حققت بها مكاسب ذات اهمية للمرأة العربية ؟**

ـ بما انني امقت ارتداء الاقنعة، اقنعة الزيف ومسوح الزهد المفتعل اعترف لك بكل بساطة انني في قرارة ذاتي سعيدة لأنني استطعت الوصول الى قلب القارىء العربي . واعتقد ان كل انسان ينكر على نفسه فرحة شخصية بنجاح حققه هو شخص يخفي حقيقة ليست مدعاة خجل لأنها جزء من الطبيعة البشرية . . هذا اولاً . . . ولكنه ليس كل شيء !!

انني اعتبر وصولي الى قلب القارىء العربي انجازاً فنياً ، وشهادة حضارية لصالح الفرد العربي الذي لم يرفضني لمجرد انني انثى ، ولم يقبل عليّ للسبب ذاته ، وانما كان تعامله مباشرا مع حروفي وعطائي . . . وهذا الكلام ينسحب على التعامل الحضاري الذي لقيته حروفي من الصحافة والنقاد بوجه عام . . . لا من قارئي وحده .

لقد ظل القارىء العربي يطالعني بحذر ويقرأ حروفي بهدوء وامعان طوال عشرة اعوام ولم يقبل عليّ بهذا النهم الا منذ سنوات (بالضبط منذ اواخر عام ١٩٧٧) يوم اسست « منشورات غادة السمان » .

واريد ان اصارحك بشيء آخر . لم يكن الغرض من كتابتي في اي يوم تحقيق مكاسب للمرأة العربية فحسب بل كان غرضي تحقيق مكاسب للانسان العربي . ولم يسعدني في اي يوم من ان يقال انني اكتب كما الرجل ، فهدفي هو ان اكتب كما «الانسان» . وصحيح انني دافعت كثيرا عن (قضية المرأة) لكن دفاعي هذا كان من ضمن دفاعي عن مظلومي المجتمع جميعا ،عن المقهورين جميعا والمرأة من بعضهم .

شيء آخر . . . احب ان اعلن ان المرأة العاملة او المثقفة ترتكب خطأ انسانياً فادحاً حين تطالب بتحرير المرأة خارج اطار تحرير الانسان العربي ككل . المطالبة بتحرير المرأة مرحلة بدائية انقضت ، ومن المفروض ان تنتقل المرأة العصرية العربية من المناداة بحرية المرأة ، الى المناداة بمجتمع سعيد وحر وعادل ، والى وعي الجذور المتشابكة والجدلية ، التي تربط قضية تحرر المرأة ، بقضايا الحريات العامة ككل ، وقضايا الوطن

وازماته وتراثه وبؤس بعض رجاله . . انتهت موضة (المرأة المثقفة) التي تتوهم ان واجبها الاوحد هو المناداة بتحرير المرأة . هذه مرحلة تجاوزها التاريخ ، كانت ذات يوم ضرورية لانفتاح الرؤية ولكنها صارت الان قاصرة عن استيعاب الواقع للاكثرية الساحقة لنساء الوطن العربي .

بعبارة اخرى لن تنال المرأة قضمة من رغيف الفرح اذا لم يكن رغيفه متوفرا للشعب العربي بأكمله رجالاً واطفالاً .

نحن الآن على ابواب مرحلة جديدة . لقد اكتشفت المرأة في نصف القرن الماضي ضرورة تحريرها وهذا جميل ، اما الآن فعليها ان تخرج من المرحلة الشعرية الخطابية الاستعراضية لهذه الحرية ، وعليها ان تواجه مرحلة جديدة وهي مرحلة الانفتاح على قضايا المكافحين الاخرين لأجل تطوير المجتمع العربي ككل . والانفتاح على الواقع الموضوعي والعلمي لوضعها ولوضع سواها ، فالرجل ليس عدوها ، كما انه ليس بوسعه ان يمنحها (حقوقها) حتى ولو شاء، فالعدو الحقيقي هو التخلف باذرعه الاخطبوطية المتعددة والمتشابكة ، والمرحلة التالية تفترض ان نقول وداعا للمرحلة الشعرية لتحرير المرأة . وصباح الخير للمرحلة العلمية الموضوعية الواعية والمسؤولة لتحرير المرأة ، ضمن اطار تحرير الفرد العربي ككل ، ومن ضمن مخطط قطع الحبال كلها التي تحول بينه وبين تفجير عطائه الذي ملأ الارض ذات يوم علماً ومعرفة وانسانية . وهكذا فان التزامي بقضايا الانسان العربي ـ لا المرأة وحدها ـ هو جزء من انفتاح المرأة العربية المعاصرة على قضايا الاخرين واعتبار هذا الانفتاح هو المدخل الحقيقي لحل قضيتها وقضاياهم معا ، انها لظاهرة صحية ان تلتزم المرأة بالانسان العربي ذكرا وانثى ما دام لا خلاص لأحدهما دون الآخر ودون الخلاص العام .

شتاء ١٩٨٢

رندة أبي هنا تستجوب

● أنا زعيمة المافيا الثقافية ؟!
● أنا كاتبة اتعامل مع الحبـر ، لا مع حساء الفطر !

● حياتك اليومية ، هل هي صراع بين واجباتك البيتية ، وحبك للكتابة ؟

ـ لا صراع يا عزيزتي . القضية محسومة منذ زمن بعيد لصالح الكتابة . اقر ببساطة انني ربة منزل رديئة ، وانه لأمر رائع ان زوجي لم يطلقني !..

فالطلاق قائم بيني وبين ما يدعى (واجباتي المنزلية) ، وهو امر لا اشعر بالفخر به ولا بالخجل منه . انه (أمر واقع) ! انه حقيقتي . . .

اجل . لا صراع . .

القضية محسومة لصالح البحر والرياح والشواطىء ، والمرافىء الغامضة والقوارب المهاجرة وامطار المدن النائية . . القضية محسومة لصالح الركض خلف الأبجدية الملونة كالفراشات ، الغامضة كالنجوم ، المراوغة كالنوارس . . .

أنـا كاتبـة ولا أصلح لاي شيء اخر . لا أصلح ربـة منزل ، لا اشعـر بأن من واجبي ان أفعل ما يناقض حقيقتي . ولا أدري لماذا يسمح المجتمع للرجل الفنان بالتفرغ لفنه ، ويجدون ذلك غريباً حينما تمارسه امرأة . لماذا لا يسأل احد تـوفيق الحكيم عن ـ واجباته المنزلية ـ ولماذا تجد الاديبة نفسها باستمرار ـ في مجتمعنا ـ مضطرة لمواجهة الصراع بين فنها ، والاعمال البيتية ؟ الصراع موجود في اعماقي صوب (جبهة) الفن فقط . اعيش صراعاً مع فني ، كي امنح الافضل ، وكي اتجاوز ذاتي في كل كتاب . . .

أنا كاتبة . هذه حقيقتي ، وارفض تزييفها داخل قالب جاتوه ! .

أنا كاتبة اتعامل مع الحبر ، لا مع صلصة المايـونيز وحسـاء الفطر . استفسـارك الموجز هذا يحرك في نفسي شجونها كامرأة عاملة لا كفنانة وكاتبة فقط .

انك تضربين على وتر مأساة المرأة العاملة بوجه عام مع الواجبات المنزلية . فهي

احياناً تعمل خارج البيت كالرجل تماما ، وتعود منهكة مثله ، ومرهقة مثله ، لكن المجتمع التقليدي علم الجميع ان الواجبات المنزلية من نصيب المرأة في المطلق . ان التبدل في حياتنا الاجتماعية الناجم عن عمل المرأة لم يرافقه الوعي بضرورة تطوير مؤسسة البيت واعادة النظر في مفاهيمنا عن جوهر (الواجبات المنزلية) ، وايجاد الحلول للمشكلة التي لا تحسمها دور الحضانة فقط ، وانما تحتاج الى نظرة جديدة للمشكلة ككل . النتيجة ؟ خسارة طاقات نسائية عاملة وخلاقة ومبدعة على مذبح الوهم بأن المرأة مكرسة لخدمة البطن والمعدة .

● **ما هي القضية التي تحبين النضال من أجلها ؟**

ـ البحث عن الحقيقة . الوقوف في وجه الظلم . عدم حرمان البشر من انسانيتهم . اقف ضد القمع بوجه عام . ضد كل ما يحرم الناس من حقهم في الحرية والعدالة المتوازنة ، حرية الروح والجسد والفكر والمعتقد ضمن اطار احترام حق الاخرين في الامر ذاته . اناضل من اجل الحنان والفرح . وأكره الحنان الفضفاض بمعنى انني لست عاطفية مع (القط) وقاسية مع (الانسان) ، ولن اخرج في مظاهرة ضد ابادة الحمام اللندني مثلا او الاسماك الالمانية ، وانما افضل البدء بالاهم ، وسأخرج في مظاهرة ضد محاولة ابادة الانسان العربي ، او ضد تجويع اطفال بعض اقطاره مثلا .

● **اين يقع الرجل في حياة غادة السمان ؟**

ـ الرجل بوجه (خاص)؟ انه الحبيب ، اي الضوء في داخلي . بدونه انا المصباح ذاته وقد انطفأ . انه الحماس والزخم والتوق واللهفة . .

والرجل هو ايضا ـ الصديق ـ فأنا افضل صداقة الرجال على النساء ، وافضل صداقة المرأة العاملة على المرأة المكرسة للرفاهية .

الرجل بوجه (عام) ؟ انه رفيقي على هذا الكوكب الزاخر بالتعاسة والاوجاع . . . ورفيقي كمواطن في أمتنا التي تواجه تحديات جمة . . . انه شريكي في الحلم والعاصفة .

ومن هنا موقعه الاساسي لا في حياتي فحسب ، بل في (حياتي العملية) . في حروفي . ومن هنا انا لست منحازة للمرأة رغم انني قد ابدو احيانا كذلك . انا منحازة للعدالة . وحين ادافع عن المرأة ، فليس ذلك لانها انثى مثلي ، ولكن لانها تستحق ذلك كانسانة ، ولان الظلم الواقع عليها مركب ومزدوج .

● **هناك اتهام يقول انك كنت تؤلفين مافيا ثقافية وعبر ذلك كنت تفرضين الفنانين والصحافين والشعراء على الصحف .**

ـ هذا صحيح . وللاسف المافيا من اصدقائي لا تحمل الرشاشات . اننا مجموعة من رفاق القلم نلتقي مصادفة ، ونتحدث عن الادب . وحينما اعجب بعمل ما واستمتع به ، اتمنى ان يستمتع به سواي من البشر . ثم ان العمل الفني المبدع يتضمن في داخله سطوة ذاتية تدفع بالناس الى خدمته والسعي لترويجه . الابداع شيء سحري ، وقوته تنبع منه ذاته لا من صاحبه . السحر في النص الشعري لا في الشاعر . السحر في اللوحة لا في الرسام . السحر في اللحن لا في الملحن . وأنا ككاتبة اتوق الى الابداع في عملي وفي عمل سواي . وحينما اجد تلك اللمسة السحرية لا أملك الا طاعتها ورعايتها والقيام على خدمتها بايصالها الى الآخرين . الا تشعرين يا عزيزتي بالحاجة الى توسيع ـ المافيا ـ على طريقتي ؟ . . . وهل تنضمين الينا ، نحن الذين مقرنا الرياح وخيامنا منصوبة داخل الليل واوتادها مدقوقة في الامواج ؟؟ . . .

● **كيف تتعاملين مع المال . وماذا يمثل لك الرصيد المصرفي ؟**

ـ اتعامل مع المال كما يعامل الرجل الشرقي عشيقته : يسعى للحصول عليها كي يبددها . . الرصيد المصرفي هو بالنسبة لي بطاقة سفر ، واسطوانة، وكتاب ، اي لمسة حرية وفن .

● **هل تتعارض دارك للنشر « منشورات غادة السمان » ودار زوجك « دار الطليعة » ؟ ولماذا لم تنشري في « دار الطليعة » ؟**

ـ ثمة تكامل لا تعارض . في الحياة اساس الحب هو حفاظ الانسان على كيانه ونموه ، وليس التفريط بهذا النمو تحت شعار (التضحية) .

في الزواج ، يحدث ان تهرب المرأة من مواجهة طموحها تكاسلاً او تخاذلاً سلبياً ، ثم تلقي تبعة ذلك على الرجل مدعية انها (ضحت) من أجله . . . وهي احياناً في الحقيقة هاربة من العمل والكفاح .

انا لست من هذا النمط ، ولا احب هذا النوع من ـ الحب ـ . الحب نمو وازدهار . الحب تحقيق الذات ، و« منشورات غادة السمان » تكريس لاستقلالي كامرأة عاملة ، لكن الاستقلال لا يعني الانفصال ، بل العكس هو الصحيح ، فالمرأة الحرة المستقلة هي التي تستطيع ان تمنح ، لانها تمارس فعل اختيار لا فعل ارغام .

كون المرأة مسكونة بالطموح والفعالية والرغبة في النمو لا يعني انها تحب زوجها

اقل ، وكون المرأة سلبية في الحياة العملية لا يعني انها تحب زوجها اكثر . ومن هنا فالتعارض غير موجود ، وجوهر الصلة هو الوعي المتبادل بأن الزواج لا يعني الغاء وجود احد الطرفين ، وانما يعني النمو المشترك لانسانين مختلفين لا يوحدهما الحب ، وانما يخلق بينهما حلفا في مواجهة هموم الحياة ، كالالم والغربة والمرض والموت والفراق .

● **اطلقت تسمية « الاعمال غير الكاملة » على كتبك الاخيرة . هل فشلت في كتابة القصة الطويلة ، او فرض ذلك عليك الوضع السريع الذي نعيشه ؟**

ـ تسمية « الاعمال غير الكاملة » سببها كما ذكرت في ـ المقدمة ـ انني لا احب عبارة ـ الكمال ـ مقترنة بالعطاء البشري ، وكل ابداع انساني يظل ـ غير كامل ـ فالكمال لله وحده . . .

اما عن فشلي فحكاية اخرى . كل كتاب من كتبي تطالعينه يخفي خلفه عدة كتب اخرى فشلت في كتابتها . انا اتقن الفشل ، بمعنى انني اعيشه واتجاوزه . انه لا يخيفني . الفشل هو الوجه الآخر لعملة النجاح . لقد اخرجت الى الناس حتى اليوم عشرين كتاباً . . . والناس ترى هذه الكتب ، لكنها لا تعرف شيئاً عن المذبحة الدائرة بين اوراقي ، ولا تعرف شيئا عن الكتب التي طالما فشلت في كتابتها او ولدت مجهضة . الفشل جزء من رحلة النجاح والعمل ، ومن لا يحاول لا يفشل . الفشل لا يخيفني. ما يخيف حقا هو ان يكف المرء عن المحاولة ، وهذا ما لم اعشه بعد .

١٩٨٣/٥/٢٧

فاطمة طقو تستجوب

● هاجس التحرر لم يستعبدني
● ضد الألفة مع الذل والقهر

● من خلال وجودك في لبنان ومعايشتك لأجوائه الثقافية ، ما هو برأيك واقع الرواية في لبنان ، وهل استطاعت التصدي لمختلف المشاكل التي يعانيها اللبناني على جميع الأصعدة ؟

- ليس الروائي اللبناني وحده المطالب بالتصدي لمختلف المشاكل التي نعانيها (هذا إذا فرضنا جدلاً ان مهمة الرواية هي هذا التصدي) ، ولكن الروائي العربي بوجه عام مطالب بوعي المأساة اللبنانية لأنها في جوهرها انعكاس للتقاعس العربي العام والتخلي عن الشعارات المعلنة لغوياً لحظة الحسم عسكرياً . . . بالاضافة الى عوامل التفجير المحلية المعروفة .

مأساة لبنان هي الانعكاس المرير لعصر العار العربي داخل مرآة بيروت . . . وملعون هذا الزمن العربي الذي تكاد تدمر فيه عاصمة عربية ، وتحاصر المقاومة التي تعلن معظم الانظمة تبنيها ، ولا يجد ذلك كله ترجمة عملية (جغرافية) في ساحة المعركة ، باستثناء البيانات (التاريخية) التي تناضل (شفهياً) حتى آخر قطرة حبر في المحبرة . . . زمن لم تخرج فيه مظاهرة عربية واحدة احتجاجاً إلا من قبل عرب الارض المحتلة في فلسطين . . . أليس معنى ذلك اننا نعيش زمن الاحتلال العربي في كل مكان تقريباً ، وكلنا نرزح تحت احتلال او آخر . . . بعض الانظمة تقمع ، وبعض الشعب مخدر هناك ولاه عن المأساة . . .

في زمن رديء كهذا ، اعتقد ان الفنان العربي بوجه عام مدعو للتصدي ضد الألفة التي تكاد تنشأ بيننا وبين الذل والقهر . . . ومدعو لمواجهة مشاكل بيروت على انها مشكلته الشخصية ، وهي كذلك بحق - مع وقف التنفيذ - لأن كل فرد عربي سيتأثر عاجلاً او آجلاً بالاحداث التي تدور هنا . . . على صعيد رزقه وحياته وأمنه وسلامة

أطفاله وأمواله . . . ومن المؤسف ان نضطر للاستعانة بهذه (اللغة المادية) ، ومن المفجع ان يتدنى مستوى الاستجابة العربية للاحداث الى هذا الحد الأدنى ، فيصير لاهياً عن مأساة لبنان إلا لحظة تمس مصالحه ، كأنه غريب عن العروبة غربة الفرد الاميركي مثلاً الذي لم يلحظ وجود بلاد العرب إلا يوم افتقد المازوت للتدفئة ولوقود السيارة . . هذا الكلام لا ينسحب طبعاً على قطاعات عربية شاسعة واعية ، لكنه ايضاً لا ينفي غلبة التعاطي السلبي العربي مع مأساتنا . . التي هي حزنهم الآتي . . .

انني أتمنى على المبدعين العرب في اقطارهم كافة، وعي المدلول العميق لما يحدث (هنا) . . . كي لا يحدث (هناك) . . . والتعبير عنه في حروفهم بمنأى عن الموضوعات التقليدية التخديرية . . وأعي في الوقت ذاته القمع الذي تتعرض له في غير قطر كلمة الصدق ، او الرؤيا الجديدة الواعية للعروبة بين الحلم والامر الواقع .

● غادة السمان التي تعتبرها قارئاتها نموذجاً للمرأة المتحررة ، ما هي دعوتها للفتاة العربية في هذا الوقت الذي أصبح فيه المصير يشغل البعض اكثر من التحرر والمساواة ؟

ـ ربما كنت نموذجاً للمرأة المتحررة ، لأن هاجس التحرر لم يستعبدني (والمصير) كان دوماً يقلقني اكثر من مقولات التحرر والمساواة . . ولأنني آمنت منذ زمن بعيد انه لا وجود لفرد حر داخل مجتمع مستعبد داخلياً أو خارجياً . . . ولأنني طالما تمنيت على المرأة النضال من أجل حقوقها ضمن إطار نضال بقية المظلومين والكادحين العرب رجالاً ونساء . . . ولكن بالمقابل ، يبدو لي ان المجتمع ككل مطالب اليوم بحث المرأة على العمل كالرجل ، وذلك من أجل (المصير) . . . اي ان التهديد الجاد الذي نتعرض له ، يتطلب إلحاحاً خاصاً على قضية المساواة من اجل الاستفادة من طاقة المرأة المشلولة ، اي من نصف المجتمع المرغم على ان يكون عاطلاً عن المقاومة في زمن التحدي . . . وهكذا فان الدعوة ليست للفتاة العربية وحدها ، بل للرجل العربي كمسؤول واب وحاكم وفنان . . . المطلوب اطلاق سراح المرأة لتساهم في المعركة حسب موقعها وطاقاتها ، فالانسان غير الحر لا يستطيع ان يقاتل ، وقد وعت العرب ذلك منذ زمن بعيد يوم وعدت عنترة باعتاقه مقابل ان يقاتل وقالت له : « كرّ ، وانت حر » . . . اي اهجم وقاتل ، ولن تكون عبداً بعد ذلك ، بل ستمنح حريتك . . .

هذا لا يعني ان تجلس المرأة تغزل الانتظار على وسادة الحلم ، وصوت الانفجارات يغطي الفضاء العربي . . . ان المبادرة مطلوبة ولو بلغت حدود المغامرة ، ولا نَصْرَ حقيقياً دونما ضحايا لكل مرحلة تطور . . . فنحن لسنا في رحلة سياحية نقدم فيها وعوداً براقة ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نحن في مرحلة تاريخية متأججة . . . تتطلب اجراءات استثنائية .

● غالباً ما يكون الرجل في رواياتك مضطهداً للمرأة ، ألا تعتقدين ان الرجل كالمرأة ضحية للمجتمع وافكاره وتقاليده ؟

ـ حينما يكون الرجل في احدى قصصي مضطهداً للمرأة يكون أداة الاضطهاد ووسيلة الاذلال ، لا (المضطهد الأوحد) . . . إنه الرصاصة ، والمجتمع هو الذي يضغط الزناد . . .

في روايتي « بيروت ٧٥ » مثلاً نجد الاضطهاد المركب الذي يتعرض الرجل والمرأة له معاً من قبل قوى مالية واجتماعية ومؤسسات جهنمية شرسة في محاولتها لامتلاك الانسان العربي وتدجينه .

بطلة الرواية (ياسمينة) تتعرض لاضطهاد حبيبها الثري وهذا الاضطهاد هو في جوهره نتيجة حتمية لمقولة اجتماعية هزلية : الثري لا يتزوج إلا من طبقته زواجاً سياسياً ومالياً . . وله ان يمارس الحب سراً خارج إطار المؤسسة البيتية التي تفرغ من مضمونها (الحب) ، لتصير امتداداً للمؤسسات الاخرى الفاسدة .

وبطل الرواية نفسها (فرح) يتعرض للاضطهاد من قبل ذكر آخر (نيشان) ، يستغله ، ويتخذ من فقره مطية ، ومن ضعفه امام اغراء الثراء اداة لاستلابه روحه ، وهكذا تقدم له الشهرة في طبق الجنون . . . حتى في اعمالي الاولى المبكرة ، لا أظن اني سقطت يوماً في فخ اعتبار الرجل مضطهد المرأة الأوحد . . . ولكنه دونما شك أحد أسلحة الجريمة وأدواتها . .

● كل كاتب يعرف خلال مسيرته الادبية ، مرحلة جديدة ، غالباً ما يسمونها بمرحلة النضوج الفني او الفكري (أو مرحلة التراجع والتردي) ، النضوج الذي عرفته غادة السمان في كتاباتها هل يلغي ما بدأت به ، ام هو حلقة من السلسلة ؟

ـ لا شيء يلغي حرفاً خطه الفنان . . . اكرر : الكلمة كالرصاصة ، لا تسترد بعد إطلاقها ، وكالخطيئة لا شيء يمحو إثمها . .

ماضي الكتابي هو جزء من حياتي بخيره وشره . . اتبناه بالمعنى المطلق ، لأنني أقدمت عليه بغض النظر عما هو . . . واكذب اذا تنصلت من حرف كتبته . كل ما سطرته يدي ، كان نتيجة لحظة قناعة وصدق جارفة . . . وانا بالتالي لا أنفي عن نفسي امكانية السقوط في الخطأ ، لكنني انفي السقوط في تزوير الاشياء . . . كل ما قلته في الماضي ، كان وجهة نظري في الحياة لحظة الكتابة بكل اخلاص ، حتى لو اكدت النقيض بعد

ذلك ، وبكل اخلاص أيضاً .

لا أدري اذا كانت تبدو كتبي (العشرون) من الخارج في حالة نمو طبيعي متدرجة من حرارة الشهقة الاولى الى دفء النضج الهادىء . . . أم انها تبدو وكأنما ثمة قفزة ما في مرحلة ما نحو اتجاه معاكس كلية . كل ما ادريه انني لم اكذب يوماً على قارئي ، حتى لو قلت له اشياء متناقضة .

● لقد ساعدتك قوة شخصيتك وبعض الظروف على تحقيق ما تطمح اليه المرأة العربية من تحرر وتكوين الارادة المستقلة ، فما هي السبل - بناء لتجربتك - التي تحقق للمرأة حريتها وتكرس لها حقوقها ؟

- العمل هو المفتاح . ان احداً لن يمنحنا الا ما نقوى على الامساك به . . ولن تقبض ايدينا إلا على ما نستحق . .

بدون العمل تبدو طروحات تحرير المرأة (تسوّلية) وهزلية . .

والى جانب العمل لا بد من لمسة تضحية في مواجهة المقولات الاجتماعية التقليدية ، الجاهزة منذ عصور، للاجهاز على روح المبادرة لدى المرأة . . . ان قليلاً من الثرثرة والانتقادات ضدنا ليست كارثة ، بل ردة فعل طبيعية ، ولا ضرورة لابداء ردود فعل مضخمة إزاء ذلك . . ومع الزمن يبدو الوضع عادياً ، ويألف مجتمع الرياء حضور المرأة العاملة الجادة ، المتماسكة الشخصية . . . وحذار من الكليشيهات الجاهزة في العالم النسائي البورجوازي مثل : سلاح المرأة دموعها . . . او : قوة المرأة في ضعفها ، وغير ذلك من المقولات التي تعدّ المرأة عبرها نفسياً للعب دور (الحيوان الأليف) . . . قوة المرأة فيما تقدمه للمجتمع من عمل ، وسلاح المرأة صدقها وقوتها وتماسكها لا دموعها . . . ولكن التخلي عن اسطورة ضعف المرأة لا يجوز ان يكون سبباً لتأدية سلوك هزلي آخر هو (مطب الاسترجال) . . . فنحن لسنا في منافسة مع الرجال لتربية العضلات الرياضية والشوارب واللحى ، ولا في حوار بيزنطي عن المزايا (البيولوجية) لكل منا . . . واذا كان لا بد من وضع الاشياء في إطار المنافسة فالمزايا هي لمن يكون (أكثر انسانية) ، واكثر خدمة لمجتمعه ووطنه ، بعيداً عن التطرف والمبالغة والعقد النفسية . . .

● لقد كتبت في الأدب وفي الصحافة ، وفي كليهما خضت حرباً على التخلف ، وكنت مثالاً للتمرد ، فأي من الاثنين هو الأقرب الى احداث ردود فعل سريعة وفعالة عند القراء ؟

ـ الصحافة لردة الفعل السريعة ، والادب للفاعلية الطويلة المدى . . . وأحدهما لا يغني عن الآخر ، وانما يكمله . . مع الصحافة أفرغ شحنات غضبي وقهري وثورتي مثل شرر يقدحه حجر صوان كلما اصطدم بجدران القمع . . . مع الرواية أصوغ قهري ببطء وأناة قنديلاً وازرعه في تربة العمل زيتونة أرعاها اعواماً ليضيء زيتها فيما بعد . . مع العمل الادبي أقلد خبرات التربة التي تختزن زمناً طويلاً قبل ان تتدفق نبعاً . . مع الصحافة أقلد حصاناً برياً يحاولون ترويضه ، فيرد على لسعات السوط ووحشية القيد وهو يصهل حتى الافق بصوت يعلن الغضب الآني والرفض المطلق .

احياناً لا استطيع ان اكتب أدباً اذا لم يسبق ذلك مرحلة تفريغ عن طريق الصحافة . . . أمام احداث وطنية وقومية تقهرني حتى قاع عظامي ، أشعر بان حرارة الاشياء ستصهر البرود المحايد المفترض لدى (صانع الرواية) ، فالجأ الى الصحافة أصب كهارب الغضب ريثما يهدأ الزبد وتنقشع الرؤيا أمام رادار الروح الذي يفضل العمل بعد العاصفة . . واحياناً تتلاحق الاحداث والمذابح والاوجاع ، فاكتب صحافة ورواية في آن معاً ، كما في المرحلة الأولى لكتابة روايتي « كوابيس بيروت » في فترة الحرب الاولى . . .

ولكن يظل الاقرب الى احداث ردود فعل سريعة وفعالة لدى القارىء هو القلم المشتعل صدقاً سواء كتب صحافة او قصة . . . أو شعراً . . . فالمهم دوماً الجوهر المشع ، أياً كان قالبه .

١٩٨٣/١٢/٢١

مراسل القبس الكويتية يستجوب

● لسنـا سفينة من القـرصـانـات النسائيات المهووسات
● تحرير المرأة عمل ودي لا عدواني

● المساواة بين الرجل والمرأة . . . أي نوع من المساواة في ذهنك بينهما ، واي نوع من اللامساواة ؟

ـ المساواة في الواجبات . . . وذلك بالتالي يتطلب مساواة في الحقوق . . .

تلك الطاقة العربية الجبارة شبه السجين المسماة بـ « المرأة العربية» آن الوقت لتوظيفها في خدمة مجتمعها العربي بعيداً عن مستنقعات الهدر وزوايا الحياة الآسنة .

أفكر أيضاً بالمساواة في حق الخطأ . . . فالذي يعمل لا بد وان يخطىء مرة ما . « الذي لا يعمل لا يخطىء» . . . وانطلاقاً من هذه القاعدة تقرر حرمان المرأة من أمور كثيرة كي لا تخطىء . . . وتقرر تحويلها الى (قديسة اجبارية) ، وجلبها الى (سلك العطالة) خوفاً عليها من الهفوات الصغيرة التي لا يمكن إلا ان يقوم بها كل بشري و« أنسي » يعمل . . .

لقد آن الأوان لنسف ذلك الوهم الشائع بأن « من لا يعمل لا يخطىء »وعلى المرأة بالتالي (أن تعمل) ، فعدم العمل هو في نظري الخطيئة الكبرى التي لا تغتفر .

● تحرير المرأة العربية : نعم ، ولكن ما صورة التحرر والتحرير ؟ . . صورة السماويات أم صورة العقائديات المستحدثة ومنها صورة تحرير المرأة في الأدبيات الماركسية ؟ الرجل رأس المرأة ؟ ام المرأة « رأس » كالرجل تماماً ؟ . . .

ـ «صاحب الرأس» هو « الرأس » . . . ذكراً كان أم أنثى . هذه هي الاجابة البديهية التي تقفز فوق السطور للوهلة الأولى . . . وبعدها بثانية تصرخ ملء صوتك : ذلك كله خارج الموضوع . . لا أنادي بتحرير المرأة العربية لأنتزع من الرجل «منصب الرأس » أو أي « مهمة مقدسة » أخرى . . . ولا أريد السقوط في وهدة

المهاترات حول «رأس الاسرة» أهو الزوجة العاملة او الزوج العاطل عمداً عن العمل مثلاً ، الأخت الجامعية أم الأخ المخبول الذي يفترض انه ولي أمرها ولن تحصل على وثيقة سفر مثلاً للمحاضرة في ندوة علمية خارج بلدها اذا لم يرافقها الى مركز الشرطة ليبصم موافقته . . لا . . لا أريد ان تسقط المناداة بتحرير المرأة في وهدة التفاصيل الجارحة التي لا بد وان تجد لذاتها حلاً تلقائياً مع الزمن والتطور . . .

اريد ان اتحدث عن الجوهر . . . جوهر تحرير المرأة العربية كما أراه ينادي بتحريرها من قيودها لا من أسرتها ويقف مع توظيف طاقاتها لخدمة مجتمعها ، لا من أجل تدمير الهيكل على رأسها ورؤوسهم جميعاً . . .

المنطلق لتحرير المرأة في نظري (ودي) لا (عدواني) . . . يفكر بالواجبات الإضافية التي ستلقى على كاهل المرأة قبل التفكير بتقسيم المغانم التي سنسرقها من الرجل . . . لسنا سفينة من القرصانات النسائيات المهووسات نهاجم باخرة الرجال وشعارنا الجمجمة وعظمتان وخنجر . . . إننا كائنات تفيض حيوية وطاقة وقدرة على العطاء في حقول اخرى كثيرة غير التي تم تكريسنا لها طيلة عصور ، وكل ما نطلبه هو منحنا فرصة للاسهام في البناء . . . إننا نريد مبدأ التكافؤ في الفرص مع الرجل . . . فمن الصعب عليك ان تعمل بيدين مقيدتين وعينين معصوبتين والسيف مسلط على رأسك ، وانت مدان سلفاً ، ومجرم حتى تثبت للآخرين براءتك ، ويتم بالتالي اختراع جرم جديد لك عليك ان تؤكد من جديد تنصلك منه ومن ذاتك معاً وهكذا إلى ما لانهاية. . . نريد اخراج المرأة من الحلقة (السيزيفية) التي تجد نفسها ساقطة في فكها لمجرد انها قررت تحريك فكها لغير التهام الطعام !! . . .

أما عن صورة تحرر المرأة في الأدبيات الماركسية الغربية فهي لا تثير الشهية الى التقليد، ولا تبدو مشرقة. . . على الأقل في الشهادات المكتوبة لزعيمات نضاليات (كتاب «قضية النساء»، مثلاً تأليف جيزيل حليمي ـ جيرمين غرير كيت ميليت ـ شولامايت ـ فايرستون) خاب أملهن بتجربة تحرر المرأة في ظل الحلم الماركسي الذي لم يخل (ذكوره) من الشوفينية في ممارساتهم رغم تعاليم ماركس ولينين وانغلز وبيبل ولافارغ وزتكين وتروتسكي وماوتسي تونغ وكيم ايل سونغ والى آخره. . . بالرغم من اولئك جميعاً شهر آدم الماركسي هراوته وتابع سيطرته التاريخية على حواء في جنة الشحار ، مؤكداً سلطته

عليها في ظل السماويات والماركسيات ، تسلطاً أبدياً سرمدياً لعله يدفع بالمرأة الى رد فعل أعمى وتسلط مضاد صارخة : الانثى هي الأصل . . .

انا شخصيا اعتقد ان « العدالة هي الأصل » . . . لا الانثى في المطلق ولا الذكر في المطلق . . . وحجم الإنسان معادل لحجم أعماله ، وما ينفع به الناس بغض النظر عن جنسه البيولوجي المذكر او المؤنث .

● **هل تؤمنين بالصورة العصرية « للمرأة » كما هي في المجتمعات الغربية المتقدمة ، ام تحنين الى صورة « ماضوية » أو مستقبلية لها ، وكيف ؟**

ـ لا أحن الى صورة « ماضوية » ، ولا اشتهي العصر « الأمومي » حيث المرأة تحكم القبيلة كملكة النحل . . . لا أؤمن بأن القمع يجب ان يواجه بقمع آخر شرط تبادل الادوار بحيث يصير (الذكر) هو المقموع . . . لا أريد تصحيح الخطأ بخطأ آخر ، ولست (طائفية) في انتمائي الانثوي اي انني لا انتمي الى تاء التأنيث في اسمي بل الى انسانيتي . . الانتماء الانساني الذي يحثنا على الدفاع عن معذبي الارض من مظلومين هو الذي يحثنا للدفاع عن المرأة ايضاً بصفتها مظلومة المظلومين وكادحة الكادحين . . . ومن هذا المنطلق أقف الى جانب المرأة لا من منطلق تاء التأنيث التي تصادف وجودها في اسمي .

انا أنتمي الى حلم « الانسان الحر في مجتمع عادل » ، وكجزء من ذلك اتحدث عن تحرير المرأة العربية . . . وليس من منطلقات شوفينية تريد سرقة سلطة الظالم لتكون هي الظالم الجديد . .

أما عن صورة المرأة في المجتمعات الغربية فأنا ارى بوضوح استحالة استيرادها الى اي مجتمع آخر . . . فهي وليدة عالمها وربما هي جيدة حيث هي ، لأنها نتاج تلك الحضارة المختلفة . . . . من الممكن الاستفادة منها كتجربة من تجارب الشعوب الاخرى التي تعلمنا الكثير سلباً او ايجاباً ، لكنني ضد استيراد الافكار بقدر ما انا ضد تحنيطها . . . وضد التبني الأعمى لقيم جاهزة لم تنبت في تربتنا بقدر ما أنا ضد الممارسة العمياء للموروثات والمكرسات عندنا . . .

لا أحن الى صورة ماضوية ، ولا اريد استيراد نظم حضارية جاهزة . . . أنا من اولئك الحالمين بصورة مستقبلية ، تنبت في تربة الواقع ، لا تقطع صلتها مع جذورها ولا تتنكر لرياح العصر وشموسه وصواريخه التي تزور الكواكب الاخرى . . .

● الحب الواحد الوحيد . . . حقيقة ام اسطورة ؟ كيف تفهمين الحب ؟ ما هي صوره ؟ لو كانت لديك فتاة صبية ، كيف تعاملينها ؟ ما الذي ترينه مقبولاً منها ، وما الذي لا ترينه كذلك ؟

ـ الحب الواحد الوحيد حقيقة تتكرر !! . . . فكل حب يبدو في مرحلة الالتهاب وحيداً وواحداً ، تنسى كل ما قبله وتنفي إمكانية ما بعده . . . وحين تدخل في مرحلة الرماد ، تنكره ، وحين تلتهب من جديد تعود لتؤكد ان حبك الحالي هو الواحد والوحيد . . . الانسان يكره الاعتراف بأن الحب الواحد الوحيد حكاية غير واقعية ، ويصر على انه ما الحب الا للحبيب الأول، ليس حرصاً على الحبيب الاول ، بل حرصاً على أنانيته الذاتية التي ترفض الاعتراف بهشاشة المشاعر البشرية العابرة ، وصواعق القلب المتكررة والمنسية اللامنسية ، وعواصف الحب المتوالية المتلاحقة الكبيرة في نظره ، الصغيرة في عرف الأبدية كحبة رمل على شاطىء الزمن تعبث بها امواج النزوات ورياح الهفوات البشرية اللامتناهية . .

ان توكيد الانسان خلود حبه هو جزء من شهيته الذاتية المفرطة لتوكيد عظمته الشخصية . . . لكننا جميعاً ـ في فترة ما من حياتنا على الأقل ـ نعي ضعفنا البشري امام حلمنا بالكمال ، ونعي خياناتنا الصغيرة وخدعنا وألاعيبنا مع الذات والآخرين بين حب وآخر . . . وعبثاً (نتلطى) ونختبىء خلف شعارات الاخلاص الأزلي والعشق الأوحد . ان الحب الواحد الوحيد فوق طاقة البشر ، واذا مارسناه فمن اجل تجميل صورتنا امام مرآة عشق الذات .

كيف أفهم الحب ؟ لا أفهمه . . .

أحدق فيه كما كان البدائي يتأمل النار مدهوشاً حين تشعل الصاعقة غابته . . . ما هو كنه الحب ؟ كم هو شبيه بالنار . . . يستحيل الامساك به . . . يمكن ان يضيء وان يحرق . . . ولا نستطيع العيش بدونه . . . غلطة صغيرة ، ويلهبك معه ويأتي عليك ، وبه تحلو الاغلاط رغم كل شيء . .

لو كنت أماً لصبية ماذا أفعل وكيف أعاملها ؟ لا أدري . . . لقد رزقني الله بصبي لا بصبية ، وما زال دون سن الحب ، ولا أدري كيف اعامله حين يكبر ويأتيني للمرة الاولى عاشقاً مثلاً . . أحياناً اتساءل : لو كانت لدي ابنة ، وجاءتني ذات يوم عاشقة هل أطبق عملياً كل حرف في كتبي نحو حبها وجنونها ، ام اتحول الى ديكتاتورة مجنونة اخرى

كأمهات معظم الصبايا العربيات العاشقات ؟ لا أظن ذلك (أو لا أحب ان اعتقد ذلك !!) فقد استطعت دوماً ردم تلك الهوة بين ما انادي به وما أعيشه ، ودفعت الثمن باهظاً لأجل ذلك . . وما زلت وسأستمر . . .

● **لو أحبت المرأة شخصاً ، هل يسمح لها بأن تبادر هي الى اعلان الحب عليه ، ام ان المبادرة من حق الرجل وحده ؟**

ـ اعلان الحب فعل مسؤولية . واذا كانت المرأة قوية وقادرة على حمل مسؤولية ما تفعله ، فلتقدم عليه . . مع العواطف لا توجد قاعدة عامة . . الاستثناء هو القاعدة في أمور الحب ، وكل حب دنيا مختلفة قائمة بذاتها . . ما تفعله امرأة ما ببساطة يمكن ان يدمر اخرى . . . ذلك يتوقف على القدرة على العطاء . القدرة على المواجهة . فالحب في بلادنا لا يتطلب عطاء فقط مع الحبيب بل ومواجهة مع العالم الخارجي . . . ولأن الرجل ألف حمل المسؤولية ، نجده غالباً يحمل مسؤولية اعلان الحب وما يترتب على ذلك . . . إنه طرف المبادرة . . المرأة العربية الجديدة تستطيع إعلان الحب اذا كانت قد ألفت التمرس بالمسؤوليات في مختلف حقولها من عملية واخلاقية ومادية ، وتستطيع ايضاً ان تتابع لعب الدور العتيق في مسرحية توريط الرجل حيث تدفعه الى ان يقول ما تشتهي هي قوله ليكون هو المسؤول . . . لا هي . .

انا ارى ان في اعلان الحب خروج من اخلاقيات الرياء والمواربة ، حيث ما تزال المرأة تباهي بخبثها التاريخي وخفرها المزيف ونعومتها المزورة التي تجر الرجل المسكين الى التوهم بأنه صياد ماهر في غابات الأكاذيب التاريخية عن العواطف. اعلان المرأة عن حبها إمعان في الصدق لمن تقدر عليه وتجد اليه سبيلاً . . . شرط ان يتضمن ذلك، الوعي الناضج بالمسؤوليات التي تترتب على فعل اعلان الحب ، لا ان تتحول تلك المبادرة الى حائط مبكي جديد تنوح المرأة عليه في معرض ابتزازها التاريخي للرجل الشرقي . . .

لقد انتهى عصر الفتاة التي كانت تتظاهر بابتلاع (الليمونادة) وما فيها من مادة مخدرة ، حيث يقوم الرجل (الذئب) باغتصابها في حفلة تواطؤ مشتركة . . .

« اعلنت عليك الحب » صرخة ضد اخلاقيات الرياء ومسرحيات شد الحبل التقليدية في العلاقات الهزلية بين الرجل والمرأة الملقبة خطأ بالعاطفية . . حيث تتجاهل المرأة ما هي مقدمة عليه متظاهرة بـ (السذاجة) و(البراءة) الى آخر المعزوفة التي أكل الدهر عليها حتى شبع . اريد ان يكون الحب فعل مسؤولية واعية متبادلة . . تغادر المرأة فيه دور (الضحية) الى دور (الشريك) . . . ويخرج الرجل من تهمة (الذئب) ليتخذ

مكانه الحقيقي : الرفيق . . .

دوماً يتحدث الذكر بلسان الانثى . . يعبر هو عن مشاعرها ، ويلعب دورها على المسرح الى ما قبل سنوات غير بعيدة . .

فهل يضيق صدر العالم العربي بكاتبة تريد ان يخرج صوت قلبها من حنجرتها هي لا من حنجرة رجل ، وتريد ان تخط كلماتها بقلمهـا هي لا بقلم آخر ، وتريد اعلان الحب على طريقتها هي . . . . وبصوتها الخاص ، ودون ان تتعثر بكرة تاء التأنيث في اسمها ؟ . . .



- ٤ -

استجواب حول قضايا أدبية

● النقد ليس فقط قضية ذوق بل ذوق من!

- جيمس جراند -

● سؤال الانسان الحكيم يتضمن نصف الاجابة .

- سليمان ابن جبرول -

● الحياة تشبه الروايات اكثر مما تشبه الروايات الحياة .

- جورج صاند -

● العمل الكلاسيكي هو ما يتمنى الجميع لو كانوا قرأوه ، ولكن لا أحد يرغب في قراءته .

- مارك توين -

نبيه البرجي يستجوب

● الأمية والفقر وتأشيرات الدخول العسيرة للكلمة تفترس كلها الكتاب العربي .

● كفاح اي رجل في الكرة الارضية هو تراث انساني .

● ثمة من يقول ، وهم عديدون جداً ان غادة السمان تنقلنا الى ما بعد الاشياء . . ما بعد الحزن مثلاً ، ما بعد الفرح . . لكن الواقع يظل محور توجهاتها ، أكان جميلاً ، ام فاحماً ، أم مداناً ، ام مدهشاً . . . أحياناً ؟

ـ الواقع يظل فعلاً محور توجهاتي . . انني لا استطيع الذهاب الى صيد الفراشات في الغابة بينما الآهات هي ايقاع ليلنا ونهارنا . . وجراح الوطن تتفتح تحت الشمس وتنمو فيها نباتات الغضب . . . في شرايين الفنان تركض توجهات شعبه ، ويسبح وطنه داخل دمه كالسمكة . . . الفنان ليس خارج الاحداث المعاشة وبالتالي فان الفن لا يستطيع ان يكون خارج الواقع . . .

يظل الانتقال الى ما بعد الحزن ، ما بعد الفرح ، ما بعد الابعاد هو حلم الفنان . . . حين يستطيع فنه ان يشف ليتجاوز اللحظة دون ان يلغيها ، وانما ينطلق منها الى أرض الصدى والمرايا . . .

● في كتاباتك حضور استثنائي وحميم لأحاسيس وقيم من الصعب تجاوزها ، الشراسة الى جانب الشفافية ، الغضب الى جانب الحب « الاغريقي » ، العنف الجنسي الى جانب حلم طفولي . فكيف استطعت تدجين هذه العناصر الثنائية القابلة للانفجار ؟

ـ لست انا التي « دجنت » هذه العناصر وكل ما افعله انا هو انني أنقل ببساطة اسرار القلب الانساني المذهل . . الكائن البشري مخلوق خارق ، وباستمرار يسكنه الشيء

ونقيضه ، انه الصحو والمطر معاً ، الظل والنور ، اللهيب والجليد. كل الاحاسيس البشرية الحادة تحمل في آن واحد نقيضها ، وفي لحظات الكثافة الانسانية نجد ان الخيط الرفيع بين الحب والكراهية والعقل والجنون يكاد يضيع . . . يتشوش. تأتي الأشياء دفعة واحدة ، والقلب البشري وحده القادر على احتواء ذلك الزلزال . .

الزلزال في الداخل . . . وقلمي الدقيق، مثل ابرة مرصد تستميت لتسجل ما يدور في الاعماق . . .

● **أحد النقاد قال : ان ازمة القصة العربية ليست أزمة البعد الواحد ، بل انها تنحدر من قصورنا الانساني فهل تشاطرينه هذا الاتهام ؟**

ـ اعتقد ان كلامه قد يحلل جزئياً أزمة القصة العربية وينطبق على بقية ازماتنا في مجالات اخرى كثيرة ، لكنني لا اوافقه على هذا التبسيط المبالغ به !

إن قصورنا الانساني حالياً ليس حالة نهائية مستعصية أو تشخيصاً لمرض لا شفاء منه . . . هذا القصور هو أمر مرحلي بدأ العقل العربي يحيط به ويعيه ويتلمس درب الخلاص ، ثم ان هذا التقصير له نتائجه السيئة في مجالات حياتنا كلها اكثر مما له من تأثير مباشر على نتاجنا الفني القصصي . . .

١ ـ الفنان العربي يواجه ايضاً ازمة اساسية وهي ازمة قارىء . . . إن ٨٠ بالمئة من الشعب العربي تفترسه الامية وبالتالي يعجز حتى عن قراءة صحيفة يومية .

٢ ـ الفقر . حتى الـ ٢٠٪ من العرب الذين نجوا من الأمية ، اكثرهم لم ينجُ من الفقر . ومن الطبيعي في هذه الحالة ان يشتري الفرد الرغيف بدل الكتاب .

٣ ـ ارتفاع اسعار الورق وبالتالي الكتب مما صار يحول بين اكثر الطبقات والكتاب بالاضافة الى الافتقار لمكتبات عامة عربية بوجه عام . . .

٤ ـ مصاعب توزيع الكتاب العربي .

٥ ـ مآسي الرقابة العربية على الكتب ! . . . التفاهة هي الشيء الوحيد المسموح توزيعه دونما عقبات أكثر أقطار في بلادنا ! . . . .

٦ ـ المثقف العربي هو غالباً مثقف (شفهياً) وقلما يحرص على متابعة انتاج ما حوله وانتاج من حوله .

واكثر الذين يشتغلون بالفكر عندنا لا علاقة لهم بالكتاب إلا اذا أهدي اليهم . . . إنهم يشترون الاحذية وربطات عنق بيير كاردان وويسكي بلاك ليبل وحبوب منع الحمل ولكنهم لا يشترون كتاباً . . . (ومن هنا كانت طريق الاديب الناشىء في بلادنا صعبة ،

ومن هنا كان لجوء الكثيرين في بدء حياتهم الادبية الى إثارة فضيحة اجتماعية لعل النقاد الكبار يقرأون نتاجهم مجذوبين الى الفكر بالفضيحة !. . . المطلوب عبور فكري للمثقفين الى عالم الكتب) . . .

العوامل السابقة كلها ـ التي طالما كررتها ـ تخلخل علاقة الكاتب بالقارىء . . وكلها ممكن المعالجة . . ومن « القصور الحضاري » الاكتفاء بتشخيص المرض دون اضاءة ولو شمعة واحدة في درب الحل العملي . . . وعلى اية حال ، وبالرغم من الظروف الموضوعية التي تحيط بالفنان العربي ، والتي تكونه ايضاً ، وكلها مليئة بالثغرات الحضارية ، فان القصة العربية قد حققت مكاسب فنية تستحق التأمل . . . اقول ذلك وفي ذهني أعمال عدد غير قليل من المبدعين العرب في مجال القصة وسواها . . .

إننا نستطيع المقارنة بين القصة العربية المعاصرة والقصة الاوروبية دونما حرج ، لكننا لا نستطيع مثلا المقارنة بين « اختراعاتنا » العلمية المعاصرة والفكر العلمي في الغرب . . . أي ان « قصورنا الحضاري » على صعيد القصة هو اقل بكثير من قصورنا في المجالات العلمية والتطبيقية . نحن قاصرون في مجال « القصة العلمية » (Science Fiction) وتلك ايضاً نتيجة لقصور « العالِم » عندنا لا « الأديب » .

● ماذا تكتبين الآن . . . وأبعاد هذا الاختبار ؟

ـ لا اكتب شيئاً هذا الشهر . . . حينما يأتي الصيف ، أصير نصف سائحة ونصف سمكة . . . أرحل وأرحل ، ثم أعود الى البحر . . . قضيت الاسابيع الماضية على الشاطىء مثل أي تمساح صغير استوائي يطارد ظله . . . على صعيد الانتاج اتوقع شتاء حاراً . . . وطوال مغامرتي الصيفية مع الرمل والصخر والموج والعوم والغرق ، كانت الافكار ايضاً تأتيني مثل مد الموج مخلفة على شطآني كثيراً من الصدف . . . واعتقد ان خيوط رواية جديدة بدأت تشتعل . . . مع الشتاء افتح اصدافي ، وقد أجد لؤلؤة عطاء ما . . . وقد أفشل كما يحدث لي كثيراً . الفشل لا يخيفني . أنا نملة في مجال العمل . . . كل نجاح لي قرأ عنه الناس يخفي وراءه عشرات المحاولات الفاشلة في الظلام !. . .

● الذي يخترق قراءتك ، يكتشف انه في نقطة ما بين الغبطة والكآبة. انه « يتخرج » مبتهجاً ، رغم انك حتى في الكتابات الشخصية جداً (وهذا وصف غير مقنع) ، تدينين بأسى وجوهاً عديدة من حياتنا . . .

ـ يسرني انك استطعت التقاط ذلك الخيط الرفيع من الضوء الموجود باستمرار خلف اكثر سطوري غضباً وتشاؤماً . . . «إدراكك الفني» مرهف ، ويسعدني ان تلتقط اكثر موجاتي

خفوتاً ولكن أكثرها أهمية ايضاً . .

أستعير تعبيرك الجميل « يتخرج مبتهجاً » . . . فعلاً ، هـذا ما اريـده . . . ولا اريدها بهجة ماسوكية ، لانني اكره العلاقة السادو ـماسوكية مع القارىء . . . انني لست « مطهراً » له من آثامه ولا آثامي ، ولست بباكية على الاطلال تشفي فيه الرغبة في اطلاق (الآه) . .

« البهجة » التي اريد لقارئي الخروج بها من سطوري هي مثـل الفرح الـدامع للارض بعد العاصفة . . . انني لا أخفي عن قارئي فظاعة ما يدور له وبه وحوله ، ولا امنحه اية آمال كاذبة ، ولا وعوداً بجنان أرضية ، لكنني اؤمن بالانسان . . . وبهذا المعنى فقط انا متفائلة . . . اؤمن بطاقات الانسان الطيب البسيط العـادي ، وبأن بـذرة الحق والخير والجمال لا بد وان تنبت من قاع جحيم واقعه واحزانه . . .

هذا التفاؤل ، النحيل كحد شفرة ، والقاطع كحد شفرة ، هو الذي يتراءى لك خلف سيمفونية العنف والـرفض والغضب التي تعزفها سطوري ، وهـو الذي يجعلك تتخرج « مبتهجاً » . . .

إني مبتهجة لذلك !

● يتردد ان الفكر العربي الراهن عشوائي ، لا مستقبـلي، في أغلبـه ، لأنه انحنى امـام الموجات الزاحفة من مناطق اخرى في العالم ، ولم يستطع أقلمتها . . . فهل هذا صحيح في نظرك ام انه من جملة الآراء الداكنة ، غير المبررة ؟

ـ لا أظن ذلك صحيحاً . . .

فكرنا الحالي قد يكون عشوائياً بشكل جزئي وذلك يعود الى اننا مـا نزال نتلمس طريقنا . . . وهذا هو الوضع الطبيعي في المرحلة الانتقالية التي نمـر بها . . . « استيـراد الافكار » هو ايضاً ضرورة مرحلية لإعـادة اكتشاف الذات العربية واستنباط مـايناسبهـا ورفض ما لاينسجم وجوهرها وسبر غورها واخراج مكنوزها . . .

الفكر السياسي . الفكر الاقتصادي . الفكر العلمي ، كلها تمر في بلادنـا بمرحلة اعـادة خلق وبعث ، ومن البـديهي ان ينشـأ عن ذلـك بعض التشــويش والاستيـراد والعشـوائية . . . لا يمكن ان يلد فكـر من فراغ ، كـما انـه لا يمكن ان يلد فكـر دونمـا مخاض . . . والجبل لا ينتصب دونما زلزال . . . ويجب الا تخيفنا اوجاع المخاض بمختلف مظاهرهـا فنتوهم الـولادة احتضاراً . . . يخيـل اليّ ان ما يـدور حولنا هـو ولادة وليس احتضاراً، وان « المظهر العشوائي » كما يبدو يخفي في بـاطنه صراعاً هـاماً وخطيراً بين

الفكر التقدمي والرواسب الرجعية . .

ثم انني لا استطيع ان أفهم مبررات الخوف مما يدعونه « استيراد الافكار » . . . إننا لا نستوردها بشكل ببغائي ، ولكن من واجبنا الاطلاع على تجارب الشعوب الاخرى في مجال التطور ، واجراء دراسة مقارنة واستيحائها ورفض بعضها وتمثل بعضها الآخر بحيث تصير جزءاً من خبراتنا . . .

إن كفاح اي انسان في الكرة الارضية من اجل الشمس والحرية والكرامة هو تراث انساني وخبرة لكل قاطن على هذا الكوكب المسكون بالاحزان .

● بكلمات بسيطة غادة السمان من أنت ؟

ـ انا واحدة من قافلة الباحثين عن المحبة والضوء والعدالة في عالم مذهل القسوة . . . انا واحدة من قبيلة المعذبين الطيبين البسطاء ، الرافضين شريعة الأمر الواقع ، المتطلعين الى غد أفضل . . .

انا امرأة ترفض كل المسلمات الاجتماعية التقليدية وتصر على اختيار ما يناسبها من القيم والتقاليد لا بحكم الوراثة ولكن بعد غربلة واعية جريئة عقلانية . .

أنا امرأة الغاضبين ، وأنا امرأة المحتضرين . . . كل انسان يتعذب في هذه اللحظة في اي مكان هو صديقي . . . كل امرأة مضطهدة ممزقة ثائرة هي رفيقتي . . .

انا حبة رمل حارة على شاطىء الانسانية الملطخ بالدم والرماد . . .

● في « مجنون إلزا» يقول أراغون: « . . . وتعبت ، وأتعبت ، لأنها امرأة مصنوعة من الخرافة وضوء القمر » . تلوح لنا غادة السمان . . . !

« الخرافة ، وضوء القمر » . . . هذا جميل ولكنه وحده لا يكفي ـ إذا صح إنه يمثلني ! . . . اضف الى هذه العجينة كثيراً من الغضب العربي ، وكثيراً من المحبة ، كثيراً من الرفض الشرس ، وقليلاً من السكينة . . كثيراً من الظلمات السرية وقليلاً من ضوء القمر . . كثيراً من الواقع المجرح وقليلاً من الخرافة . . واطلق ذلك كله مثل صرخة احتجاج في ليل طويل طويل . . . ذلك هو أسمي ! . . . .

خريف ١٩٧٢

هاديا كستي سعيد تستجوب

● العمـل الصحافي ليس بـالضرورة مقبرة الابداع الأدبي .

● متى تركت الصحافة ، ولماذا ؟

ـ لم اتـرك الصحافـة . هي التي تركتني . حـاستي الصحفية هـاجـرت عني ، « وعـين الصحفي» في أعمـاقي انسدلت عليهـا جفون كثيفـة ، حدث ذلـك منذ سـتـة أشهر . كنت في فيينا ، أزورها للمرة الأولى ، وقد حملت (الكاميرا) كـأي صحفي محترف ، ودرت في شـوارعها ، في ازقتهـا ، في وجـوه اهلهـا ، ركضت في ليلهـا وقـد شـرعت قلمي . . انصت لموسيقى اثيرها ، وشاهدت بط النسيان الابيض الكسـول يتجول في حدائقها ، بينها زلزال العصر يشقق ممراتها .

ووجـدتني عاجـزة عن كتابـة اي تحقيق صحفي . هجـرتني لمسـة (ميـداس) الصحافية ، ووجدتني عاجزة عن التقاط اية صورة بالكاميرا للمدينة .

عين كاتبة القصة استـدارت داخل دمـاغي مثل عـين قطة في الـظلام ، وبدأت عدساتها المركبة ، المعقدة اكثر من اية كاميرا ، تلتقط الصور . . . والمرئيات . ووجدتني اكتب قصتي الجديدة شبه الطويلة « الدانوب الـرمادي » اولى قصص « رحيـل المرافىء القديمة » .

إن ذلك لا يعني ان الصحافة هجرتني الى الأبد . لقد حدث ذلك من قبل مرات عديدة ، فأنا شاطىء من المشاعر تتواتر فوقه امواج حياتي الداخلية ، وغالبا ما تجد هذه الامواج تعبيرها عن ذاتها عبر القصة واحياناً عبر تحقيق صحفي او صفحة في مذكراتي ، او دمعة صمت سرية ، أو السير في مظاهرة مع الجماهير الناقمة . . .

كثيراً ما تركت الصحافة وعدت اليها . . . تسحرني بحيويتها ، ومباشرة مخاطبتها للناس ، وقدرتها السريعة على التغيير ، وديناميكية الحوار عبرها بين الكاتب وقرائه . . .

قد لا تصلك هذه السطور الا واكون قد عدت الى الصحافة . . وقد لا اعود ابداً .

● **حدثينا عن مجموعتك القصصية الأخيرة .**

ـ مجموعتي الأخيرة اسمها « رحيل المرافىء القديمة » وقد باشرت بطباعتها . أولى قصص هذه المجموعة هي « الدانوب الرمادي » (اولها من حيث التسلسل الزمني لكتابتها) وهي تضم ٦ قصص قصيرة كتبتها في فترة تشبه الحمى دامت عشرة أسابيع فقط كنت خلالها كمن به مس ، اكتب باستمرار دون أن أقوى على تهدئة أصابعي الراكضة بجنون بين السطور . كنت اكتب ليل نهار وذات ليلة ، مع الفجر ، لا ادري لماذا شعرت برعب وانا أرقب اصابعي الراكضة بين السطور مثل احصنة وحشية الاندفاع والعدو، كأنني احاول ان اسابق الموت وان انتهي من مجموعتي قبل ان يقرع نافذتي ذات ليلة ويحتلني . . .

وانتهت المجموعة ولم يقرع الموت نافذتي . ولكنني فقدت ابطالها الذين خلقتهم وعايشتهم اسابيع طويلة ، وودعتهم لحظة انتهيت من آخر سطر للكتاب .

● **أين توقفت مشاريع « قصص متوحشة » و« الغجرية » و« الموسيقار » وغيرها ؟**

ـ أنا يا سيدتي امرأة موهبتها النسيان .

النسيان ينزف من مسامي . لا أقصد النسيان بمعنى فقدان الذاكرة ، وانما بمعنى الاحساس بانفصام العلاقات القديمة . . انعكاس ذلك سيء جداً على مصالحي الأدبية . فالقصة التي اكتبها ولا انهي كتابتها تماماً وفوراً ، أجدني قد اغتربت عنها اذا عدت اليها بعد اشهر . . اجدني اتهرب منها كما يتهرب انسان من صديق قديم لم يعد يروق له . لاحظت انه من الأسهل عليّ اعادة صب الفكرة في قصة جديدة بدلاً من تكملة سطر واحد فيها ! مخطوطاتي القديمة مكدسة امامي . . . ترمقني بعيون تفيض رجاء . . . تريد ان امنحها الحياة واطلقها الى الناس . . .

وانا لا ادري متى . . . اخشى ان اعود الى كتابة اشياء جديدة ، واخلف اوراقي العتيقة غير المنشورة للريح والنسيان . . . ربما كانت اوراقي السجينة هي افضل ما كتبت . . . من يدري ؟

● **كم مرة سافرت هذا العام ؟ والى اين ؟ ولماذا ؟ وماذا كتبت في أسفارك ؟**

ـ تسألينني كم مرة سافرت هذا العام ؟ . . . لم اسافر ولا مرة واحدة . أجل . ركبت الطائرة اكثر من مرة . وأقلعت بي من مطار بيروت . وطارت بي مئات الأميال. وحطت بي في عشرات المطارات الغريبة . . لكنني لم اسافر . لقد عجزت هذا العام عن السفر

خارج ذاتي ولو مرة واحدة . كنت احمل معي اينما ذهبت كـل قضايـا عمري واحـزاني وطموحي ومخاوفي وماضيي ، واكل معتقداتي وثورتي وخططي . . .

اين سافرت ؟ ما الفرق . كنت ـ اينما كنت ـ قطعة نازفة من ارض وطني . . لقد بـدأت استعصي على التخـدير وعـلى النسيـان ، وبـدأت امشي نهائيـاً في ارض الجمـر والالتزام . . .

● المعروف عن غادة انها صديقة لأكثر ادباء وشعراء العالم العربي . ولكن هذا لا يمنع من قـول رأيها الصريح ـ وهي المعـروفة بـالصراحـة والجرأة . من هم ابـرز الشعراء العرب اليوم . وابرز الادباء والأديبات ؟

ـ رغم انك رشوتني في سؤالك ، اذ (تغزلتِ) بصدقي وصراحتي وجرأتي ، اقول لك بكل جرأة وصراحة وصدق انني لا استطيع الاجابة على هذا السؤال لأنني حريصة على صداقاتي الحميمة .

● هنالك آراء متناقضة حول شعر الثورة الفلسطينية ومدى ما حققته . ما هو رأيـك الشخصي بها . . .

ـ بالنسبة لي لا يوجد شيء عام وشامل اسمه « شعر الثورة الفلسـطينية » ، فـأنا أمقت التعميم في قضايا الأدب .

هنالك اصوات عديدة تطرح في شعرها قضايا الثورة عامة ، والثورة الفلسطينية خـاصة ، وتتفـاوت من حيث الجودة والأصـالة الفنيـة . . ولكن رفع شعـارات الثورة الفلسطينية لا يمكن ان يشفع للشعر الرديء . وقلائل جداً من متعاطي « شعر الثـورة الفلسطينية » هم شعراء بحق .

● القصة العربية القصيرة ، اين هي ؟ وما مدى ما وصلت اليه ؟ ويقـال انها تنطلق اليوم من القاهرة ، وبعضهم يقول من العراق . ماذا تقولين ؟

ـ القصة القصيرة لا عاصمة لها ، ولا حاجـة بنا الى منـاقشة هـل تقطن القـاهرة ، ام بغداد ، وهل سفارتها في الكويت أهم ، ام في دمشق . كل كاتب مبدع هو عاصمة من عواصم القصة في العالم العربي ، وطرح القصة (اقليمياً) غير عملي .

بصـورة عامـة ، اعتقد ان حـركـة القصـة العـربيـة القصيـرة مليئة بـالحيـويـة والمعاصرة ، ، وان بعضها عالمي المستوى .

● بعد ان مر على زواجك ٣ سنوات واصبحت اماً ، ما الذي غيره او اضافه الزواج والامومة الى حياتك كأديبة ومثقفة ولنسانة تملك طموحات كبيرة ؟ ثم انك مستريحة الى

حد ما في حياتك الآن . اين ذهبت همومك السابقة ، وما هي ابرز همومك ؟

ـ ما أنا الا قطرة من بحر العذاب الانساني المختلف الموجات والعواصف والانواء . . . وسنوات ثلاث من الزواج (اي من الاتحاد بقطرة اخرى معذبة) لا تبدل من الأمر الشيء الكثير . . . أنا من بعض هذا المجتمع العربي . . همومي هي هموم اي ثائر في اي زمان ومكان . . . وهي ايضاً هموم اي انسان يكف لحظة عن ركضه المجنون في دروب الحياة ويتأمل حقيقة ما يدور . . . يحزنني موت الاشياء الجميلة ورحيلها السريع . . . موت الحب . . . موت الصداقة . . . غموض الحياة وطلاسمها ، وشبكة ألغازها العنكبوتية التي نتخبط في شركها دون ان ندري لماذا ومن اين والى اين وماذا بعد غير الموت . يحزنني الفقر . . . والمرض . . . والجنون . . . والحرب . . . واللاحرب . . . وكل شيء . . . العالم مسكون بالحزن . . الزواج رفقة في درب الاحزان وليس حلاً لها او لمشاكل الوطن والوجود .

● **كونك مثقفة لها موقفها تجاه الحياة العربية والعالمية بمختلف قطاعاتها وجوانبها ، فهل تستطيعين ان تحددي لنا باختصار شديد مواقفك من : السياسة العالمية الآن ؟ العربية ؟ واين انت في التيارات الثقافية العديدة ؟**

ـ يولدون ، ويتعذبون ، ويموتون ! . . هذا باختصار شديد كما طلبت .

● **رأيك بالصحافة العربية بصورة عامة .**

ـ الصحافة هي حنجرة المجتمع وضميره الجماعي وانعكاس لصورته على مرآة الورق . . . وهي بالتالي لا بد وان تتضمن كل ما في المجتمع من عظمة ومن سقطات . . والصحافة العربية تمد جذورها في ارض الوطن العربي بكل ما فيه من متناقضات وثورات وقيم وتشوش . .

على ضوء هذه الرؤيا ، اعتقد ان الصحافة العربية بصورة عامة استطاعت تجاوز الكثير من الهنات ، واستطاعت ان تؤدي دورا ايجابياً بناء في هذه المرحلة التاريخية التي يعيشها وطننا العربي .

● **يقال ان الاديب الذي يعمل في الصحافة لا بد وان يمتصه العمل الصحفي ويؤثر على انتاجه ليس من حيث الكمية فحسب ولكن من حيث المستوى . والمعروف ان اكثر ادباءنا يعملون في الصحافة . فهل لاحظت ان المهنة اثرت على نتاجاتهم ؟**

ـ ذلك يتوقف على مدى اصالة الأديب . . . وكلما ازدادت اصالة الفنان ، كلما استعصى على وسائل (التدجين) الفكري . لا اعتقد ان العمل الصحفي هو بالضرورة

مقبرة الابداع الادبي ، بل انهما احياناً قد يتكاملان، ويكونان تعبيرين عن حقيقة واحدة وموقف واحد يمثله الأديب ويبلوره عبر ادوات التعبير المختلفة . . . المهم ان يعمل الأديب (في الصحافة اوغيرها) ضمن شروط لا تستنزفه جسدياً او انسانياً . . والأدباء الكبار أصالة لا مفر لهم من ان يكتبوا أياً كانت الشروط ، فالعطاء قدرهم ، واسلوبهم في النزف ، فهم مرصودون لنزف وجودهم سطوراً مترنحة على الورق مثل خطى انسان مصمم على ان يمشي رغم الخنجر المغمد في ظهره .

كثيرون هم الادباء الغربيون الكبار الذين كتبوا للصحافة في فترات من حياتهم . . دون ان يؤثر ذلك في عطائهم الادبي . . . بل كان لهم من تجاربهم الصحفية روافد جديدة . . .

● **في احد تحقيقاتك الصحافية اتخذت موقفاً مغايراً من حركة « الهيبيز » . لماذا ؟**

ـ « الهيبيز » كانوا اسوأ محامين لقضية عادلة. نادوا بالسلام ولكنهم انتهوا الى ارتكاب الجرائم والمجازر ـ مثل مذبحة شارون تيت وضيوفها على ايدي جماعة منهم ـ ، ونادوا بالنقاء النفسي ولكنهم مارسوا القذارة الجسدية واعلنوا الحرب على الماء والصابون ، ونادوا بالمحبة ولكنهم مارسوا الجنس الجماعي مثل قطط الازقة المظلمة . . ونادوا بتدمير المؤسسات القائمة . ونادوا بملء العالم بالأزهار والفرح ، لكنهم حولوا كل حديقة دخلوها الى مقبرة ماريوانا وحشيش و ـ ال . اس . دي . ـ وغيرها من وسائل التخدير الذي يمتص اية قدرة لدى الانسان على الفرح ويقتل ازهاره الداخلية وقدرته على العطاء . . ونادوا بالحرية ، لكنهم مارسوا عبودية الجنس والتخدير ، ونادوا بمجابهة العالم القذر والحضارة الالية ، ولكنهم امتهنوا الهرب من المسؤولية .

نادوا بالعودة الى البراءة الاولى ولكنهم عادوا الى البهيمية الاولى . . . الهيبيز خيبة لجيلي ، فقد تبنوا ما كان في قلبي من سخط وثورة ، لكنهم مسخوا هذه الثورة واستغلوها ومارسوا التفاهات تحت لوائها فكانوا مؤسسة اسوأ من كل المؤسسات التي وجدوا اصلا بداعي تهديمها .

● **رأيك بتأزم الشباب العربي .**

ـ تأزم الشباب العربي دليل عافية وطنية ونفسية لأنه لا يمكن لعربي من المئة مليون غاضب لهزيمة ١٩٦٧ ، ومتحفز لغسل العار ، الا ان يكون متأزماً . . اليد التي تلسعها النار ولا تتوتر هي يد مشلولة والنفس التي تعصف بها رياح التحدي والعدوان التي تعصف بعالمنا العربي ولا تتأزم هي نفس ميتة . . .

● لماذا تزوجت ؟ او بالاحرى لماذا ارتضيت لنفسك هذه القيود وانت الشابة المنطلقة « سابقاً » في حياتك خارج كل الاسوار ؟

ـ انا امرأة دمرت كثيراً من الأسوار كما تقولين . هذا صحيح . ولكن تدمير الاسوار لا يعني بالضرورة التفلت من المسؤولية . حينما ودعت دمشق ، وحماية والدي المادية والمعنوية ، وانطلقت في العالم بحرية ، حملت مسؤولية هذه الحرية . كنت اعمل باستمرار لأعيل نفسي ، وتابعت دراستي الجامعية في بيروت وفي لندن حتى الدكتوراه . . وعشت وحدي في مدن بعيدة ، وذلك لا يعني فقط الحرية العاطفية وانما يعني انه كانت هنالك مسؤوليات عملية لاحد لها كان عليّ ان اواجهها . . . مسؤوليات يعرفها اي شاب عاش وحيداً في الغربة . . ولذا فإن زواجي لم يكن بالنسبة اليّ صدمة ، ولم يتطلب مني كثيراً من التكيف . . . كل ما في الأمر ان نوع مسؤولياتي تتبدل . . . القيود التي سبق وتمردت عليها لم يأت زواجي ليبدل شيئاً من موقفي نحوها . . فزواجي لم يكن لجاماً ولا قيداً . . . ما زلت اتمتع بحرية التفكير والقول والكتابة والتصرف . . . كثيرون ادهشتهم استمراريتي الزوجية ، وهذا يرجع الى مفهومهم الخاطىء للزواج وممارستهم المهينة له . . او الى فهمهم الخاطىء لحقيقتي و« لنوعية » القيود التي طالما كسرتها وثرت عليها وما زلت .

بالنسبة لي ، الزواج صداقة انسانية حقيقية وتحالف بين رفيقين لكسر القيود التي تكبل انسانيهما وتحول دون تحقيقهما لوجودهما ، لا اختراعاً لمزيد من القيود ! . . .

● ماذا تحب غادة (غير زوجها) ؟ ـ الموسيقى ـ السينما ـ الرياضة ـ السفر . . الى آخره .

ـ أحبه ، رغم انه زوجي ! . . .

منذ البداية لفت نظري شيء نادر فيه : انه غير مصاب بالازدواجية الفكرية . . اكثر الثوريين واليساريين العرب الذين عرفتهم كانوا مصابين بالازدواجية في موقفهم من المرأة ومفاهيمهم للاخلاق . . كان هنالك تناقض صارخ بين آرائهم وسلوكهم . . بين معتقداتهم الثورية وممارساتهم الرجعية . بعضهم يتشاجر مع اخته لأنه ضبطها (بالجرم المشهود) تراجع دروسها مع زميلها الجامعي ، ثم يخرج من الدار ويتستر بالظلام للقاء صديقته التي قد تكون اخت ذلك الشاب ! . . زوجي وجدته قد تجاوز هذه المرحلة . . ويبلغ مرحلة الوضوح المدهش والانسجام التام بين فكره وسلوكه وممارساته على كل صعيد . . . كانت تلك هي الشرارة التي أشعلت كوكب حبي له .

هذا ، حتى اشعار آخر .

لا أضمن المستقبل ولكنني اكفل صدقي فيما يتعلق بالماضي والحاضر . هذا عن زوجي . اما بقية الاشياء التي أحب فكثيرة لا تحصى . الموسيقى ؟ .

احب الموسيقى اليّ صوت الصمت في الغابات حينما يهب عليها الليل بأصواته السرية الغامضة . احب الافلام اليّ هي تلك التي أراها على شاشة الحياة مجاناً ودونما قاعة عرض ولا تذاكر . . احداثها تبعث دوماً على الدهشة والذهول اكثر من اي فيلم استطاعت السينما التقاطه .

أحب رياضة اليّ هي المشي تحت المطر وتسلق الاشجار ومطاردة الافاعي والتقاطها وتخويف النقاد بها !

أحب الطيور اليّ البوم ، واهوى جمع صوره وتماثيله ولدي مجموعة حلوة منها ، وينافسه في حبي بقية مخلوقات الله الجميلة المدهشة . احب الفئران مثلاً. في عيونها ذكاء وبريق طفولي . حينما كنت اعيش وحيدة في لندن اكتشفت ان فأرة صغيرة تقاسمني غرفتي ، وتتسلل في الليل بحثاً عن بقايا الأكل ، وصرت اعد لها العشاء واطفىء النور واجلس صامتة في الظلام انتظر زيارتها وارقبها تأكل كالاطفال بينما يسقط عليها نور الشارع . . وكانت تراني وتعرف انني اراها ، وفهمت انني اعرض عليها صداقتي ، وبعد فترة صارت تألفني وتخرج اليّ ليل نهار . . نسيت ان اقول لك انني اكره بعض انواع الرياضة . . اكره الملاكمة ومصارعة الثيران وكل ما يمارس فيه الانسان حيوانيته وشهوته للدم تحت ستار الرياضة .

● من الملاحظ انك تملكين صداقة عميقة ووطيدة مع مجموعة من الشعراء والادباء والفنانين العراقيين . فهل تستطيعين من خلال هذه الصداقة أن تحدثينا عن الناس في بغداد ، ورأيك من خلال ما شاهدت وسمعت عن الحياة الثقافية هنا ؟ والاجتماعية ؟

ـ احببت الانسان العراقي . . . حديثه وعاطفته لا تضايقني وانما تلتقي مع طبيعتي . . . انه يحبك حتى الموت او يكرهك حتى الموت وانا كذلك وهو صريح وصادق لم يبع نفسه في مزادات الديبلوماسية . . إنه ما يزال يحمل فروسية الصحراء وطراوة النخيل . . .

اعجبت كثيراً بالفن التشكيلي في بغداد. . . احببت الغناء العراقي الأصيل بكل ما

فيه من لوعة الحزن وجنون العطاء . .

تسأليني عن الحياة الاجتماعية ؟ . . . لم تلفت نظري ظواهر خاصة ، فأنا امرأة عربية ولست قادمة من (السويد) مثلاً . . . والحياة الاجتماعية في بغداد تتضمن كل ما نجده في الحياة الاجتماعية بدمشق او القاهرة من سقطات ومن مزايا . .

● **هل تغير مفهومك في « الحب المطلق » بعد الزواج ؟ وما هو هذا الحب ؟ وهل تعيشينه وكيف ؟**

ـ لم يكن لدي اي مفهوم رومانسي عن « الحب المطلق » كي تكون لدي خيبات بعد الزواج . . .

● **ماذا تفعلين عندما تشعرين بالضجر من الزواج ؟**

ـ لم اشعر بعد بانني (متزوجة) كي اشعر بالضجر من الزواج . . كل ما احس به هو انني وجدت رفيقاً في هذا العالم المثقل بالخيبات والخناجر والألم وهذا في نظري امر لا يدعو الى الضجر ! . . .

خريف ١٩٧٤

محي الدين صبحي يستجوب

● الالتزام بدون ابداع هو هيكل طائرة مقاتلة بدون محرك .

● لا بد انك فرحت كثيرا حين طلب منك الناشر السماح بأن يعيد طباعة مؤلفاتك . . ما هي - في رأيك - العوامل التي تجعلك من الكتاب المقروئين كثيرا في الوطن العربي ؟

- لماذا تستدرجني الى مدح ذاتي او الى شتم جمهوري ؟ . . . وعلى اية حال ، سبق لك ان أجبت بنفسك على هذا السؤال منذ ١٣ سنة حين كتبت عن اول قصة نشرتها (قبل صدور كتابي الاول عيناك قدري باشهر) وقلت في جريدة دمشق المساء عدد الجمعة ٢٨ تشرين الاول ١٩٦١ ما يلي « الحرف الرشيق والصورة الآسرة في اسلوب اديبة هجمت على الحياة الادبية دون سابق انذار واذا بها بين يوم وليلة في طليعة الادباء والقصاصين عن جدارة تؤهلها الموهبة والثقافة والمثابرة لان تكون اديبة جيل جديد ينقد الحياة ويستشرف مثلا ويطرح قيما لحياة افضل » . . .

● ان كتاباتك غير القصصية وسعت من آفاق الموضوعات التي تعالجينها - فهل ترين ان قصتك تتسع مداراتها باتساع كتاباتك الاخرى ؟

- كتاباتي الصحفية وغيرها هي بمثابة هجرة مستمرة لي بين مختلف الاجواء والطبقات والناس . الشيء ذاته يفعله السفر والقراءة .

● ان الرؤية لديك بانورامية ، تجري على شاشة واسعة من مشاهد الحياة ونفسيات الابطال . فلماذا تختارين القصة القصيرة ، مع ان نفسك السردي اميل الى القصة من حيث انسياح الاحداث والمناظر والذكريات على مساحة واسعة ؟

- ملاحظتك في محلها ، وقلما التفت اليها النقاد . لقد حاولت ان اكتب رواية على طريقتي ، اي مجموعة قصص يمكن ان تقرأ كل قصة فيها على حدة ، الا ان قراءة المجموعة ككل تعطيك رؤيا بانورامية لشاشة واحدة وواسعة ، ركزت على ذلك في

مجموعتي القصصية « ليل الغرباء » . وناقد واحد غيرك هو الاستاذ محمود امين العالم لاحظ ذلك . وحين كتب نقده لتلك المجموعة القصصية تناولها كرواية ، واطلق عليها اسم رواية .

لماذا ؟

. . كالعادة ، لا ادري بالضبط ، و لكن ربما كان ابرز الاسباب يعود الى طبيعتي النزقة التي ما تزال تحول بيني وبين العمل البنائي الهندسي ، البطيء ، المستمر ، والذي تتطلبه الرواية بصورة عامة .

● احببت كتابك الاخير « حب » ، فقد كنت من النساء العربيات النادرات ـ وربما الاولى ـ اللواتي يكتبن عن الحب دون السقوط في السوقية او المثالية .

ـ بالنسبة الي لم يكن الامر غير رسم لصورة الحب التي نفتقر اليها . . نحن ما نزال نقسم علاقاتنا الى قسمين : شرعية وغير شرعية .

علاقات « الحب » الشرعية لدينا تخلو غالبا من « الحب » ولكنها تحتمي بالمثالية . انها علاقات فارغة من المضمون مثل هيكل صرصور اكله النمل من الداخل وفرغ تماماً . .

اما العلاقات « غير الشرعية » فهي غالبا جذابة وممتعة لكنها سوقية بطريقة ما . انا لا ابحث عن الحل الوسط ، انا ابحث عن الحل كما ارادته الطبيعة ، ان ممارسة الحب في نظري ليس صلاة كما انه ليس خطيئة ، انه ببساطة امر جميل اذا كان صادقاً ومتبادلاً ، ومصراً على خلع قفازات العقد النفسية .

وما اردته في كتابي « حب » هو القول ببساطة : الحب ليس نقيضا للثورة . وليس نقيضا للحس بالمسؤولية . وليس نقيضا للجدية في مواجهة قضايا الحياة ، وان الدعوة الى الحب هي جزء من الدعوة الى تحرير النفس العربية مما علق بها من مفاهيم مغلوطة تشوه انسانيتها وتعيق تفجير طاقاتها .

● تميل الاديبات دائما الى الالحاح على عبودية المرأة وانتحال الاعذار الاخلاقية لشذوذاتها ـ لكني لا ارى في كتاباتك منحى تبريريا قويا ، فهل تأخذين السلوك على انه امر معطى ويجب التسليم به ام ان لك رأياً آخر ؟

ـ قليلة هي الاشياء التي تجعلني ادق طبول الندب او نغمة تقريع الذات او تبريرها ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة انني آخذ السلوك على انه امر معطى ويجب التسليم به .

انني ارفض فلسفة انه (ليس بالامكان ابدع مما كان) لكنني ايضا لا ارى مبررا لرمي كل اخطاء المرحلة على المرأة وبالتالي محاولات الكاتبات الاعتذارية . انني اولا احب رصد السلوك البشري ولانني كاتبة قصة لا واعظة ولا موظفة في مؤسسة تربوية فان رغبتي في الافضل بعيدة عن المباشرة او التزلف للقيم السائدة . انني ارصد السلوك البشري ضمن منظار لا علاقة له بمفاهيم الخير والشر التقليدية ، ومن المفروض ان تظل عين الفنان نقية كالنبع بعيدة عن كل الاحكام المسبقة . ان انتحال الاعذار الاخلاقية هو ضمنا اعتراف بالاخطاء بل واسقاط لها على كاهل المرأة . . انا شخصيا ارى ان المجتمع العربي يمر بمرحلة تطور ولكل مرحلة سقطاتها التي لا يتحمل تبعتها فرد او نوع (ذكر ـ انثى) بل وتتحملها الاجيال العربية حتى التي سبقتنا . . . انني اكره ماسوكية الاديبات العربيات اللواتي يشعرن باستمرار انهن مطالبات بالاعتذار عن ذنب لم يرتكبنه ، ان موقفهن هذا غير اخلاقي لانه معادل تماما للموقف الآخر المقابل ، موقف المرتكب والهارب ، اي الرؤيا السادية النسائية للاشياء . . . بل هو ايضا اضعف منه لان الدفاع عن خطيئة غير مرتكبة هو في حد ذاته خطيئة : خطيئة في حق احترام الذات .

● **هل ترين للمرأة العربية مستقبلا افضل في عالم التغيير الذي تعيشه امتنا ام ان دورها السكوني سيظل على حاله ؟**

ـ ذلك يتوقف على مستقبل امتنا ومعنى « التغيير » الذي سنحققه . . . وحين يكون « التغيير » حقيقيا ، ونحو الافضل ، فان ذلك لا بد وان يتضمن تبديل اللاعدالة التي ترزح تحتها شعوبنا العربية ، اللاعدالة على الصعيد الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والانساني ، وذلك طبعا يتضمن كل انواع الظلم والاستلاب بما فيها ظلم المرأة النوعي . . .

فالمرأة في بلادنا مظلومة مرتين . . . مرة كمواطنة (ككل بقية المواطنين الرجال الذين يجوعون الى الحرية والكرامة واللقمة ، حرية التعبير والقول وتكافؤ الفرص) بالاضافة الى ظلمها الاضافي كأنثى . . .

وهكذا فالمطلوب هو تحرير « الفرد العربي » رجلا كان او امرأة ، وكل « تغيير » لا يوفر للمواطنين فرصا افضل للعيش والعمل وممارسة الذات هو تغيير نحو الاسوأ . . . والسؤال الذي يطرح ذاته : هل من الممكن اولا « تغيير المجتمع » ثم تحرير المرأة ؟ . . . طبعا لا . لان اي « تغيير » هو غير ممكن ما دامت المرأة في وضع سكوني . . . وهنا

احب ان استعيض عن كلمتـك « سكـوني » بـعبـارة « تـسكـيني » . فـمنـذ ولادة المرأة ، وكافة انواع « المسكنات » الاجتماعية والنظريات الباليـة والممارسـات الخاطئـة تحقن في دمـاغها من اجـل تخديـر وعيها بحقـوقها وامكـانـاتهـا . المـطلوب الكف عن « تسكين » انسانية المرأة كي يكون التغيير ممكنا لا مجرد كليشهات رسمية .

● **وهل ترين ان دور الرجل سيكون اكبر ؟**

ـ نعم سيكون دوره اكبر ، لانه مطالب بمساعدة المرأة على تقطيع قيـودها كي تستـطيع مشاركته الثورة . . على الرجل المساهمة في تدمير « باستيل » النظرة الشرقية الى المرأة كي يكونا كما أرادتهما الطبيعة ، حليفين في وجه القـوى التي تشوه الشمس والفـرح واغاني الاطفال .

● **هناك الكثير من الغربة في قصصك ، فأبطالك غريبون عن بيئاتهم (منهم من يعيش في اوروبا او يسيح فيها) وعن بلدانهم الاصلية (طالبة سورية في الجامعة الاميـركية مثلا ، او خادمة تركت قريتها لتعمل في بيروت) وحتى عن انفسهم : ألِى هذا الحد ترين الانسان العربي موغلا في الغربة ؟**

ـ نعم ، هنالك كثير من الغربة التي لا مفر من ان يعانيها الفرد العربي اذا لم يكن ببغائي المزاج وسهل التدجين . هنالك غربة منذ البداية ، منذ محاولة اقناعه في البيت بالتصرف والتفكير وفقا لاسلوب معين ، لمجرد ان ذلك كان متبعا من قبل . . هنـالك غـربة في المدرسة ، غربة عن المناهج الدراسية التي ترفضها عين الفتى الجديدة (عينه التي لم يتم إفسادها نهائياً بعد) ، يوما بعد يوم تتعاظم الغربة ، يألفها البعض حتى ليظنها الوضع الطبيعي ، وينجم عن تلك الالفة تآلف مع الكسـل الروحي والفكـري وقبول بـائس بالأمر الواقع . . . حتى ليظن البعض انه (ليس بالإمكان أبـدع مما كـان) ! هناك أيضاً غربة بين الفرد والسلطة ، والذين يحتفظون بعيونهم جديدة لا بد وان يلحظوا ان سلوك السلطة في بعض البلاد العربية غريب بالنسبة للأهداف التي تنادي بها . . . . .

يتناب الفرد العربي احيانا احساس بأن الوطن سـافر عنـه واغترب ، والتـاريخ رحل ، والسلطة تتستر عـلى ذلك كله ، بـدلا من ان تنظم مسيـرة القـاء القبض عـلى الاهداف المعلنة . . هنالك غربة على صعيد العلاقات الانسانية بين الرجل والمرأة ، وبين الرجل والرجل كزميل في العمل او النادي او الدكان . . لو اردت تعداد « الغـربات » العربية لما انتهيت ، واترك لكل قارىء ان ينبش ذاتـه في لحظة صـدق وانفراد ليضيف كلمة جديدة الى قاموس الغربة .

● من هم الكتاب الذين تقرأينهم هذه الايام ، وما هي الخطط التي تقترحينها للحد من فوضى الترجمة ؟

ـ ليس المهم من ، والاهم الترجمة انطلاقا من اسس مدروسة ، وكبداية اقترح الكف عن الترجمات التي ترجح جانب الفلسفة المثالية والغيبية (فلسفات مأساة الأوروبي المرفه كما في كتب كولن ويلسون وسارتر) الى ترجمة ما له علاقة بالفكر التجريبي (برتراند راسل مثلا غير مترجم في معظمه) ، اي الكتابات التي تركز على دور الانسان في صنع الحضارات (الحضارة الغربية مثلا) لحاجتنا الى هذا النوع بالذات في هذه المرحلة من تاريخنا .

اننا بحاجة الى كل ما يساهم في هدايتنا لبناء حضارة (لا الى استلهام مظاهر تفكك الحضارة الغربية) . وحين جئنا لانشاء تفكير تاريخي اخذنا الماركسية الستالينية التي تضع كل شيء داخل كليشيهات بدلا من تبني الجانب الديالكتيكي الذي يرى صراع الاضداد . لقد اخذنا الجانب السكوني (المشابه لفكرنا المتخلف) بدلا من الجانب الحي الذي يسمح برؤية افاق اخرى جديدة ، تستلهم ولا تقلد ببغائية مؤذية .

بعبارة اخرى « الفكر التجريبي » ما تزال ترجماته قليلة وما نزال نميل الى ترجمة الوصفات الجاهزة لبناء الحضارات وهذا غير ممكن . استيراد التجارب غير مجدٍ لكن استلهامها ضروري . وبسبب فقرنا في مجالات الفكر التجريبي ، فإن مفهوم المؤسسات لدينا سكوني. لنأخذ مؤسسة المدرسة ، انها ما تزال لدينا ترزح تحت كل سيئات «الكتّاب » العتيق دون اي من فوائده. المدرسة في اوروبا صارت اليوم نزهة فكرية . لنأخذ قضية المناهج : هنالك طلبة في العالم لهم حق اختيار ٦ مواد من ٢٠ مادة مثلاً . لنأخذ مدارس التأهيل (البوليتكنيك مثلا) ، انها تكاد تكون معدومة في بلادنا ، وان وجدت فبشكل بائس وهم محرومون من بركة الدولة في احتضانهم فيما بعد . هذا كله يماثل الشعارات السكونية الماركسية. صراع الطبقات مثلا، نحن لم نره بمنظار التنمية ولكن بمنظار انه « توزيع فقر » . الاصلاح الزراعي مثلا فهمناه على انه توزيع الارض وهو في روحه اصلاح لمناهج الزراعة بمعنى ان تؤمن الدولة مهندسين وتراكتورات وقنوات ري وخطة تنمية وتصريف للمنتوجات لا مجرد اقامة حفل خطابي توزع فيه شهادات واوراق على فلاحين لن يتغير بؤسهم . .

مفهوم الحزب لدينا مثلا ، بدلا من ان نأخذه بمفهوم نشر الوعي أخذه بعضنا من جانب اقتسام غنائم السلطة ، وكل متسلط جديد يطبق قانون « من اين لك هذا » على

بقية الرفاق ما عدا نفسه . . وبدلا من ان يكون الحزب العربي (بصورة عامة) وسيلة لحمل المسؤولية ، صار وسيلة لحماية المسؤول للتهرب من مسؤولياته ! . . .

والسبب الرئيسي في هذه الامراض كلها هو فقر الفكر التحليلي الظواهري لدينا ، واكثر الترجمات للاسف (المسموح لها بالتنقل بحرية بين البلاد العربية كلها دون منع) هي الترجمات المنسجمة مع تفكيرنا الغيبي التقليدي ، ودور النشر العربية ليست وحدها المسؤولة بل بعض الرقابة العربية التي تساهم مساهمة فعالة في تخريب بنية المراهق العربي الذي يسعى لبناء نفسه فكريا ولكنها تحول بينه وبين وصول الكتب الضرورية له بسيفها (المانع) البتار . . .

علة الادب العربي ، ركام من الالفاظ ، وقد اسقطنا العبث اللفظي التقليدي (الجناس ـ الطباق ـ السجع) ولكننا للاسف انشأنا نمطا جديدا من العبث اللفظي بسبب عشوائية بعض ترجماتنا ، وسيف بعض الرقابات المسلط على دور النشر الواعية غير المسموح لها بممارسة فعالياتها على طول الوطن العربي وعرضه .

● الالتزام بقضايا المجتمع العربي شديد في قصصك ، فقد تحدثت بانفعال عن المشكلات الفلسطينية ، والهموم الحزيرانية ، والاعتداءات على الجنوب اللبناني . .

هل هذه القصص تعبر عن ايمانك بالالتزام ام ترين ان الابداع حر ؟

ـ اؤمن بالابداع الحر ولا تعجبني نظريات « الالتزام » التي تتحول احيانا الى قوة قمع واضطهاد فكري للفنان ، ويكاد بعضها ، الشديد التطرف ، يصير « الزاما » للفنان تحت طائلة القاء القبض على رأسه .

اؤمن بحرية الفنان حرية مطلقة، واؤمن بأن مساوىء حرية الفكر هي اقل من مساوىء كبت حرية الفكر تحت اقدام ألفاظ مشروعة ومهذبة مثل الالتزام وغيره . .

واذا كانت بعض اعمالي تتصف « بالتزام شديد بقضايا المجتمع العربي » فان ذلك نتيجة لممارستي لحريتي ، وما اكتبه ينبع من داخلي ، ومن احساسي بموقعي في قافلة الرافضين ، الراغبين بغد افضل . . هذا لا يعني انني ادين سواي ممن قد يجدون للابداع مواضيع اخرى وسبلا اخرى . . . انني اكره الاحكام النهائية والقواعد التي قد تأخذ صفة الحتمية . .

. . لكلٍّ سبيل وطريقة ، ولكل الحرية في ان يلتقط ما يحلو له من الكهارب التي يبثها الوجود حوله .

بالنسبة الي بدأ الامر كما يلي : لم اقل : انا كاتبة ؛ والالتزام « موضة » ينادي بها

النقاد ، فالتـزمت . لا . مثل هـذا الموقف قـد ينتج كـراسات دعـائية لا ادبـا . وانما كتبت ، وحدث الامر على هذا النحو . هذا كل شيء !! . . .

ما اود ان اسجله هو ان الفنان ليس موظفا تعطيه موضوعا انشائيا يكتبـه ، انـي اصر على حرية الفنان انطلاقا من ايماني بأن الحرية لا تتنافى مع الالتزام ، بل هي شرط له ، وبدونها يجهض الابداع في اي عمل فني . . . تغيـظني الطريقـة التي يتحدث بهـا انصاف النقاد وبعض الصحافيين عن الالتزام والفن . بالنسبة اليهم ، يكفي ان يضم العمل الفاظا فجة مباشرة تتحدث عن الثورة وفلسطين كي يصير العمل « فنا ثوريا » ، واذا خلا العمل من هذه الالفاظ حكم عليه فورا بالانفصال عن واقع الشعب دونما اي اعتبار لروح العمل وقيمته الابداعية ومدلوله غير المباشر ! . .

اسمع احيانا اغاني « ثـورية » يـوجعني تفاهـة مفهومهـا للالتـزام . . . الكورس القديم نفسه ، يغني بالانغام النواحية المحنطة الباهتة نفسها كلمات تبدو ملصقـة على الاغنية ، والفاظا مثل : العمال ، الثورة ، الفلاح . كأن ترداد هذه الالفاظ ببغائية هو « الاغنية الثورية » ! . . .

لقـد ارتكبت مجازر ادبية وفنية كثيـرة باسم الالتـزام . والمسؤول الاول عن هذه الفوضى الفنية هي بعض سلطات الاعلام العربية التي ركزت على ضرورة « الالتزام » حتى التغاضي عن الشرط الاول والاساسي ، وهو الابداع . . . الالتزام بدون ابداع هو هيكل طائرة مقاتلة بلا محرك .

٢٧/٥/١٩٧٦

كاتيا سرور تستجوب

● اللفظية الثورية طغت على الكثير مما نشر خلال الحرب اللبنانية .

● لقد عطلت الاحداث كل الحياة في لبنان ، ومن ضمنها الحياة الثقافية فكيف انعكس هذا الواقع عليك كأديبة ؟

ـ اذا كنا نقصد « بالحياة الثقافية » المهرجانات الصالونية والكرنفالات ذات الاقنعة الفكرية ، نستطيع القول ان الاحداث الاخيرة عطلتها ، وهذا أمر لا يؤسفني كثيراً .

اما اذا كنا نقصد « بالحياة الثقافية » تفاعل المبدع مع الاحداث وفعله فيها ، فان الحياة الثقافية لم تكن في نظري ناشطة ابدا بقدر ما كانت عليه في الاشهر الاخيرة . . .

حينما يتفجر المقاتلون من باطن الارض حاملين اسلحتهم يقف الفنان في ركن المدينة كالتلميذ الكسول وقد نكس قلمه وارتدى ـ طرطور ـ الخجل . . . تنتابه مشاعر متضاربة . . يخيل اليه ان القلم عنين وقاحل ، والسلاح وحده خصب الالق . . . تنتابه مجموعة من المشاعر الموجعة : أزمة ضمير . شعور بالذنب ممتزج مع حس بالعظمة . احساس ممض بلا جدوى وجوده ، ورغبة انتحارية تكفيرا عن « خطيئة » الفن . كما لو ان الفن في زمن الحرب عاهة ! . .

ويعزز هذا الشعور الخاطىء لديه ، عمل خاطىء تقدم عليه اكثر الصحف والمجلات : الغاء الصفحات الادبية .

كأنها تقول له : السلطان ليس بحاجة الى مهرجه الآن ، فهو ذاهب الى الحرب . انتظر مع النساء والاطفال عودته حياً لتمتدحه ، او ميتاً لترثيه . انتظر في عتمة الملاجىء وغبار الخوف ريثما تعود أيام السلم فتعيدك أصابع سيد السيرك القديم او الجديد الى موضعك في مسرح العرائس لتلعب دورك كأي أراجوز ينطق بالفصحى ! . .

ان الغاء الصفحات الادبية في زمن الحرب مؤامرة على الثورة وعلى الفنان معا . ان تكريس الفنان مهرجاً لزمن السلم هو أمر مرفوض . انه يدمر الفنان والثورة معا .

يحرم الفنان من الزخم الجماهيري « لحياته الثقافية » الشخصية ، والتي هي حياة عامة في آن معا . . ويحرم الثورة من بوصلتها وضميرها وشاهدها . . .

منذ الاسابيع الاولى للقتال الغت اكثر المجلات والصحف صفحاتها الادبية ، ومع ذلك لم يتقدم ناقد واحد بصرخة احتجاج على ذلك . . لعل بعض المشرفين على الصفحات الادبية وجد ذلك عملا خاطئا . ولعله احتج ، لكن احتجاجه لم يتخذ صورة العصيان أو حتى الرفض ، رغم ان ذلك الاجراء يقزم مكانته بقدر ما يقزم مكانة الاديب . . . ومع ذلك ، وفي فترات الهدنة القصيرة ، لم يكن بعض المحررين « الادبيين » ليخجلوا من طرح سؤالهم « الخالد » على الفنانين : ماذا فعلت في زمن الحرب ؟ والرد البديهي : وانت ماذا فعلت ؟ اليس صمتك على الغاء دوري اقراراً ضمنياً بأنك لا تؤمن حقا بدور الادب أيام القتال وبالتالي بدورك ؟ وما دمت لا تؤمن بذلك ، لماذا تريد ان تضطهدني وأنا في اسوأ الحالات مجرد شريك لك ؟ . . .

لقد سقط الادب ـ على صعيد النشر ـ طيلة الشهور الماضية ضحية الخجل المشترك وعقدة الذنب المشتركة بين الفنانين ونقادهم من المشرفين على الصفحات الادبية . . . وكان المفروض بالطرفين ان يتحدا في وجه صاحب الصحيفة ويصرخا في وجهه : ولكننا مقاتلون بطريقة ما . . .

بعض الصحف ذات النبض الثوري ، أبقي على الصفحات الادبية فيها ، وكان ذلك تكريساً لنظرة الثوريين الصحيحة الى « ضرورة الفن »ومفهومه الحقيقي .

اما الصحف والمجلات (المبرجزة) فقد اقدمت فورا على الغاء صفحات المجتمع والادب معا ، معبرة بذلك عن نظرتها ـ الدونية ـ الى الادب والى مهمته ، حيث لا ترى في الادب اكثر من صفة صالونية مستحبة لدى الرجال ، ومن مكملات الاناقة ـ المخملية ـ لدى النساء . . . الادب في نظر تلك الاوساط ظاهرة « مسلية » تستحق الرعاية مثل الكلاب المدللة المترفة لا أكثر . . .

بعض الصحف ذات النبض الثوري سقطت في فخ (الرؤية البورجوازية) للادب وألغت صفحاته ، وأما تلك التي لم تلغ صفحاته فقد سقطت غالبا في فخ آخر هو : اللفظية الثورية .

وصحيح ان حفاظها على الصفحات الادبية أبرز ذلك الالتحام الصحي والضروري بين الفكر والبندقية ، الا ان « اللفظية الثورية » التي طغت على اكثر ما نشر

جعلنا نكاد نكفر بها . . بصراحة اكثر ، كنا نقرأ في تلك الصفحات هذياناً « ثورياً » موجعاً . . . صار يكفي ان تطعم اية كتابة ركيكة هزيلة بعبارات مثل « الفداء - البندقية - الاطفال - الفرح - الدم - الارض » بالاضافة الى ارهاصات لفظية فنتازية ليتم اعتماد هذا الكوكتيل الهزيل « قصيدة ثورية » .

ان ولادة الادب الثوري لا يجوز بأية حال ان تتم على حساب القيم الفنية للعمل الادبي ، ويجب الا تعتمد الرخص والسهولة . فالالتحام بين الكلمة والبندقية لا يتم الا في بوتقة الموهبة والعمل الدؤوب والجاد . ولعل الممارسات الخاطئة لبعض النقاد « الثوريين » مسؤولة الى حد بعيد عن هذا التتفيه الفني ، لانها تؤدي غالبا الى استعجال ولادة العمل الفني الى حد اجهاضه .

كيف انعكس هذا الواقع عليّ ؟ . .

في البداية شعرت بالخجل لانني لا اتقن استعمال السلاح ، ثم شعرت بالغضب . . . غضب شرس حاد لتكريس مفاهيم خاطئة عن الادب و« ضرورة الفن » ومهمته . وقررت اعلان ذلك والقول ببساطة : ان من يعبر عن عدم ايمانه بسلاحي بالغائه لوجودي في زمن الحرب ، هو آخر من يحق له ان يسألني ماذا فعلت اياً كان ما فعلت . اني ارفض بعد اليوم كل من ثبت لي انه « سمسار أدب » لا ناقد حق مبدع .

واذا كانت المرحلة ستسقط كثيراً من الفنانين « الصالونيين » فانها ايضا ستسقط صفحات الادب الصالونية والقيمين عليها ، اياً كانت مواقعهم ومتاريسهم واقنعتهم . وهكذا فأنا لا اعتقد ان الاحداث الاخيرة قد عطلت « الحياة الثقافية » في لبنان ، بل انها في نظري ساهمت في تعميق المفهوم الحقيقي للفن وعلاقة الابداع بالثورة من حيث هما - توأم - لا يتجزأ .

● **دوماً ، عودتنا الاديبة السمان في اعمالها على نوع من النبوءة يكشف حيزا من الزمن الآتي ، كما في « بيروت ٧٥ » ، التي انذرت ، على نحو ما ، بدمار بيروت . فما هي النبوءة ، التي تتضمنها روايتك القادمة ؟**

- لا ادري . مهمتي ان اكتبها لا ان افسرها . الرواية تتألف من مجموعة من الكوابيس تفوق المئتي كابوس . وآخر الرواية حلم . ترى هل يعني ذلك شيئاً ؟ ربما . . . أترك الحكم للقارىء بعد نشر الرواية .

لكنني اكذب اذا ادعيت ان في الامر نبوءة بالنسبة لروايتي « بيروت ٧٥ » او كل ما سبق وكتبت . انه مجرد رصد كثير الوعي لجذور الاحداث . احس احيانا نادرة بأنني

انتشر كالمرآة على طول الدهر ، مسترخية كاعشاب الماء ، ومرهفة كالجرح ، تاركة ظل الحقيقة يرتسم على شاشة اعماقي ولو في ومضة برق . . لكنها تكفي . . .

● **ان المتتبع لاعمالك لا بد وان يلاحظ انك دائما في حالة ارتحال صوب الغد ، بمعنى آخر في خط تطور مضطرد فقد بدأت بالرفض ، بمعناه الفضفاض في مجموعتك القصصية « لا بحر في بيروت » ، وفي روايتك « بيروت ٧٥ » وصلت الى المنعطف المهم : الالتزام . فأين اصبحت الآن ؟**

ـ لقد كنت دوما « ملتزمة » بمعنى ان التزم بقول الحقيقة كما اراهـا . ولكنني كنت اعي ايضاً انه لا يكفي ان يكون الانسان « وقحاً » ليصير اديباً ، كنت باستمرار اقوم بمحاولة تطوير مفهومي للحقيقة لا وفقاً لمصالحي وانما وفقاً لمصالحها هي !

لقد كنت دوما « ملتزمة » بكل ما هو « أنا » من سقطات او سمو . . . لكل ذلك المزيج الشيطاني الالهي الذي هو انا وهو كل انسان آخر . .

لكن الزمن والتجربة والثقافة ، هذه كلها أمور جعلتني احذر من ان تضيق الحقيقة الذاتية علي فتصير سجنا ذاتيا ، واحاول ان افتح فيها باستمرار نوافذ وكوى ، لأعي ذاتي في الاخرين ، ولتصير « الانا » هي « نحن » ولتضيع حدودي في حدود « الانسان » يوماً بعد يوم . . . ويوما بعد يوم ادرك كم هو سهل ان تصغر فتخسر نفسك والعالم ، وكم هو صعب ان تتسع حتى تصير والعالم واحداً فتربحه بمعنى « تعرفه » لا بمعنى « تمتلكه» .

واعتقد ان جميع الناس يولدون مرة ، ودونما عناء الا الفنان ، فمن واجبه ان يولد مرتين . .

وحينما يقطع الطبيب ـ او تقطع امه الفلاحة بالحجر ـ حبل الخلاص الذي يربطه بها ، تبدأ مهمة الفنان لربط نفسه بحبل الخلاص الحقيقي الذي هو امته . . وهذا الحبل هو ملايين من الوشائج والحبال الشفافة القوية كالفولاذ ، التي تشده الى كل الامهات اللواتي عشن قبل امه واللواتي سيولدن بعدها وبعده ، تشده الى كل انسان بأمته ماضياً ومستقبلاً . . . وتحسُّسُ هذه الخيوط وإعادة ربطها ربطاً واعياً الى تربة التراث هو أرضيته الاساسية التي ستتم فيها ولادته الثانية الحقيقية كفنان، تلك الولادة المعمدة ابداً بالألم والمعاناة وعدم الرضى عن الذات ، والخطأ والنقد والارادة . .

ان الالتزام ليس عتبة نتخطاها فنستريح . . . بل هو الدرب الطويلة اللامتناهية لربط المزيد من حبال الخلاص بيننا وبين الاخرين في ابحار موجع الى رحم الحقيقة . .

الالتـزام ليس ان نحفظ كراسـاً سياسيـاً ـ على الغيب ـ حفـظاً ـ بصماً ـ . . والا لاستـورد الوطن مثـلا « كومبيـوتـر » ولحشـاه بـالمعلومـات الـلازمـة ثم لـوظفـه أديبـاً رسمياً ! . . . الالتزام معاناة صميمية لا يملك الفنان الا ان يحمل فيها صليبه مضيفاً مع كل خطوة اكليلاً جديداً من الشوك يتوج به جوع قلبه الى الحقيقة والمعرفة بأي ثمن . الثورة بحاجة الى انسان لا الى كومبيوتر ، ولذا فان معانـاة الفنان بـالثورة ومن الثـورة ولاجل الثورة لا متنـاهية الالم والنشـوة في آن واحد . الالتـزام يعني ولادة الفنان عـلى امتداد وطنه تاريخياً وجغرافياً . . . انها المسافة بين شهقة الولادة وشهنة الاحتضار التي هي ولادة ثانية حقة .

١٩٨٧/٦/٣

هاشم قاسم يستجوب

● النقــد الحي هـو الــذي يــواكب الابداع الحيّ !

تـظل غادة السمـان ، مهما قيـل فيها وعنهـا ، من تقريظ حينـا لادبها الـروائي والكتـابي ، ومن نقـد وهجـوم أو تهجم في كثـير من الأحـايـين ، عــلى هـذا الادب بالذات . . . تظل القاصة المبدعة والاديبة المنتجة ، ويظل من حقها على الصحافة ان تلتقيها بين الفينة والاخرى لتعرف كل الجديد من اخبارها وافكارها . . ومن هنا كان لـ « المنار» مع غادة السمان هذا اللقاء والحوار .

● من يقرأ روايتك خصـوصا « كـوابيس بيروت » يـلاحظ انك تمـزجين بـين النفس الشعري والنفس الروائي . فكيف تشرحين ذلـك في ضوء شـروط الكتابـة الروائيـة الحديثة ؟

ـ بالنسبة لي ، لا يوجد شيء اسمه « شروط الكتـابة الـروائية الحـديثة » ولا « شـروط الكتابة الروائية » ، ولا « شروط الكتابة » . الشرط الوحيد هو الابداع . الابداع يأتي اولاً وبعده يأتي الناقد شارحاً او مستنبطاً ما يسميه «بشروط الكتابة الـروائية» . فهـذه تسميات تستطيع ان تتحاور عبرها مع بعض النقاد . واما المبدع ، فهذه اللغة لا تجدي معه لأنه لا يعترف بها . ولو رضي المبدع الاقرار بان هنالك « شروطاً » لانتفى الابداع أصلاً ، ولوجد الفنان نفسه امام وصفة جاهزة لتحضير « وجبة » . فاذا طبقها ، فكل ما يحصل عليه هـو رواية مكـررة « كصورة نقلت بـورقة كـاربون عن صـورة اصلية» . والابداع عملية اضافة لا عملية تكرار . ان كـل ابداع حقيقي في الـرواية يـأتي ليلهم النقاد شروطاً جديدة للكتابة الروائية على نحو « حديث » . وهكذا الى ما لا نهاية .

ومراجعة سريعة لتـاريخ الادب تكشف لنـا ان كل عمـل عبقري كـان يتضمن تجاوزا « لشروط الكتابة » السائدة في عصره . وذلك طبعا لا يلغي ضرورة الالمام بكل

ما سبق وتم تكريسه في الادب ، لكنه يؤكد بالحاح على ضرورة رفض «شروط الكتابة الروائية » وغيرها . وبهذا المعنى فلا شرط لي غير الشرط الخاص الذي اقوره أنا . غير ان هذا لا يعني انني الغي ما مضى ، لكنه يعني انني لا اسمح لما مضى بالغاء حقي في تجاوزه .

بعد هذا التحديد الضروري والصارم للسؤال استطيع ان اقول انني لا اتعمد مزج النفس الشعري بالنفس الروائي . والأمر يحدث لي ببساطة على هذا النحو دونما تخطيط مسبق . ولا اعتقد ان القضية هي مجرد مزج سطحي بين الشعر والرواية ، كما لو كان مزجاً بين مادتين غير متجانستين ، بل هو في صلبه « جوهر واحد » تم اتحاده عبر عملية صهر كاملة في بوتقة الخلق لدى الاديب . فالشعر والرواية معاً ، هما بمثابة ايقاعات على أوتار الحياة والموت والألم والطموح والانكسار في النفس البشرية . والمهم في استمرار اي نص هو ان يكون نسيجا حيا ، وبعد ذلك يستطيع اي ناقد ان يثبت انه شعر ، وانه رواية ، او انه نثر ، او انه قصة قصيرة ، او اية تسمية اخرى جديدة قد يحلو له ان يستنبطها .

بهذا المعنى اقول لك ان الرواية الجيدة تكون بمعنى ما رواية وشعرا وقصة قصيرة ، وتستطيع ان تقول عنها اي شيء وكل شيء دون ان يعني ذلك شيئاً !

انها ببساطة « تكون » إبداعاً او « لا تكون » .

● بعضهم يقول ان دائرة اللغة الروائية التي كتبت من خلالها لم تتطور ، لا من حيث دائرتك اللغوية ولا من حيث الدوائر التجديدية الاخرى ، فما رأيك ؟

ـ هذا كلام خطير ويثير كثيرا من الألم والقلق في نفسي لو صح ، لأنه يتضمن الغاء تاما لتجربتي الروائية . فتهمة عدم التطور هي مرادفة لتهمة الموت الفني ، وبالتالي فالسؤال يتضمن « ورقة نعوة » لابداعي . من هنا ، تتطلب الامانة العلمية والحس بالمسؤولية ان تذكر من الذي قال هذا واين قيل ، لنرى ما اذا كان كلامه خلاصة بحث موضوعي يستحق رداً ، ام انه من بعض ثرثرة المقاهي الطريفة ولكن غير المسؤولة ، التي تقول اي شيء عن « عمل » الآخرين ، من دون قصد الايذاء والايلام غالباً ، لتتلهى عن القيام « بعملها » الخاص بها .

قرأت كل ما كتب عني ، ولم اجد فيه مثل هذا الرأي الذي تسنده انت الى « بعضهم » . إذن ، لا بد لي من ان افترض ان « بعضهم » هو « انت » ، وهكذا يصير

للسؤال مستوى يسمح لي بالرد عليه .

كل ما استطيع ان اقوله لك هو ان الكثير كتب حول اعمالي سلبا او ايجابا ، والتهمة الموجهة الي هي باستمرار « الى اين اتطور ؟ » الى الافضل ام الى الاسوأ . وقيل في اعمالي كلام اكثر قسوة بكثير مما يتضمنه هذا السؤال ، ولكن هنالك اجماع على انني « اتبدل » باستمرار وأجدد دوائري لغويا وفكريا « نحو الافضل أو نحو الاسوأ » .

وفي كتاب « الحرية في أدب المرأة»لعفيف فراج يقول : « ان غادة السمان تبدأ من السفح بمجموعة « لا بحر في بيروت » لتصل بمجموعتها القصصية « ليل الغرباء » الى ذروة فنية تتجاوزها الى ذروة اعلى بمجموعتها القصصية « رحيل المرافىء القديمة » . ومثل هذا الكلام أكده نقاد آخرون في كتبهم التي رصدت اعمالي . ولا داعي الآن لعملية استعراض عضلات فكرية ثعلبية بتعداد اسمائهم . وفي الوقت ذاته هنالك من يفضلني في اعمالي الاولى ، هذا على الاقل ما يقوله البعض لي او يعبرون عنه احيانا في اعمال نقدية لا تقل جدية في قسوتها علي من جدية النقد المؤيد . لكن كل ما قيل عني سلبا او ايجابا يقف ضد هذا الطرح التأبيني لي ، وانا شخصيا اعتقد ان هذه النظرة الاعدامية لفني تتضمن قسوة غير مبررة موضوعيا .

● **ثمة رأي يقول انك في « كوابيس بيروت »[1] لم تخرجي عن عمل المونتاج الفني وترتيب الفصول جنبا الى جنب . فكيف تقومين ذلك ، وهل تعبرين « كوابيس بيروت » رواية مستكملة للمقومات والشروط الفنية للرواية ؟**

ـ هذه المرة ، انت على حق في الرأي الذي تنقله . لا أعني ان هذا الرأي على حق ، لكنه قيل حقاً ! على ان ثمة رأيا يقول هذا ، ورأياً آخر يناقضه . وقد كتب الكثير حول هاتين النظرتين المختلفتين الى تلك الرواية . وهنا أحب ان اذكرك بان عبارة « رواية مستكملة للمقومات والشروط الفنية للرواية » لا تعني لي حين اكتب اكثر من معلومات من المفروض ان اعرفها ، لكنني لست مرغمة على تطبيقها اذا رفضتها « لحظة الخلق » . انها مثل بيان رسمي عن حالة الطقس في الخارج . بينما انا غارقة في « حالة طقس » اخلقها بنفسي ! ان كل ابداع في الرواية تم على ايدي فنانين لا يخافون من « بعبع » التعريفات النقدية المكرسة ، ولديهم الجرأة على التورط بعطاء جديد ليس له سند قانوني . فلو طبقت « فرجينيا وولف » على روايتها « الى المنارة » المقومات والشروط

---

(١) ترجمت رواية كوابيس بيروت فيما بعد الى البولونية والروسية والالمانية والفرنسية .

الفنيـة للرواية التي كـانت سائـدة في عصرهـا لما تجـرأت على الخـروج عن خط « جين اوستن » ولاعتبـرت كتابهـا مجرد « مـونتاج فني وتـرتيب فصـول » للزمن المكسـور بـين اللاوعي والوعي . ولو فعل ذلك هنري جيمس مع روايته « بورتريه لامرأة » لاعتبرها المسكين وفقا « للمقـومات والشـروط الفنية للروايـة السائـدة في عصره » مجـرد « عمل مونتاج وترتيب فصول جنبا الى جنب » مثل تعبيـرك عن روايتي ، ولخاف منهـا لأنها في عصـره عمل روائي خـطر لا بدايـة له ولا حبكـة ولا خاتمـة كما هـو مطلوب من نقـاد مرحلته ، ولقذفها بكل خوف الى ريح الليل تقتات منها وتجرفها الى البحر . . . وكذلك لـو رضي شكسبير بمنـطق النقد « الجـونسوني » المصر عـلى « الوحـدات الاغـريقيـة في المسرحية » التي كانت دستورا نقديا مكرسا ومقدسا في ذلك العصر ، لاعتبر مسرحياته ايضا مجرد فصول ملصقة تفتقر الى وحدة الزمان والمكان ، ومن واجبه احراقها قبل ان يحرقه نقاد حراس القيم النقدية المكـرسة . ان اخـطر ما يمكن ان يقـع فيه الفنـان هو الالتصاق بالحدود التي يرسمها له بعض نقاد الصفحات الادبية ، وعدم الجرأة على كسر اسوارها لاكتشاف المزيد من عالم الابداع . وان اخطر ما يمكن ان يقع فيه الناقد هو ان ينسى ان النقد الحي هو الذي يواكب الابـداع الحي ، ولا يحاول ان يلعب دور ثـوب مقاتل العصور الوسطى بالنسبة الى جسد الابداع ، المصر دائماً وباستمرار على الحركة في كل الاتجاهات وعلى اختراع اتجاهات جديدة للحركة ايضا .

من هذا المنطلق اقول لك ، لا تهمني التسميات التي تطلق عن اعمالي من وجهة نظر « النقد الستاتيكي » ، او من وجهة نظر المفاهيم التي صارت مكرسة حول الرواية . وما يهمني هو ان اخلق الجديد ، ويسعدني ان يواكبني نقد جديد مبدع وأواكبه من اجل تطوير الرواية العربية ، لا تحجيرها في قالب نظريات تعتبر بحكم المكرسات . ان اروع ما في الرواية العربية هو انها بلا مكرسات (عكس الشعر العربي) وبلا مـاض مجيد او رديء . انها فن جديد . وقد يأسف البعض لـذلك ، ا ـا انا فـاعتقد ان ذ'ـك ايضا يمنحها كل ميزات الذين لا يحملون معهم « أدران » ماض عريق تراثي ثقيل . الرواية العربية فن جديد وحر ، وتلك الميزة لا تمتلكهـا الروايـة الغربيـة ، فلماذا نستـورد لها « شروط الرواية الحديثة » الغربية بدلا من ان نتركها تتفجر حيوية وعطاء وانتقـاء دونما التزامات ؟ لماذا نحاول ان نكبلها بأدران امبراطوريـة عتيقة شبه موهـومة ، وهي التي تمتلك جنـون البراري وتفجـر ينابيـع العطاء الانسـاني التي امتلكتها ذات يـوم ـ مثلا ـ الاقوام التي سكنت الولايات المتحدة متحررة من ماضي اوروبا اليائس ، تاركة للذات

الانسانية ان تمنح ببساطة ؟ لماذا نصر على استيراد حتى العقد النفسية والادبية ؟ لماذا نصر على استيراد حتى القيود ؟

● **بعضهم يقول ان موضوع الحب في رواياتك لم يتعد النفس البوحي الحر والمتمرد ، اذالم تظهر رؤية تفضح وتكشف العلاقات السائدة التي تحيط وتكبل المرأة العربية ؟**

- من الممكن ان يقال أي شيء . لكن « بعضهم » ايضا يقول العكس ، ففي هذا الوقت بالذات هناك طالبة جامعية تعد اطروحة في الماجستير حول « قضايا عربية في أدب غادة السمان »[1] لتصبح فيما بعد مادة لكتاب كل ما فيه من دراسة علمية اكاديمية يرتكز على نظرة مناقضة تماما لنظرة هذا السؤال . ومن منطلق يؤكد ان اعمالي تفضح وتكشف العلاقات السائدة التي تحيط وتكبل المرأة العربية . وفي كتاب « المرأة المسلمة في الشرق الاوسط تتكلم» لاليزابيث وارنوك فيرنيا وياسمة بازجان ، تم اختيار جلسة حوارية لي سبق نشرها في مجلة « مواقف » وترجمتها المؤلفتان الى الانكليزية ، وجعلتا منها الفصل الختامي لكتابهما ، كنموذج مبدع يفضح العلاقات السائدة التي تكبل المرأة العربية عامة والمسلمة خاصة . اذن ، هنالك كما ترى ابحاث جامعية تدحض رأي « بعضهم » .

● **المعروف انك كسرت حدود السردية والرقابة التقليدية وحدث ذلك عبر الفانتيزي (الفانتيزيا) . والتحرر المتمرد العابث . فهل تأخذين بهذا الرأي ؟**

- انني انصت للاراء كلها لكنني لا اخذ بأي رأي . غير ذلك الطفل العجوز الشرس الحنون العادل والمتحيز الذي يتفجر من اعماقي حينما اكتب .

● **هل تقولين بوجود ما يسمى بالأدب النسائي ؟**

- سبق لي ان اجبت على هذا السؤال آلاف المرات واكدت ان ليس للأدب اعضاء مؤنثة او مذكرة ، فهناك « أدب » او « لا أدب » ، والمرأة المبدعة تكتب « ادباً » لا « أدباً نسائياً » . ولكن ، على سبيل التنويع ودفع الضجر ، فلنجرب اجابة على نحو مختلف . اذا افترضنا ان هنالك « ادبا متخلفا » نسميه « الادب النسائي » وأدباً راقيا نخبويا ـ على وزن نظرية النخبة الهتلرية ـ هو « الادب الرجالي » ، فانني استطيع القول ان « الادب النسائي » موجود طبعا وان اكثر كتابه من الرجال ! . . . ألا ترى ان « الشوفينية الذكرية » على صعيد النقد الادبي قد تستدرج بالمقابل « شوفينية نسوية » مضادة ويذهب الادب ضحية مثل هذه المهاترات ؟ الا ترى ان المرأة الاديبة تتمتع بنبل داخلي ذاتي لانها

---

(١) صدر الكتاب فيما بعد بالانكليزية وكان اطروحة جامعية لجامعة ماك جيل ـ كندا ـ حنان عواد .

حين تكتب في النقد ، لا تتحيز لبنات جنسها ولديها قدرة على الاعجاب بما يكتبه الرجال دونما مرارة او شوفينية (أم انك ستجردها ايضا حتى من فضيلة الحياد وستتهمها بأنها تكره بنات جنسها وتنضح غيرة اكثر مما تنضح غضبا من انتهاك الرجال لكرامتها الفنية بنظراتهم الدونية السلفية اليها ؟)

اقول لك : نعم . سيظل هنالك « أدب نسائي » . ما دام هنالك « نقد رجالي » .

● ما هي اهم المشكلات التي تعترض كتابة روائية متقدمة في العالم العربي ، وكيف تشرحين هروب القارىء العربي الى القصة القصيرة ؟

ـ حكاية « هروب القارىء العربي الى القصة القصيرة من الرواية » هي من الخرافات والاخطاء الشائعة . واحصاءات دور النشر العربية تؤكد العكس ، وهي تفضل نشر الرواية على نشر القصص القصيرة . هذا اولا . اما المشكلات التي تعترض كتابة روائية متقدمة في العالم العربي فهي كثيرة ، ولكنها لا تعترض كتابة روائية متقدمة ، لأن مثل هذه الكتابة الروائية موجودة بالفعل ! اذن العقبات موجودة . لكن الابداع موجود ايضا بالرغم منها ، وربما بسببها .

١٩٧٩/٣/١٩

جوزيف كيروز يستجوب

● جذور أعمالي غائضة في تربة الوطن والعصر

● ماذا تعني لك كتابة القصة هذه الأيام ؟

ـ تبدو الكتابة هذه الايام مجرد عادة حياتية بائسة ثم انني لا اتقن شيئاً آخر ، ولا يمتعني أن أفعل أي شيء آخر .

طبعا من الممكن قول كلام خطابي كثير أجوف الشعارات عن الجماهير وحاجتها إلينا ، وعن رغبتنا بالتبديل وانقاذ الوطن . . الى آخر الاسطوانة . ولكن ، اذا كان الهدف من الكتابة القتال فقط ، فالانخراط في الميليشيات اكثر جدوى ، واذا كان الهدف من الكتابة خدمة افكار محددة مكرسة فقط ، فالموظف الحزبي التبشيري قد يكون اكثر جدوى في هذا المجال . وإذا كان المقصود بالكتابة خدمة الجيل الطالع فقط ، فان هذا الجيل الحزين ، في حاجة الى اشياء اخرى كثيرة قبل قراءتنا . منها ان يتعلم القراءة ويحصل على الرغيف ، ويظل حياً (الأمن) ، ويحصل على حد أدنى من العدالة والضمان الاجتماعي . فتعليم الاخلاق للجيل الطالع لا يتم بواسطة الكتب القصصية وحدها ، وإنما يتم بخلق مناخ يشجع الاخلاق على الازدهار ، بدلا من إحباط المخلوقين وهم يرقبون كم الجريمة مثمرة. بعبارة اخرى : الاشتراك في محاولة انقلاب والامساك بدفة الحكم هو أكثر جدوى في هذا المجال من الكتابة . بصراحة ، هنالك لحظات أحس فيها ان الرصاص داخل المسدس اكثر جدوى في زمننا الرديء من الرصاص داخل « قلم الرصاص » ! . . . والآن أمر ببعض هذه اللحظات الحادة الايلام .

إذن ، ودونما ادعاءات فارغة ، وكلمات كبيرة ، أقول لك ببساطة : أنا كاتبة لانني لا أتقن شيئاً آخر في هذا العالم المفترس ، ولا اعرف سلاحاً آخر ، وليس في حنجرتي أي صوت آخر .

وهكذا ، وضمن إطار العمل الوحيد الذي يمتعني واتقنه (الكتابة) ، تتسلل رغباتي النضالية الأخرى ، كرغبتي بالتبديل وبالوقوف ضد القهر والقمع والتخلف ، ورغبتي في نسف واقعنا الطبقي المتعفن الطائفي الهزلي ، ورغباتي الأخرى كلها كمواطنة . . . تتسلل هذه كلها وسواها الى حروفي دون ان تجعل منها مجرد أداة ، لأن الفنان الذي يرضى بتحويل فنه الى أداة حتى لمقدساته ، يفقد هذا الفن ولا يربح معركة المقدسات .

● قراؤك ، من هم ؟

ـ قارئي ليس فقط الذي دفع ثمني هاذية بين دفتي كتاب . إنه ذلك الذي يبعثني حية اثناء قراءته لي ، ويختزنني في اعماقه بعد ان ينتهي من قراءتي ، وتستحيل بعض حروفي الى أسماك صغيرة مضيئة تظل تسبح داخل شرايينه .

أنا لا اخفي فخري بأنني كاتبة مقروءة . لكنني أميرة العشب المتواضع وأميرة الاشجار المكسورة ، ومن لم تمر عليه العاصفة ولم تجنده زوابع الحياة يظل مغتربا عن حروفي وجرحي المتفجر تمرداً وغضباً . . . أنا لست كاتبة النفوس الداجنة واذا طالع اصحابها سطوري ، فأتمنى ان اذكرهم بمخالبهم المنسية. ببساطة ، اعتقد ان العلاقة بين العمل الفني والقارىء هي كالعلاقة بين الاسطوانة وإبرة الحاكي . الكتاب هو الاسطوانة . والابرة هي القارىء بعيونه الراكضة على السطور . وبقدر ما تكون نفسه مرهفة واحاسيسه مدببة ورقيقة كابرة الحاكي الجيدة بقدر ما يستطيع استخراج نبضات اللحن كله حتى أدق ايقاعاته .

● ما هو المحك الذي تستخدمينه لمعرفة القصة الجيدة من القصة الرديئة ؟

ـ لا أحد يستطيع معرفة القصة الجيدة من القصة الرديئة ـ إلا إذا كان متبجحاً ـ أو اذا كانت القصة تحت مستوى التقييم أصلا . إن أهم ناقد أدبي هو « الزمن » وهو للاسف غير متوافر الا بعد انقضاء « زمن ما » ! . .

هنالك أعمال أدبية كثيرة حكم عليها معاصروها بالاعدام ثم أثبت الزمن انها لم تكن رديئة وإنما كان عصرها رديئاً ونقاده يفتقرون الى الرؤيا المستقبلية . والامثلة في هذا المجال اكثر من ان تحصى . والعودة الى تاريخ الادب تزودنا بعشرات منها .

إذن علينا دوما ان نقف بحذر أمام عمل فني جديد . وعلينا ان نخلع عن عقولنا النظرة الجامدة للفن ، التي تطلب من العمل الادبي مواصفات نقدية مكرسة . فأكثر العظماء في تاريخ الفن نسفوا ما كان « أصولا » في عصرهم . حين اقرأ رواية ما ، لا

اقرأها وعيوني على نظريات النقاد حول الرواية ، وإنما اتذكر باستمرار ان الناقد يأتي بعد الكاتب . الكاتب يبدع أولاً ثم يأتي الناقد (فينظر) لإبداعه . الذين يكتبون وعيونهم معلقة (بالشروط السائدة) لكتابة القصة ، لا أتحمس لهم كثيراً ، فالببغاوات والتلامذة في ملكوت القصة لا يلفتون اهتمامي .

● الى أي حد ينطبق عالمك القصصي على الواقع الذي تعيشينه ؟

- الى حد بعيد ، دون ان يصل بي ذلك الى هدر الفن على مذبح كتابة المذكرات الشخصية او التدوين الأدبي لتاريخ حقبة سياسية . جذور اعمالي غائصة في تربة الوطن والعصر حتى الثمالة ، لكنها ليست مجرد وعاء شفاف لما يدور لا يتدخل في ماهية ما يوضع فيه .

وهكذا فعالمي القصصي لا « ينطبق » على واقعي المعاشي ، وإنما « يتفجر » منه ويتخذ منه « وقوداً » لمساره ، وربما « بوصلة » لرحلته ، في محاولة الكشف عن مزيد من حقائق النفس البشرية ، وأسرار وجودنا الانساني ، وموقعنا من هذا الكون المبارك والملعون .

١٩٧٩/٦/٧

كمال بخيت يستجوب

● ذاكرة القارىء تحميني ضد الابادة

أعلنت عليها القتال فأثلمت حدة صدقها حد السيوف ، فأشهرت على نفسي حب الكلمة الصادقة .

كان هذا الحديث عن « الاعمال غير الكاملة» عنوان مجموعة كتبها التي ستصدر تباعاً .

وكما نرى، العنوان خارج عن المألوف. «الأعمال غير الكاملة»، في حين ان معظم الشعراء العرب الاحياء درجوا مؤخرا على موضة نشر انتاجهم باسم « الاعمال الكاملة » ، مع ان مثل هذا النشر لا يجوز الا للادباء الذين رحلوا ، على اساس انهم توقفوا عن العطاء . اما اذا كان الشاعر او الاديب ما زال معطاء فالمفروض ان ينشر جميع ما نشره تحت عنوان « الاعمال غير الكاملة » ، دون هذا المنطلق نرى خطأ التسمية .

● وعن الاعمال غير الكاملة . . . سألت . .

ـ واجابت . . .

هذه السلسلة صدر منها حتى الآن الجزء الاول بعنوان زمن الحب الآخر . . . والجزء الثاني الجسد حقيبة سفر . . وسيصدر الاسبوع القادم الجزء الثالث السباحة في بحيرة الشيطان ، وتحتضن المطبعة الآن الجزء الرابع ختم الذاكرة بالشمع الاحمر . . .

أيضاً سأدفع الى المطبعة خلال الاسابيع القادمة بقية الاجزاء والجاهز منها الآن كتابان . . اعتقال لحظة هاربة والرغيف ينبض كالقلب . . . واكون بالتالي اكملت ثلاثة ارباع الاعمال غير الكاملة ومصممة ان اكمل الربع الباقي في عام ١٩٨٠ ، هذه بالمناسبة اول مرة استعمل الطريقة الزمنية في الكتابة والاصدار . بعدها سأعود لمتابعة وكتابة اعمالي الجديدة .

● وسألتها عن اعمالها الجديدة ؟

ـ أجابت . .

لا أدري . . . ما دمت لم اكتبها بعد .

● ما هي اسباب تسميتك « الاعمال غير الكاملة » ؟

ـ اولا . . كلمة الكمال . . لا أحب أن أقولها الا حينما انادي بها صديقاً له هذا الاسم !

ثانيا تدهشني تسمية «الأعمال الكاملة » لأناس احياء . ولا أحب ان أرى كلمة الكمال مقترنة بعمل أدبي لان كل عمل ابداعي هو محاولة للاقتراب من الكمال ، كما ان كلمة « كمال » عندما تكون مقترنة بعمل بشري انساني احس انها في غير محلها ، لان كل ما نعمله هو محاولة للاقتراب من الكمال ليس اكثر . ثم ان الادباء يعلنون عن اصدار « الاعمال الكاملة » ثم يكتبون بعدها اشياء جديدة .

واعلانهم هذا بعيد عن الدقة ويحرجهم مع جديدهم اللاحق . .

انني اريد ان ادمر التقليد المكرس في اصدار ما تعارفوا على تسميته (بالاعمال الكاملة) والتي تصدر عادة بعد وفاة الاديب واريد ان يكون اسمها هذه المرة « الاعمال غير الكاملة » .

وسأصدرها حينما اشاء لانني اشاء ، فالمكرسات المتعارف عليها بهذا الخصوص سقطت ما دامت ظروف الحرب اللبنانية قد خلقت حاجات جديدة وهي امكانية احتراق ما كتبت مرة جديدة كما احترق كل شيء منذ سنتين .

ولعله كان من المفترض ان تصدر هذه الاعمال بعد موتي ان كان هناك من يهمه هذا الامر .

واتوقع ان يأتي صاروخ في اي لحظة ويقضي عليها. هذا هو السبب الذي جعلني اصدرها .

● تخشين على اوراقك من حريق جديد ؟

ـ سأحكي لك حكاية . . بعد حريق بيتي الأول ومكتبتي في الحرب انتقلت الى منزل على شاطىء البحر، وقبل شهور قام الصهاينة بهجوم مكثف بحري ، وجاء صاروخ وضرب المنزل الملاصق تماما لبيتي ولو تحول هذا الصاروخ قليلاً لنسف منزلي ومكتبتي واوراقي وبعد هذا الاعتداء لم اتردد . قررت ان اطبع اعمالي كلها لأن كل قارىء يشتري كتابا منها يخبئني عنده ويخبىء اعمالي ويحميني . . وتصير مكتبته ملجأ لي .

ذاكرة القارىء تحميني ضد الابادة. واتناسل واتكاثر وأصبح موجودة في مكتبة كل

قارىء على امتداد وطننا العربي ، ولذا عملت جدولا زمنيا لأنجز طباعة أعمالي كلها .

ما أنشره في « الأعمال غير الكاملة » هو مختارات من كتاباتي التي نشرت والتي لم تنشر .

● يقول بعض النقاد . . انك تجاوزت « الادب النسائي » منذ مجموعتك « رحيل المرافىء القديمة » .

ـ حين بدأت الكتابة ، لم أكن انوي الاشتراك في بطولة سباحة ولم تكن المنافسة هاجسي .

كنت اكتب فحسب ، وصحيح ان ارقام بطولة السباحة للرجال مختلفة وتتجاوز النساء وبالتالي تحتم وجود رقمين مختلفين للرجال والنساء ، لكنني أحس ان ذلك لا علاقة له بالفكر .

حين اكتب لا افكر بتجاوز النساء او الرجال وانما افكر بتجاوز ذاتي . انني اسابق ذاتي وطاقتي على التفجر واسابق الزمن لاعطي المزيد . . .

● اسأل غادة عن كوابيس بيروت الذي سيترجم الى اللغة البولونية ووقعت عقداً بذلك على ان يطبع خلال الشهر القادم واسألها عن المبلغ الذي تلقته ؟

ـ تبتسم وتقول : عشرون الف قارىء جديد لم يسبق لواحد منهم ان قرأ او سمع بغادة السمان . . ومنذ الطبعة الاولى. وهذا كسب اعتبره اكبر من أي ربح مادي . تقاضيت على اية حال مبلغاً من دار النشر التي ستطبع كتابي في وارسو . . مبلغاً رمزياً حقا . . المهم ان يقرأ الشعب البولوني كلمات كاتبة عربية طموحة بدأت من دمشق رحلتها الطويلة للعطاء وما زالت تمشي . . .

٩/٩/١٩٨٠

ياسين رفاعية يستجوب

● انتمي الى أقوام عرفت الحضارة منذ آلاف السنين .

الحوار مع غادة السمان لا يقل أهمية عن كتابتها ، بل ، ربما الحديث معها ، يكشف كم هذه المرأة موهوبة ، وكم هي مختلفة عن غيرها من الاديبات العربيات ، ولا نبالغ إذا قلنا ان غادة السمان هي السمة البارزة في مجال الكتابة بين النساء العربيات . لا من حيث جرأتها فحسب في طرح المواضيع ، بل في ثقافتها ايضاً . . . وليست ثقافة الشهادات الجامعية والقراءات المختلفة والسفر فحسب ، بل الاندماج كلياً بالحياة . . حيث هي ـ ربما ـ الاديبة العربية الوحيدة التي تعاني ما تكتب على هذا النحو في الالتحام بالحياة وبالبشر . . . كاتبة من طراز متفرد ، وخاص ، ومميز . . . لا تكاد كاتبة اخرى من قبل تشبهها . . ولا تكاد تجيء كاتبة من بعدها إلا وتحاول التشبه بها .

هذا الحوار هو بعض قليل من غادة السمان ، يكشف لنا بعض ما تراه من خلال حدسها الذكي الغني ، ومن خلال عينها الشديدة الرؤية التي تكشف عن بعد ما وراء الافق وما وراء النفس البشرية :

● هذا التنوع في إنتاجك على اختلافه يكاد ينبيء بأنك منصرفة كليا الى الابداع ، كيف تنتصرين على الوقت وتتفوقين على الزمن ؟

ـ انتصر باعلان هزيمتي ، حينما يرمي الوقت قفازه في وجهي متحدياً لا أشهر سيفي الخشبي في وجهه ـ وكل سيف يصير خشبياً في حضرة الزمن ـ لكنني انحني أمام ساعته الرملية الشاهقة ، واغسل قفازه بالطيب والعطور واعيده اليه وانا أهمس : انا المهزومة سلفاً ، لكنك لن تقهرني ، سأحاول ما بوسعي .

هذه هي الخطوة الاولى في درب النصر : مواجهة الهزيمة التي لخصها الرائع جوته بقوله « الحياة قصيرة ، والفن شاسع » ، ولكن ، ضمن إطار هذه « الحياة القصيرة »

تتفجر النفس الانسانية بالتحدي، ويقرر الفنان سبر غور البعد الثالث للزمن الذي تركت لنا فيه حرية التحرك حتى اقصاها . . . وهكذا فاللحظة التي قد تدوم زمنياً لمدة دقيقة فقط مثلا ، يمكن ان تتحول الى دهر من الحيوات والخبرات ، اذا استطعنا ان نحياها ببعدها الثالث ايضاً : العمق .

ولعل وعي الفنان بحاجته للانصراف كلياً إلى الابداع ، يدفع به الى التحول من كائن داجن الى كائن بري . الفن يعاني من انواع الحصار كلها التي قد يرضخ لها بعض الناس (أو حتى يستمتعون بها !) .

هنالك ذلك الحصار باسم الحب . القتل المتبادل باسم الحب . الاعتقال باسم تبادل العواطف في مناخات الشجار المحمومة السجن تحت شعار الاستقرار . الكرسي الكهربائي الملقب بالوظيفة المكتبية . غرفة الاعدام بالغاز الملقبة بالواجبات الزوجية التقليدية . هذا الرعب كله اعرفه . إنه يلتهم زمن الكتابة ببطء ولكن باستمرار .

الفنان يضطر لمواجهة ذلك كله بالقدرة على قول : لا . القدرة على التخلي . القدرة على خسارة كل المباهج الصغيرة المؤكدة مقابل ربح فني غير مؤكد .

انني ببساطة استسلم للهزيمة المؤكدة امام الوقت واقرر مواجهتها بالتخلي عن الاشياء مقابل الحصول على حرف جديد . اني اسرق من زمن الفرح لاضيف إلى زمن الكتابة . يوماً فيوم يأكل زمن الكتابة ، وقت الحياة الاليفة العادية المبهجة ، والتي تكف عن ان تكون مبهجة حين اعي كم كان توظيفها ممكناً لأجل القراءة او الرحيل ـ وكلاهما ضروري للخروج من وحدانية النظرة وضيق الافق .

نعم انا منصرفة بكليتي إلى عملي ككاتبة ، فالمرأة الفنانة يجب ان تكون جادة مع نفسها وعملها بالدرجة الاولى . لا اريد اوسمة من أحد في اي حقل آخر . . انني ببساطة إمرأة لا تتقن شيئاً آخر ولا تريد نصراً آخر .

المأساة انهم في بلادنا ، ما زالوا يعتبرون الكتابة للمرأة من بعض الزينة الحميدة التي تضاف الى خصلتها الاخرى الاساسية كحسن ادارة البيت والمهارة في الطبخ وانجاب الاولاد ، والنجومية الاجتماعية ، وشغل (الكانافاه) والتطريز وعزف البيانو . بعض الكاتبات يجدن انفسهن مرغمات على توكيد حسن سلوكهن المطبخي والزوجي ، كما لو كن يقدمن اتاوة مقابل السماح لهن بالكتابة . ذلك يدهشني حقاً . لم يحدث مرة ان اضطر نجيب محفوظ الى تأكيد مهارته في الطبخ ، ولا جمال الغيطاني الى التحدث عن مهارته في إدارة الامور المنزلية ، او اصلاح الصنابير العسيرة .

ان المفتاح لمواجهة الوقت هو ثقة الكاتبة بنفسها ، وبما تفعله وبفنها ، حينئذ تركض اليه كما يطير العصفور الدوري الى الصيد بجناحين طليقين وبيدين لا تمسكان بأي شيء آخر . . (إلا بالخسارة اذا اضطرت الى ذلك) .

● **لك عين مذهلة في ترميم الذات من الداخل ، وإعادة تشكيل الاحداث ، ثم فرزها ادباً . . قصة او رواية . . هل يعني ذلك ان الذات الواعية للاديب هي اهم اسس الخلق الادبي ؟**

ـ الذات الواعية ليست واعية بقدر ما نتوهم . ان اللاوعي يسكنها بمعنى ما . . . كل تلك الخبرات التي نتوهمها منسية تشكل تربة الوعي التي تحرثها الارادة لتزرع فيها بذور الحلم ! ذاتي المكسورة في لحظة ترميم تتكون من إمرأتين : واحدة تتألم واخرى تراقب الالم بحياد مبضع الجراح وبرود نصله ، إمرأة تنزف واخرى تسجل حكاية الجرح وترسم الخط البياني لايقاع سقوط قطرات الدم في بئر معتمة نائية القعر وتردد مع أليس في بلاد العجائب : «لا ادري . . . هل كان السقوط بطيئاً ام كان القاع بعيداً » ؟

ثم ان عملية ترميم الذات قد تبدو من الخارج عملية ارادية واعية وذاتية ، ولكنها تحمل ايضاً في جوهرها خصائص جماعية تاريخية . . . انني انتمي الى اقوام عرفت الحضارة منذ آلاف السنين . ولقد ولدت ونشأت في مدينة من اقدم مدن التاريخ هي دمشق . امي من اللاذقية ، من الشواطىء التي تمرست بمواجهة الغزاة . وابي من دمشق ، المدينة العتيقة المعتقة التي طالما احترقت وخرجت من رمادها . في دمي حصيلة تلك الخبرات التي تمرست في المقاومة وترميم الذات والحفاظ على وعيها ـ دونما وعي منها !ـ.

● **عندما كتبت « بيروت ٧٥ » كانت النبوءة ، ثم جاءت روايتك « كوابيس بيروت » التحقيق . . . هل تعتقدين ان الكاتب يملك في داخله عين المستقبل ، ومن خلالها يستطيع ان يستكشف ما هو آت ؟**

ـ ان ذلك لا يحدث بشكل فج ومباشر . فالفنان ليس منظراً سياسياً ، لكن في كتاباته « توجه معين » والفنان ليس عالماً نفسانياً ، لكن في كتاباته « غوص » إلى اعماق الذات يلتقي احيانا وببساطة عفوية مع الانتصارات العلمية الطبية . نجد مثالاً على ذلك في كتاب فرويد : « الهذيان والاحلام في الفن » ، والفنان ليس مؤرخا بالمعنى الفج . . لكنه يعانق التاريخ بمعنى ما . والعمل المبدع قد يكون وثيقة إجتماعية . . . لكن ذلك ليس هدفه الاساسي . وهكذا ، وبهذا المعنى قد تحمل الاعمال الفنية الجيدة صورة

للمستقبل او بعض نبوءة ، لكن ذلك لا يعني ان الفنان عراف . ان الفنان ليس عرافاً كما انه ليس رجل سياسة ولا رجل دين ولا مؤرخاً ولا طبيباً نفسانياً حتى ولو حمل فنه هذه الخصائص كلها او بعضها - والفن المبدع يحمل غالباً هذه الخصائص - الفنان هو فنان فقط ! . . . ولأنه كذلك فهو بمعنى ما اولئك جميعاً دون ان يكونهم حقاً !

● ازاء ذلك ، كيف تتصورين الغد والمستقبل المنظور ، والمستقبل البعيد ؟

- لأن الفنان ليس عرافاً ، فان الاجابة المباشرة على سؤال كهذا لا تخرج عن التقييم العادي لمواطن قد يخطىء او يصيب .

إن إمكانية استشراف المستقبل تأتي للفنان عبر شخوص رواية ما، واثناء كتابتها، اذا كان في لحظة ابداع حقيقية ، وهي ليست الهدف الاساسي ، ولا تأتي بالمقام الاول ، وربما لا تخطر له ببال لحظة الخلق الادبي .

بعبارة اخرى الفنان لا يحاول لعب دور العراف . مستبدلا الودع بالابجدية ، وضرب المندل واستحضار الارواح والسلة والابراج (وبقية عدة الشغل لدى المنجمين)باللغة . ان احتواء الماضي وحدس المستقبل نتيجة غير مباشرة للغرض الاساسي : خلق عمل فني حي حقاً .

وهكذا فانا لا استطيع استبدال الرواية بالنبوءة . . لكن الرواية قد تتضمن فيما تتضمن بوصلة لخط سير الاحداث ، تومىء باتجاه المضيق الذي تمضي اليه باخرة الوطن ، حيث التيارات الخطرة واسماك القرش النهمة . واغاني عرائس البحر المخاتلة التي تلهي البحارة عن الدوامة الدموية . . والدمار . . . والشباك المقطعة . . . واوهام الهاربين من سفينة الوطن بيخوتهم الذهبية والعاجية . . . واوهام الذين يحملون الفأس ويهوون بها على (حصة) سواهم من السفينة ، دون ان يلحظوا ان السفينة حين تغرق، ستغرق بكل من عليها. . بما في ذلك ابراج المراقبة المتلهفة الى تصوير لحظة السقوط . . والمنارات الزائفة التي تحاول جرنا الى حيث الصخور الاخطبوطية . . والمنارات النادرة المتبقية في جنون العاصفة التي نبتت في مرافىء الامان ولم يتم تفجيرها بعد ! . .

● وفي هذه الانفعالات المذهلة في قسوتها وجحيمها ، هل يستطيع الفنان ان يقف على الحياد ؟ بل لماذا يقف بعض الفنانين على الحياد في الوطن العربي كأن كل ما يجري لا يعنيهم بشيء لا من قريب ولا من بعيد ؟

- الحياد بالمعنى المطلق هو الموت ، الجثة وحدها محايدة ، حتى في موقفها من الكفن

وحفار القبور وخطبة الكاهن . . . لكن الفنان يمر احياناً بمرحلة إعادة نظر قد تبدو من الخارج حياداً ، ولا يمكن لاي فنان حقيقي ومبدع ان يكون لا مباليا امام الظلم والقمع والبشاعة مدة طويلة .

والآن ، لنتكلم بصوت عال عما نتهامس به بخوف وسراً . اننا نمر للأسف بمحنة فكرية عربية بوجه عام . اكثر الاقطار العربية صارت شديدة الحساسية امام حرية الكلمة . وهكذا صار الفنان يرتدي قناع الحياد خوفاً من المشنقة ، او ريثما يجمع ثمن بطاقة سفر ! . . . وهكذا فنحن امام عدة انواع من الحياد : هنالك حياد العين في مواجهة المخرز .

وهنالك حياد إعادة النظر .

وهنالك حياد الشجرة التي تنحني قليلاً ريثما تمر العاصفة ، بعد ان تعلمت ان الوطن بحاجة الى مقاتلين احياء يتصفون ببعض المرونة .

لا تلوموا الاديب « المحايد » . . ارفعوا الكمامة عن فمه ، قصوا القيود عن يديه . واذا لم يستخرج بعدها جناحيه اتهموه بالحياد امام متعة التحليق والاكتشاف والمعرفة واداء الشهادة .

● **لعلك اكثر كتاب العربية إكتشافا دائما للعالم . وهذا يتجسد في « الاعمال غير الكاملة » - ١٢ كتاباً - التي صدرت لك تباعا . . . افما تعبت من متابعة البحث ؟**

- . . وكل بحث يقودك الى عشرات البحوث ، كما الميدوزا . كلما قطعت وهماً نبتت العشرات في موضعه . وكل مغارة تقودك الى دهليز تنفتح على جانبيه ابواب المغاور التي تقود إلى مغاور على جانبيها مغاور وهكذا الى ما لا نهاية . . الفضول هو الشيء الوحيد الذي يزداد جوعاً كلما اطعمته . . . « حاسة التساؤل » هي بحالة تحريض دائم لدي . . . واطمح باستمرار الى غير الاجوبة الجاهزة المتعددة التي قد تريحنا من عذاب البحث لكنها تلغي الرؤيا ونشوة المعرفة . كل ما حولي يستفزني للمشي في دهليز المرايا والنوافذ .

لست مشغولة بالطبيعة البشرية بمعزل عن موضعها من الكون ، ولست مستغرقة في البحث الكوني المجرد الى حد الانشغال عن بقية كائنات الطبيعة المحسوسة وغير المحسوسة . وعشقي للكتابة جزء من حبي الكبير للرسم والموسيقى وغيرها . من هنا يأتي التهامي لعشرات الكتب عن الفن والحيوان والنبات والطبيعة والبحار والجبال والغابات ، ومحاولتي معايشة اولئك (الجيران) المذهلين كحصان البحر وحصان البر ،

وكواكب السماء النائية او صخرة صغيرة تفور بعشرات الحيوات النباتية وغير النباتية .

لقد ترجمت كتابا عن الكواكب والنجوم كما ترجمت كتاب مارغريت ميد « بشر واماكن » كجزء من هذا الهوس . ان القواقع والاصداف الصغيرة تخطف انتباهي احياناً اكثر من الاهرامات ! . . . ان عمراً واحداً لا يتسع لتأجج روحي امام هذا الكون المذهل الشاسع الممتلىء اسراراً شهية . . . اني احسد «فاوست» وافتش عمن اوقع معه صكاً بدمي . . فعذاب التحرق الى المعرفة جحيم بحد ذاته !

● **كتاباتك عصبية ، متوترة ، ومتحركة حركة لا ركود فيها . . هل هذا نابع من حياتك الشخصية . . . ام من الحدث الذي تتمثلينه وتعانينه قبل كتابته ؟**

ـ احاول رصد كسور الروح والنفس في زمن الانهيارات والولادة ، زمن الخيانة والسمو ، الزمن البشري المتكرر والجديد . . . واحاول رسمها كما تفعل اشعة « إكس » بكسور العظام حين تبين موضعها وترسم خارطتها . لكن كسور النفس البشرية حية ، متحركة ، نابضة ، قد تلتئم في ثانية ، وعبر حوار ـ فالحوار في الفن مرادف احياناً للفعل والسلوك البشري ـ وقد تعاود انكسارها وتظهر فيها شقوق اكثر عمقا . . . ان انكسارات الروح تشبه الاخاديد الرملية لشاطىء كثير المد والجزر . . فالحياة باستمرار في حالة صيرورة ديناميكية وتموج وتحول . . . ما تراه في كتابتي هو ارتجاف إبرة عداد الارتفاع في طائرة تعصف بها الأنواء صعوداً وهبوطاً في كل لحظة ! . . .

● **هل القيت القبض ذات يوم على سعادتك ؟ على لحظات منها ؟ على دقائق . . . كم من الزمن استطعت الاحتفاظ بها ؟**

ـ حين تمر السعادة ، لا احاول استبقاءها . . . فالسعادة هي الوردة السحرية التي تتلاشى لحظة نقطفها ، وتتحول الى رماد قبل ان نودعها في (مزهرية) الكريستال . . . انها كالنجم ، لا نستطيع القاء القبض عليه وسوقه مخفوراً الى « ألبوم » الذكريات ، او اطارنا الاجتماعي .

ثم ان السعادة هي السيدة التي لا نعرف اسمها إلا بعد ان تغادرنا . حضورها حدث اليف حتى لنكاد لا نلحظه الا بعد ان يفارقنا . . ونشهق في عتمة الغياب ونقول : آه مر الفرح من هنا .

١٩٨١/٦/٢٩

مراسل الدستور يستجوب

● ارحل الى الجرح العربي جرح الوطن .
● الكتابة مقاومة جماعية ضد تمييع المفاهيم .

في هذا الحوار الجديد ، نكتشف عوالم اخرى في اعماق هذه الكاتبة الكبيرة التي بنت لنفسها طوال عشرين عاما علاقة وثيقة ، مع مئات الآلاف من قرائها ، لا تنفصم ، حيث نرى انتاجها في كل مكتبة في طول الوطن العربي وعرضه . . كاتبة مميزة ، لحديثها ، في كل مرة ، طعمه الخاص ، وجاذبيته التي لا تنسى .

● في ادبك كما في حياتك ، الرحيل دائما هاجسك ، اي رحيل ؟ الى أي عالم ؟ إلى أي مكان ؟

ـ ذات ليلة ، كان هنالك رجل يمشي وحيداً في زقاق معتم ، انقض عليه مجهول في الظلام ، طعنه بسكين دونما مبرر ، دونما كلمة . . ومضى . . . كان اسم المطعون صمويل بيكيت ، وكانت تلك الطعنة العبثية ، بطاقة رحيله إلى « مسرح اللامعقول » .

اما أنا فمواطنة عربية . . اعرف جيداً من طعنني ، واعرف ان هدفه قتلي وشعبي ، واعرف انه يرغب في سرقة شارع الوطن من تحت اقدامنا ، ويرغب في سرقة تاريخنا من دورتنا الدموية ، اعرف اسم جلادي ، واعرف اسماء الذين تخلوا عن الحلم العربي الكبير متحالفين مع قرصان الفرح والحرية ، وهكذا ، فانا باستمرار احمل بطاقة رحيل الى الانتماء ، الى المعرفة ، الى قضمة من رغيف الحقيقة العسير المنال .

انني اسافر الى السر ، واسافر الى اليقين ، وما ترحالي الجسدي القلق الا مجرد تعبير عملي عن هذه الحقيقة النفسية . أينما رحلت ، ادور في فلك همي العربي والانساني . . ولا بد لي من الاعتراف بانني كفنانة لا استطيع مقاومة اغراء اية ظاهرة تثير الفضول . . . واذا شاهدت خيطاً من الدم امام مدخل نفق مظلم مجهول ، فلا مفر لي

من ملاحقة خيط الدم . . . لارى . . لاعرف . . لاشهد . . لاتعلم . . وربما لانزف .

من هنا كان رحيلي مع الصيادين الى البحر . . والى المجانين في مصحاتهم . . . والى الذين يمارسون السحر في كهوفهم العصرية ، والى المنفيين خارج الوطن والابرياء والمجرمين في السجون . والى بائسات الزيف الاخلاقي في حانـاتهن وسواهم . . انني ارحل باستمرار الى الجرح العربي ، جرح الوطن ، وجرح النفس . . جرح التاريخ ، وجراح المعذبين والمنسيين . . ترحالي كمواطنة يتحـدر من همي كفنانـة ، وربما يكمـل رسم بانوراما شاسعة لا تخلو من البعد الثالث للبركان العربي الذي يحاولون عبثا ترويضه في سيرك لعبة الامم .

● **الحزن . . الحزن . . الا تعرفين الفرح ؟ لماذا دائما الحزن ؟ لماذا ليس دائما الفرح ؟**

ـ يبدو لي ان العرب بوجه عام يحذرون من الفرح . . واذا ضحكوا كثيراً في مجلس ما ، قالوا : اللهم اجعله خيراً . . والفرد العربي العادي يضبط نفسه احياناً متلبساً بالضحك فيبادر الى القول : « اللهم اعطنا خير هذا الضحك » او « اللهم عفوك » او اي شيء من هذا القبيل . . . واذا تفرسنا في هذه الظاهرة ، نلحظ ان العرب هم مع الابتسامة وضد القهقهـة ، ومع الفـرح المتواضـع وضد الـزهو ، مـع الفرح الـواعي المتأمـل ، وضد الاختيال والخيلاء والعربدة ، بالنسبة لي ، انا ضد الحزن للحزن ، كما انا ضـد الفرح المعلب المستورد . حزني هو فيجوهرهاقتراب رصين من حقيقة الاشياء ، انه حزن إيجابي قابل للفرح ، انه حزن حي ، وليس في حالة تكلس وتقوقع .

ولانني اعـرف الحزن ، اتقن الـدخول الى الفـرح . لكن زمن الفرح العـربي لما يشرق بعد ، وانا من جيل يطمح للمساهمة في تحقيق خطوة بهذا الاتجاه . اكرر : انـا دمعة العين . . لا المخرز .

● **غادة السمان زميلة جـديدة في « الدستور » زميلة قديمة في الكتابة . . هل تواجهين تحديات اخرى إضافية على صعيد الكتابة ؟**

ـ التحـدي الذي اعيشـه الآن ، ولم اواجهه من قبـل ، هو ذلـك اللقـاء بـين اعمـالي القصصية وبين قارىء جديد من بلاد غير عربية . . عبر ترجمات انجز اعداد بعضها . . ويتم انجاز بعضها الأخر .

وقـد سبق ان ترجمت بعض قصصي القصيـرة الى اللغات التـالية : الاسبـانية ، الفرنسية ، الروسية ، الانكليزية ، الالمانية ، الرومانية ، الفارسية ، لكنها نشرت يومئذ بشكل محدود ، وضمن إطار التعريف بمختارات من الادب العربي .

تبدل الامر الآن ، الترجمات صارت تتناول رواياتي ، والنشر تتولاه دور تصدر من الطبعة الاولى ٢٠ الف نسخة على الاقل « هارد كوفر » كما ينص مثلا العقد الذي وقعته مع «بوستواوي انستينيوت» في بولونيا بخصوص روايتي «كوابيس بيروت » . وقد كتبت لي المستشرقة هانا يانكوفسكا التي قامت مشكورة بترجمة الصفحات الـ ٥٠٠ للرواية تقول : « ستكون روايتك (كوابيس بيروت) اول عمل روائي حديث يصدر في بولندا، اذا استثنينا بعض الكتب للادباء المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية». شعرت وانا اقرأ كلماتها بالامتنان والخوف معاً ، ارتعدت خوفاً واملا كقط صغير مبتل ، وتمنيت ان تنقل حروفي لعشرات الآف من القراء الجدد صورة مشرقة عن ادب امتي ، وعن ادبي .

الخوف ذاته يداهمني وانا اعرف ان روايتي « بيروت ٧٥ » التي ترجمت الى الفرنسية في اطار اطروحة جامعية بالسوربون قد تجد طريقها الى النشر العريض عبر احدى دور النشر الواسعة الانتشار في باريس .

اواجه ايضا (خطر) نشر ٥٠ الف نسخة من « كوابيس بيروت » عن دار رادوغا بموسكو فثمة من يقوم الآن بترجمتها ـ كما سبق للبروفسور فلاديمير شاغال الاستاذ بمعهد الاستشراق ان ترجم قصتي « الساعتان والغراب » الى الروسية ـ انني افكر بعشرات الآلاف من العيون التي ستقرأ حروفي بحياد ودي . . تراني انجح في هذا الامتحان العسير ايضاً ؟ لا أدري سوى أنني مسكونة بالخوف والأمل معاً .

التحدي الآخر الذي اواجهه ايضا هذه الايام هو روايتي الجديدة ، وصحيح انني اصدرت عشرين كتاباً حتى الآن . لكنني مع كل كتاب جديد استعيد اللذعات العتيقة كلها ، نضرة وموجعة ومتفجرة زخماً كما لحظة كتابة قصتي الاولى .

● **انت الاديبة في الصحافة ، ام انت الصحافية في الادب ؟**

ـ حين كنت اجوع وانا صغيرة ، كنت ارسم رغيفاً وآكله فلا اشبع ، وكنت اكتب كلمة رغيف عدة مرات فيزداد جوعي ولكن تهدأ نفسي . . حينما كبرت اكتشفت المجاعات الاخرى الكثيرة التي تفترس الروح ولا يكفيها الرغيف . ووعيت قيمة الكلمة ، وتعلمت ابجدية اضافية . . تعلمت ان الكلمة هي الذاكرة وهي الحرية وهي الحربة والدرع . وتعلمت ان اصرخ في واد مجانا وانا واثقة من رجع الصدى ولو بعد اعوام .

اديبة ، صحافية ، التسميات لا تقلقني . . إنتمائي الى فعل الكتابة حقيقي واصيل ومستمر .

اكتب لانني لا احترف الحزن والانتظار ، وإنما اهوى صناعة الآتي الذي يجب ان يأتي !

ادب ؟ صحافة ؟ لا انظر الى زملائي الصحافيين نظرة دونية . . ولا ارى رفاقي الادباء فصيلة قادمة من نسل آلهة الاولمب . ما يهمني هو ان تظل الكتابة باستمرار نسيجا حياً مسكوناً بالهم العربي ، بالنبض والنضارة ، بالزخم والعنفوان والشهية الى المعرفة . . الكتابة هي فعل مشاركة فيما يدور ، وانا لا اريد ان اتنصل من هذا الزمن العربي . . اني كالآخرين جيمعاً : مسؤولة عن خطيئة ما يدور . . . كل منا هو الجلاد والضحية في آن . . لم يعد الانسحاب شهادة براءة ، ولا الانتظار شهادة حسن سلوك فني ، كلنا ملطخ وقاتل وقتيل وهزلي ، وكل منا يختار درب خلاصه . . الصمت في رأيي ليس افضل الحلول وان كان اقربها الى السلامة !

ادب ؟ صحافة ؟

ما الفرق . لا يهمني اسم الاب الشرعي لعملي الفني . المهم ان يولد حياً وقابلاً للنمو .

ادب ؟ صحافة ؟ الآن ، في زمن القمع ؟

نعم . . . هذا هو الزمن المثالي للكتابة . الاقنعة تسقط . الوجوه تتعرى . الحقائق تخرج من ارحامها السوريالية لتتدلى امامنا على الاغصان والمشانق . الاكاذيب تغادر منطقة السر الى منطقة الضوء العلني . العلاقات المكسوة بلحم المجاملة، تتحول الى هيكل عظمي للوضوح ، الانوار الكشافة مسلطة على الخونة وعلى الثوار وعليك ان تمتلك القوة لتحدق في الضوء دونما وجل . . وتكتب . .

هذه وجهة نظري انا شخصياً ، ولا أسمح لنفسي بالتعميم الساذج التبسيطي .

المهم الكتابة لا كملجأ او مطهر او منفى او موزاييك لفظية ، وإنما الكتابة كفعل مقاومة جماعية ضد تعهير القيم وتمييع المفاهيم .

صحافة ؟

اعتقد ان ادبي مدين لعملي الصحافي ، فالتفاعل اليومي مع الناس هو عصب الكتابة ونبضها . التأمل مهم ، والهدوء ضرورة ، ولكن لا فن كبيراً حقيقياً يستثمر بدون الانفتاح الصادق على دنيا الناس .

انا لا استمد (الوحي) من الرجل (الحبيب) وحده . انا استمد مادة كتابتي من الرجال المقهورين المتعبين المناضلين ، المكسورين والمنتصرين ،

الصامدين والذابلين . . استمد مادة كتابتي من هذا العالم الشاسع الذي ارى بوضوح يوماً بعد يوم ابعاداً جديدة لم اكن بقادرة على الاحاطة بها من قبل . . وكان عملي الصحافي من بعض الجسور التي تصلني بها .

● **ما هي اجمل الاشياء التي تحبينها في الحياة ، وما هي اقبح الاشياء التي لا تحبينها ؟**

ـ اجمل الاشياء التي احبها في الحياة ، هي الحياة نفسها التي تستمر بنا او بدوننا ، تفتح صدرها لنا ما دام في اعماقنا جذوة ، وحين نسقط تتابع استمراريتها وتحتضن من يمتلك شهية الصمود .

ترى هل هي مصادفة ان شكسبير ولد في العام نفسه الذي مات فيه مايكل انجلو (عام ١٥٦٤) ؟ ام ان « الحياة » تحب تذكيرنا باستمرار انها تستمر حتى بعد ان نتوقف ولو كنا ذات يوم ملء السمع والبصر ؟ اقبح الاشياء التي لا احبها ليست هي الاشياء القبيحة ، وإنما هي الاشياء الفاترة ، الاشياء التي لا مذاق لها ، الاشياء الهيولية التي ترفض تبني ذاتها الحقيقية .

● **والآن . . ما هو طموحك ؟ ما هي امالك ؟ الى اين بعد هذا التشرد كله ؟**

ـ « ما صنعت شيئاً قط بطريق المصادفة . . . وما من اختراع قمت به بطريق المصادفة ، فكل شيء قد حققته بالعمل » . هذا القول الجميل لاديسون يلخص نظرتي إلى الاشياء . .

طموحي ؟

ان اظل مسكونة بشهية الاستمرار رغم البشاعات كلها ـ وربما بفضلها !! ـ ان اظل ملتهبة امام الظلم ، قائمة على خدمة ما اراه « الحق » . ان تظل اللغة تشتعل بين اصابعي كما يشتعل قلبي قهرا وحقداً ، وانا ارى المؤامرة مستمرة . . وكل ما حولنا يحاول ان يدفع بنا إلى الصمت في اقفاص الحزن الداجنة ، او إلى الهرب السلبي المتعالي .

اطمح الى ان اظل صرخة ضد التخدير ، وان تظل اعصابي مرهفة ومشدودة كحربة افريقية ، وان اظل اكرر بصدق : كل شيء مظلم ، إذن علينا إعادة اختراع النار من جديد اذا اضطررنا لذلك !

طموحي ؟

ان اظل كاتبة صمود ومواجهة : هذا ما تعلمته في مدرسة الزمن عاماً بعد آخر . وجرحاً تلو الآخر . . وسأستمر .

١٩٨١/١١١/١

فريال ملكو تستجوب

● بيروت نادٍ للعراة النفسانيين !
● اصير شرسة حين تحاول اشياء الحياة تدجيني .

● معرض الكتاب العربي في بيروت يقام قريباً . وأنت عودتنا الاشتراك فيه بكمية زخمة . ماذا أعددت للموسم الحالي ؟

ـ أعددت الكثير ، من جديد كتبي وقديمها ، وقضيت الشهر الأخير وضربات قلبي تتناغم وايقاع عجلات المطبعة ، لتنجز اصدار الكتب النافذة قبل الموعد المحدد . (لا بحر في بيروت ـ الطبعة السادسة) ـ عيناك قدري (الطبعة السابعة) ـ حب (الطبعة السابعة) ـ ع غ تتفرس (الطبعة الثانية) ـ الرغيف ينبض كالقلب (الطبعة الثانية) ـ ليل الغرباء (الطبعة السادسة) ـ كوابيس بيروت (الطبعة الرابعة) . . وسواها . هذا بعض ما أعددته أنا لمعرض الكتاب العربي في بيروت الذي يقام قريباً . لكن الأجمل هو ما يعده لي معرض الكتاب ، وما يقدمه لي ككاتبة وفنانة ، لا كناشرة فحسب .

ان معرض الكتاب العربي يعد لي في كل عام فرصة مراجعة ذاتية ومواجهة مع ذاتي المنتجة . . . إنها وقفة في براري الصدق بين أشجار العطاء وقحط التقاعس . . . حيث احاسب غادة الفنانة : هل انجزت حقاً خلال هذا العام ما كانت تطمح الى انجازه ؟ إنني اتأمل كتبي الكثيرة دونما فخر ، لأن عيني تبحثان باستمرار عن الكتاب الذي لم ينجز بعد . الكتاب الغائب الذي يجب ان يكون الى جانب رفاقه في العام المقبل .

بهذا المعنى يقدم معرض الكتاب العربي خدمة (فنية) للأديب الذي لا يتهرب من مواجهة ذاته على ضوء منجزاتها عملياً ، لا على ضوء هالة حب الذات وحدها !!

● تعتبرين عن حق من أغزر الأديبات العربيات في العالم العربي . كيف يتسنى لك إصدار هذه الكمية المذهلة من الكتب في وقت تعجز الاخريات عن إصدار اكثر من كتاب كل بضع سنوات ؟

ـ السر بسيط : لقد تعلمت كيف اقول كلمة «لا». أقولها لكل ما يسرقني من عملي تحت شعار الولاء العائلي أو الولاء للطقوس الاجتماعية أو الولاء لدواعي السلامة ونداء الاسترخاء ورضى الأهل والاصحاب وغير ذلك . .

انا برية ومتمردة وأصير شرسة حين تحاول (أشياء الحياة) تدجيني ، وأصرخ « لا » وأركض كحصان بري هارب الى شطآن الحقيقة حيث الأصداف أبجدية والأمواج صفحات الأسرار . .

لدي قدرة خارقة على أن أكون وحيدة ، ولست بحاجة الى رؤية صورتي في مرايا عيون الآخرين لاتأكد من انني موجودة ، ولست بحاجة الى سماع صوت يطربني او يؤنبني لأتأكد من انني أحيا . . ذلك كله يجعل قول كلمة « لا » أكثر يسراً ، رغم وحشتي الشرسة احياناً حين اتمدد على ورقة لأنام ، ووسادتي ورقة أخرى ، وألتحف بورقة ثالثة ، وأحلم بقية الليل بأبجدية لم اكتبها !! . . .

● تقول الأديبة كوليت خوري انها تعجز عن طبع كتبها على حسابها ، او عن طريق دار نشر تحمل اسمها نظراً لعدم تمرسها في التجارة ، ولسوء توزيع الكتب في الدول العربية . من هنا أسألك كيف تخطيت هذه العقبات ونجحت في اصدار كتبك عن دار نشر تحمل اسمك ؟

ـ إنها على حق ـ والأمر صعب جداً ، لكنه ليس (مستحيلاً) . وانا ما زلت أناضل لأكرس نجاحي ، ولأستمر .

● في كتاب « غادة السمان بلا اجنحة » تناول غالي شكري سيرتك الأدبية ، او بالاحرى شرح فيك الفكر والقلب والانسان .

هل تعتقدين انه نجح ؟ وهل هنالك انسان او اديب قادر على دخول عالمك الشبيه بالزئبق داخل حرف عربي ؟

ـ لا يبدو ان الدكتور غالي شكري كان ينوي ان « يشرح الفكر والقلب والانسان » لدي . وهو يتحدث عن كتابه في مقدمته للطبعة الثانية (كانون الاول ١٩٨٠ ـ دار الطليعة ـ غادة السمان بلا اجنحة) ، ويقول : هذا الكتاب لم يكن وسيطاً بين الناقد والقارىء من جهة ، ولم يكن قاضياً يحكم ، ولم يكن استاذاً في مدرسة . . . بل كان رؤيا مستقلة لعالم الكاتبة وهكذا فإن الدكتور شكري ليس معنياً بعالمي إلا من زاوية اسهام هذا العالم في تكوين العمل الفني ، وهو يؤكد « ان الفن حقيقة موضوعية مستقلة عن الذات الخالقة بمجرد ولادتها » ومن هنا نجده لا يطلق حكماً حول ذاتي « الزئبقية

المختفية داخل حرف عربي » على حد تعبيرك الجميل حقاً ، ولكنه معني بإيضاح ملامحي الأدبية في قوله (بالكتاب نفسه ـ صفحة ١٠) : « إذا كان نجيب محفوظ هو الروائي الكلاسيكي عند جمهور القراء العرب ، فإن غادة السمان هي الروائي الأول عند الأجيال العربية الجديدة » . تريدين وجهة نظري بصدق ؟ اتمنى ان اكون عند حسن ظن الناقد بعالمي الفني . . .

● **« كوابيس بيروت ، كانت حول يوميات الحرب اللبنانية في بدايتها البشعة . هل عشت هذه اليوميات بصورة شخصية ، ام كانت قصصاً وهمية خطتها مخيلتك الادبية ؟**

ـ لم تكن قصصاً وهمية ، ولم تكن قصصاً شخصية . . . كانت قصصاً فحسب ، فيها من نبض الواقع المعاش وأوجاع الآخرين ورؤيا الفنان وخياله المتدفق من ينابيع أرض الواقع ، كما الغيوم من بعض بحيرات الوطن وبحاره . .

● **تكتبين عن دمشق بعشق ، تتذكرين ملاعب طفولتك فيها ، ماذا تقول لك دمشق اليوم ؟ . . .**

ـ تظل تلهمني العمل والكفاح والجرأة والصلابة . . .

في دمشق تلقيت دروسي الأولى التي كانت زادي في رحلة الحياة الحلوة والقاسية ، ونشأت على تقدير القيم الأصيلة ، حب الجوهر ونبذ القشور . . .

وفي اللاذقية مدينة أمي وأخوالي اكتشفت البحر للمرة الأولى ، ذلك الحب الأول والمفترس في حياتي . .

لقد فتحت عيني على صوت والدي الجميل وهو يترنم بأغانيه « بلاد العرب أوطاني » ، و« نحن الشباب لنا الغد » وبقيت تلك الكلمات والانغام محفورة في أعماقي كايقاع لا يهدأ ، وسكنت في اللاوعي الذي يتحول مع الايام الى قناعات واعية صلبة .

● **بيروت بالمقابل كانت رفيقة صباك ، ومهد انطلاقتك العملية ، واستقرار حياتك العائلية . كيف تصفين بيروت اليوم بعدما نعق فيها البوم ؟ (ملاحظة : عفواً لكلمة البوم ، لأنه في نظري يختلف عما هو في نظرك) .**

ـ بيروت مدينة خلعت أقنعتها . وفي ذلك تكمن عظمتها ومأساتها في آن . وككل فنان ، أنا مخلوقة تفضل الشر العاري على الفضيلة المزيفة . وأجد في بيروت « ناد للعراة » النفسانيين ، حيث تتعرى الطبيعة البشرية ، فتتحول الى منجم لكاتب القصة يعجز عن مقاومة البقاء فيه أياً كانت المخاطر . .

ملاحظة : (البوم بريء مما يحدث في بيروت. انه لا يعمل قناصاً ولا يفجر السيارات ولا يتاجر بالاسلحة والارواح)

● **في معظم صورك تضحكين . هل انت كذلك ؟ وما أكثر ما يضحكك في الحياة ؟**

ـ أنا مخلوقة مرحة (بطبعي) . أحب الأصدقاء والناس والمناخات الانسانية الودية ، والنكتة غير العدوانية وغير المؤذية ، وحين أضحك ، أضحك بملء قلبي كله وأشعر بامتنان للصحبة المؤنسة التي تفتح للضحك نافذة . .

أشعر ان « شريك الضحك » مهم ورائع . . . لكنني لا استطيع ان انفي طاقتي المروعة على الألم حتى الاختناق . . . وأنا لا أعاني من الاحزان الفردية فحسب ، ولكنني مثل (ورقة النشاف) ، أمتص مناخ الذين حولي وأحزانهم ، وأعيش كهارب الزمن المتوحش المحيط بي وألتقطها . .

● **في لحظات اليأس غالباً نتمنى الموت ، ونعجز ـ جبناً ـ عن الانتحار . هل تمنيت الموت يوماً ؟**

ـ لا أظن ذلك . . كأن الكتابة لقاح ضد الانتحار لدى البعض . . . كأن اعتيادي عملية الموت اليومي ومن ثمة الخروج من الرماد جعلتني أرى في مصاعب الحياة جزءاً لا يتجزأ منها ككل . إن الحزن هو الوجه الآخر لعملة الفرح . . . ويتعاقب اليأس والامل على القلب البشري كتعاقب الليل والنهار على وجه الكرة الارضية . . إنني احتضن الحياة بكل ما فيها ، وأتقبل المآسي بالاخلاص ذاته الذي أعانق فيه الافراح . . .

١٩٨٢/٢/٣

مراسل ألف باء بستجوب

● الشعر اقلاع داخل السر .
● لا راحة لكاتبة في أعماقها قبيلة نساء

● بين القصة والرواية والشعر والصحافة يتألق اسمك الى ايها تشعرين بالارتياح اكثر ؟

ـ لا راحة لي . اكتب القصة وعيني على الشعر وقلبي على الصحافة . والرواية تتطلب جهدا كبيرا وشاقا لكنها تمنحك فيها بعد ذلك الشعور العميق بالانجاز وتلك الصلابة النفسية الهادئة التي ترافق عادة ، كل عمل مرهق تكرس ذاتك له لانك قانع به. وهذا يرضي المرأة المفرطة الجدية التي تقطن في اعماقي بسرية تامة .

بالمقابل تأتي الصحافة بنبضها اليومي ودفقها الحار وعناقها المباشر لعالم الآخرين وهمومهم وتسعد بها امرأة اخرى تسكنني . . امرأة الفضول والحيوية والدفء في احتواء اشياء الحياة الصغيرة العابرة التي تصنع مادة التاريخ ببساطة متناهية .

ويأتي الشعر . . . ذلك العناق مع العناصر . . . ذلك الفرح المائي النضر الثر . ذلك الاقلاع داخل السر . . . وتأتي المرأة الثالثة التي تكون جزءا كبيراً من حقيقتي فتركض صوب غاباته الكثيفة بيدين لا تمسكان بغير الدهشة . .

حينما تكون الكاتبة مجموعة من النساء يلهث القلب امام مباهج الفكر والفن وينابيعه المتعددة ويحار . . لا راحة لكاتبة في اعماقها قبيلة نساء . . . ولكن ،

حينما يغربل القلب كورس الاصوات المتصاعدة من قاعة ، احس بان اغلى الاصوات في كهوفي هو نداء العمل الدؤوب الشاق في مملكة الرواية . . ويخيل الي ان الغلبة ستكون ذات يوم لامرأة الرواية . . كأن الرواية حقيقتي الاولى . . . والصحافة حكاية حب عابرة .

● **ثمة خيط واحد يربط معظم اعمالك الادبية احساس المرأة الشرقية بالاضطهاد ودعوتك لها بالثورة والتغيير . على اي اساس بنيت هذا الهاجس ؟**

ـ هذا خيط في جديلة . . انه (بعض من كل) . . . والجديلة التي تربط معظم اعمالي هي دعوتي للمواطن العربي الى التغيير والثورة على واقع موجع . . الاضطهاد واقع على الفرد العربي والمرأة من بعضه . وقوفي الى جانب المرأة العربية مشابه لوقوفي الى جانب العمال والفلاحين والمسحوقين اي الكادحين جميعا . . . والمرأة كادحة (اعني الاكثرية الساحقة من النساء العربيات) والظلم الذي تتعرض له مركب . . فهي مظلومة اولاً كمواطنة وثانياً كأنثى في (بعض الاقطار العربية) .

وهكذا فان دعوتي للمرأة . . . بالثورة والتغيير ليست دعوة في الفراغ وانما هي صرخة منبثقة من وعيي الحاد بجذور المشكلة اجتماعياً وتاريخياً . . ومن هنا فأنا أؤمن بانه لا خلاص للمرأة العربية خارج خلاص الانسان العربي ككل وضمن هذا الاطار يمكن ان يكون كفاحها مجديا .

● **في الوضع الماساوي الدائم في اعمالك الادبية . . كأن يأساً ما من كل شيء يحرك قلمك فيه . . لماذا ؟**

ـ ما دام قلمي (يتحرك) فهذا نفي لحالة (اليأس من كل شيء) . ثمة فارق بين ان تكون يائسا من كل شيء حتى الصمت والتحول الى تمثال حجري، وبين ان تعي الواقع بكل مآسيه وابعاده كخطوة ضرورية في درب اصلاح الاشياء . . . انا من النوع الذي لا يشيح بوجهه عن الجرح . ولا احب الذين يدعون ان الوطن العربي بالف خير . وانه ليس بالامكان ابدع مما كان . . واذا لم نعترف بالداء لا سبيل الى علاجه . . .

وهكذا (فالمأساة) في قصصي ليست حتمية قدرية وانما تنبع عن وضع ممكن التبديل وانا اقف في صف امثالي الذين يحلمون بالتغيير وينجحون في ذلك غالبا !!

● **بطلتك معظم الاحيان امرأة شرقية . . مع ما في هذا اللقب من تقاليد اسروية واجتماعية . . وقيود . . كيف لهذه البطلة ان تتحرر لتصبح على شاكلة كاتبتها ؟**

ـ المطلوب لمسة جنون . لمسة صدق . لمسة تحد . ان الصدق لم يقتل احداً، انه مربك احيانا ويجلب المتاعب لكن تزييف الذات يؤذي صاحبه في المدى البعيد ، اكثر مما يؤذيه الصدق حتى النهاية .

الاهم العمل فالمرأة العاملة تعي مدلول الحرية كعملة وجهها الآخر المسؤولية . لا توجد حرية في المطلق . للحرية ايضا تقاليدها وقيودها لكنها تقاليد انسانية تشارك في

صنعها واختيارها لتنظيم مجتمعنا وليست من فئة بعض التقاليد المتوارثة التي ذهب عصرها ومبررات وجودها وورثناها على جسد ايامنا كالثوب الضيق الذي يحول بيننا وبين حرية الحركة والركض في الاتجاهات كلها .

أنا لا اتحدث عن حرية فضفاضة غائمة . اتحدث عن حرية مرتبطة بحاجات الوطن والمجتمع ، تحرر طاقات المرأة المقموعة بدل ان تدمرها بالكبت او بالانفلات .

لست حرة بالمعنى المطلق . كل ما في الامر هو انني اختار قيودي باتقان !

● **هواجس ثلاثة تتأقلم داخل انتاجك بصورة مستمرة : الحزن . الموت . المجهول . هل هي هواجس خاصة بك . . ام هي هواجس الابداع الادبي ككل ؟**

ـ لو كانت هواجس (خاصة) بي لقتلتها واسترحت. الحزن. الموت . المجهول . . . لا تستطيع ان تجد كتابا مبدعا لا يمشي على حافتها او لوحة خلاقة او سيمفونية لا تعيها. . .

لكنني ضد مدرسة « الحزن للحزن » وضد مدرسة « ما دمنا سنموت فلنبدأ البكاء منذ الآن » . . وضد مدرسة « المجهول مخيف وملعون » .

وبالحب نقاوم ، واعني الحب بمعناه الشامل : حب الآخرين . والانتماء الى الوطن . حب المحبوب طبعاً. المهم عدم الغاء اي عنصر حقيقي من عناصر الحب خوفاً من (التقاليد) او سوء الفهم . . .

الحب موقف شمولي من الاشياء ، من الارض ، من الناس ، من الطبيعة ، ومن الجسد ، بالحب المتكامل وحده نستطيع ان نحارب تنين الظلمات . . بالحب الخالي من العقد ـ قدر الامكان ـ .

في اعمالي اقرار بالحزن . والموت . والمجهول . ومن ينكرها هو كمن ينكر الليل والشتاء وموت الوردة . . ولكن بالمقابل في اعمالي تنبيه كثيف الى حرارة القلب ودفء العطاء وروعة الالتصاق بالصدق الداخلي . . وتلك كلها دروع القلب الانساني العاري الذي يواجه قدره المدجج بالكوارث !

● **ثمة مأزق دائم يقع فيه ابطال قصصك او نفق مسدود يكبلهم بالاحداث فلا يستطيعون النجاة او الخروج الى الافق . . . لماذا تدفعين بهم الى هذا المصير ؟**

ـ في الحياة الحقيقية لا نستطيع نشر شبكة تحفظ البطل اذا سقط عن حبال دربه كما يفعلون في السيرك . . .

في الأدب أيضاً لا نستطيع أن نفتعل ذلك . . . المأزق يعكس المرحلة التي يمر بها الفرد العربي . . النفق اشارة الى تأزم الاشياء . ولكن الافق موجود في قصصي . الذين

يحترقون بمصباح القدر هم الـذين اندفعـوا في درب احاول التنبيـه الى خطورتهـا . . .
وبعض ابطالي يكتشفون درب السلامة كـما حدث لاحـد ابطال روايـة « بيروت ٧٥ »
واسمه مصطفى . . . (الذي كان يعمل صيادا) . .

انني لا افتعل مجزرة . وقصصي ليست محرقة جماعية . . لكنني لا استطيع ايضـاً تجاهل الالغام المزروعة في تربتنا السياسية والقومية والانسانية . . واذا داس احد ابطالي على لغم فلا بد له من ان ينفجر به . . انني لا استطيع ان ازيف الفن بحجـة التفاؤل لكنني بـالمقابـل أستطيـع ان ادل على مـواطن للتفاؤل غير وهميـة ومـوجـودة في تـربتنـا العربية . انني احاول تنمية بذور الامل ورعايتها لكنني سأظل اشير الى الذين يحرمونها من الماء عمدا او دونما قصد . ثمة خطيئة لا تروق لي : تزييف الفن لضرورات موهومة فالفن المزيف لا يمكن له في النهاية ان يخدم قضية . .

● انت الآن قـد تـرسخت اقـدامـك جيـدا في عـالم الادب . . . هـل حققت كـل طموحك . . . ام الى ماذا تطمحين بعد ؟

ـ لم احقق طموحي كله . . ما زلت اشتعل توقا لكتابة عمل أجهل ماهيته . ما زال يقطنني ذلك القلق المتوهج الموجع والشعور بانني لم استنفد حاجتي الى العطاء بعد . . .

١٩٨٣/٥/٣٠

عقل العويط يستجوب

● انظر باعجاب الى صمت بعض كبار ادباء الستينات

● أهوال « السباحة في بحيرة الشيطان » أهون من السباحة في محبرة .

غادة السمان احدى نجوم الادب العربي الحديث ، ذهبت في حقول الجرأة التعبيرية والتجربة الحية الى حدود ربما لم يبلغها من أقرانها وقريناتها منذ الستينات الى اليوم الا القلائل . وقد تحدَّت بكتاباتها وشخصيتها تقاليد وعادات تراجع احياناً كثيرة عن التصدي لها غلاة الأدباء « الثوريين » في مجتمعاتنا .

ومع غادة السمان التي تستعد لاصدار طبعة جديدة من روايتها «بيروت ٧٥ » يحلو التحدث دائماً . وحديثها ، ككل ادبها ، له نكهة الدهشة الشعرية ، وجمال الاصالة . وقد استقبلت مندوب « النهار العربي والدولي » واجابت عن اسئلته في الحوار التالي :

● فورة الادب النسائي التي عرفناها في مرحلة الستينات ما لبثت ان خمدت ابان الحرب او ما قبلها . فاسماء عديدة من الحركة الادبية النسائية اختفت ، ومعظم اللواتي واصلن الكتابة لم يستطعن ان يتواصلن ابداعياً باستثناء اسماء قليلة . كيف تنظرين الى ظاهرة التراجع هذه ، وما اسبابها ؟ .

ـ انظر اليها باعجاب ، وارى فيها ظاهرة حيوية ! فظاهرة التوقف عن الكتابة من قبل بعض مبدعي الستينات ليست ظاهرة « نسائية » فقط بل « رجالية » ايضا ، ومقابل كل مبدعة « انثى » توقفت ، استطيع ان اذكر لك اسم مبدع « ذكر » . ومقابل كل مستمرة فاشلة في « التواصل » و« الابداع » ، تحضرني عشرات الاسماء الرجالية في هذا المجال . . . ولما كنت لا اميل الى التفسير « الجنسي » لتاريخ الادب ، ويصعب توريطي في فخ رؤيا شوفينية للاشياء ، دعني اكتب الامر بلغتي : الصمت ظاهرة انسانية لدى

المبدع العربي تستحق الرصد . وليس في وسعنا تطويق هذه الظاهرة الخطرة داخل سور له شكل دائرة هو تاء التأنيث ، تمهيداً لعزلها عن التيارات والاحداث السياسية والاجتماعية والبوليسية والفكرية القمعية التي تهاجم شاطىء الابداع العربي منذ الستينات حتى اليوم ، وتروح وتجيء مداً وجزراً واعصاراً وزلزالا (متعدد الجنسيات) . . . ليتها حقاً مجرد ظاهرة تراجع « النسل الابداعي النسائي » بسبب كثرة « التناسل العائلي » ، وليته « القمع الزوجي » المدجج بشارين وعضلات مفتولة ، وليته الكسل الانثوي في احضان مخمل التثاؤب الصباحي ، وحرير الوجاهة الاجتماعية . . . لكن الظاهرة تتسع لتطال جيلا من المبدعين الذين قلما عوضتنا عنهم سنوات السبعينات وبدايات الثمانينات ، وكان لصمتهم وقرفهم وحزنهم واحتجاجهم الاخرس نتائج تطال الادب العربي باكمله . .

اتحدث هنا عن المبدع (ذكراً كان ، ام انثى بفعل مصادفة بيولوجية ما) ، ذلك الذي تفجر في الستينات ، واعلن علينا الصمت اواخر السبعينات وفي الثمانينات . . . (لا اتحدث عن الحالات الفردية العادية التي تواجهنا في كل مكان وزمان ، عن نصف موهوب وجد نصفه الآخر في التجارة او الوجاهة او الثراء فكف عن الكتابة ، أو عن الادباء الموسميين الذين يسقطون ثوراتهم على الشعر ريثما يحققونها عملياً ، او عن العشاق المتأزمين ريثما يتزوجون الوحي ويطلقون الشعر ، وغير ذلك من حالات « اللاكتابة » الشائعة) ، اتحدث عن ظاهرة « تعقيم » خطيرة تطال المبدع العربي عامة في مختلف الحقول من علمية وفكرية وتتجلى بوضوح في قطاع الادب ، لا عن ظاهرة « تراجع نسائية » جزئية . تسألني عن الاسباب ؟ . . . الاجابة ممكنة بكلمة واحدة : القمع . وممكنة ايضاً في مجلدات عدة ، ترسم الاشكال المختلفة لهذا القمع السلطوي اولا ، ثم القمع المتبادل بين ابناء المهنة الواحدة ، بحيث ينتفي التنوع في الآراء والتعدد في المواقف ويصير « خائناً » كل من له ابجدية فكرية تختلف عن ابجديتي . وبدلا من تضامن الادباء في وجه القمع ـ حتى الجسدي ـ لبعض العاملين في هذا الحقل ، نجد بعضهم ينافس المؤسسات البوليسية في ابتكار اساليب الحد من ممارسة حرية الرأي . . . وهناك الرقيب الداخلي الذي صار يقطن الفنان ويمد يده الى اوراقه ويريق الحبر على اصدقها وانبل ما فيها ، ويشطب له بالقلم العريض بقايا صراحته المكتوبة بخط نحيل مرتجف . . كأن الفنان صار مصاباً بداء باركنسون ، يكتب مرتجفاً خائفاً من ان يقرأ بنفسه ما كتب ، وقد رأى العبرة في غيره فاعتبر . . . صارت

السباحة في بحيرة الشيطان اقل اهوالا من السباحة في محبرة . . . وختم المبدع موهبته بالشمع الاحمر ، وكلما جاءته الافكار من عبقر الحرية كتب عليها « مرتجع مع الشكر »، كي لا يشوهها حين يضطر لكتابتها بصورة لا تغضب الجميع . . . اننا نختنق عاماً بعد آخر ، واوكسجين الابداع الملقب بالحرية يتناقص في الفضاء العربي ، وحروفنا تصاب بفقر الدم الابداعي وهي المحرومة من الشمس والعدالة ، المرصودة للتدجين مثل احصنة السيرك التي تدميها لسعات السوط واوجاع اللجام لكنها لم تنس بعد يومياتها كاحصنة برية راكضة في براري المعرفة وغابات السر .

نعم . انظر الى صمت بعض كبار ادباء الستينات باعجاب ، وأرى فيه ظاهرة حيوية رافضة للتكيف مع زمن مريض . . .

. . . واعرف جيداً طعم هذا الصمت فهو يراودني من آن الى آخر . ذلك الخلق التدميري . . . فعل الكلمة واعدامها في اللحظة ذاتها . خلق طفل وخنقه لحظة شهقة الحياة الاولى كي لا يؤخذ اسيراً ويضاف الى سبايا الكلمة . .

لا تسألوا المبدع العربي لماذا لا يكتب ، بل اطرحوا السؤال على المستمرين : لماذا تكتبون !؟

● **نلاحظ انك ربما تكونين وحدك بين الأدبيات التي تناولت الحرب في مرارتها ورعبها في كتابك « كوابيس بيروت » ، بينما غابت غالبية الأديبات عن الحرب ، ولم يكنّ في حجمها . ما سبب هذا الغياب الادبي النسائي ؟**

ـ لم تغب المرأة الاديبة عن الحرب (ها انت تجرني الى فخ الدفاع عن المرأة !) ، ولكن الحقيقة الموضوعية يجب ان تقال ، وقد كتبت الاديبات اعمالا متفاوتة الجودة في هذا المجال كما يحدث للادباء جميعاً. وانت تعبر عن رأي شخصي غير نهائي حين تقرر ان هذه الاعمال لم تكن « في حجم الحرب » على حد تعبيرك . . وتلك قضية نقدية مفتوحة للمناقشة . لكن سؤالك بمجمله يحرك اكثر من تساؤل ادبي ، ومن نوع مختلف عن نموذج « هل كان الادب الذي كتبه الذكور عن الحرب في حجم الحرب ايضاً ؟ » ، كأن نتساءل باخلاص : هل في وسعنا نحن الذين يعاصرون الحرب مقصوفين مذعورين مهجرين ان نحيط بابعادها في عمل ادبي كبير ملحمي الروح شاسع الرؤيا والحنان ؟ وهل نكتب عن الحرب بشكل افضل لاننا في محرق النار ، ام ان الوهج يعمي عيوننا البشرية مهما كانت طاقتنا الابداعية ؟ هل الفنان ـ في المطلق ـ بحاجة الى مسافة زمنية

بينه وبين الحدث الساخن ، ام ثمة « انماط » من الموهبة لا تتأجج الا داخل فرن التاريخ لتبدع وتحترق في آن معاً ؟ واذا كان الفنان ـ في المطلق ـ بحاجة الى الابتعاد عن موضوع كتابته ليراه بعين القلب والعقل معاً ، فما قيمة ما نكتبه الآن ، ما دام محكوماً بالاعدام قبل ولادته ؟ ام ان كتاباتنا « الآنية » ضرورية لتشكل خلفية حضارية وابداعية ترفد اديباً كبيراً لما يلد ، سيأتي ويصوغها من مادة خام الى ملحمة أمة ، كما وجد شكسبير ذات يوم اداة الـ « بلانك فيرس ـ الشعر الحر » ، جاهزة بعدما شذبها له المبدع شبه المنسي في ظل شكسبير : كريستوفر مارلو ؟ هل العمل الفني في جوهره « عمل جماعي » ، وكل مبدع يضيف سطراً ويضيء حرفاً ؟ . . .

● يلاحظ في كتبك الاخيرة الصادرة في سلسلة « الاعمال غير الكاملة » انك تتراجعين عن خطك الذي رسمته في بدايات اعمالك . الخط الرفضي الذي اعلنته في « لا بحر في بيروت » و« ليل الغرباء » و« رحيل المرافىء القديمة » . فكتبك الاخيرة تظهر غير ذلك الوجه الذي عرفناه . اين غادة السمان الاولى الرافضة المتمردة القلقة النزقة ؟ اين اصبحت ؟

ـ « الاعمال غير الكاملة » كتب معظمها في المرحلة نفسها التي كتبت فيها « لا بحر في بيروت » و« ليل الغرباء » و« رحيل المرافىء القديمة » ، كما تدل على ذلك تواريخ كتابتها ونشرها المثبتة مع كل نص تجريبي وقصة ومقالة وتحقيق وخاطرة ، وهي بالتالي لا تمثل مراحلي الاخيرة سلباً او ايجاباً . . . ولكنها دونما شك تمثل وجوهي الاخرى المعروفة بصورة اقل للقارىء والناقد . . . « الاعمال غير الكاملة » تضم جذور اعمالي ، وترسم حقيقتي الباردة ، المسكونة بشهية المعرفة . وتكمل توضيح صورتي كفنانة : فانا كاتبة مغامرة ، لا اغامر بالجنون وحده ، لكنني اغامر بالعقل ايضاً . لا اغامر بالرفض وحده ، لكنني اغامر بالقبول . اجرّب النار والثلج معاً والاشياء الفاترة ايضاً ، واضحي بكل شيء من اجل لحظة حقيقة ويقين .

انني ادخل مغامرة الرفض ومغامرة التعقل . اجرّب الرفض والرفض المضاد .

الرفض للرفض ارفضه ، والتأزم للتأزم فاتر كالهمود . واذا كان اسمي مرتبطاً بالرفض والتمرد ، فان « الاعمال غير الكاملة » تساهم في رسم خلفيات ذلك القلق النزق وتوضح انه لم يكن يوماً من نمط « التمرد المجاني الفضفاض » . وانني متمردة حتى على التمرد ، اذا اراد البعض سجني في قالب صورة محنطة متحجرة لأنثى منبوشة الشعر . انا انسانة لامست الموت ، تفتش عن الحرية والحقيقة والخلاص ، تحترم

ضرورة الجوع بقدر ما تحترم ضرورة الشعر ، وكتابي « الرغيف ينبض كالقلب » يعبر عن وعي الضرورة الاولى ، بقدر ما يعبر « عيناك قدري » عن الضرورة الثانية .

وكما ذكرت في مقدمة الاعمال غير الكاملة : « . . . هي جزء من ماضي الكتابي ، وهي ككل ماض ، لا يمكن الغاؤه ، كما لا يمكن تبنيه كلية » . ربما كان من الافضل نشر « الاعمال غير الكاملة » بعد موتي ، ولكنها احترقت في الحرب اللبنانية (الاولى) ، فطاردت قصاصاتها الصحافية العتيقة في ارشيفات المجلات والصحف واعدت لملمة معظمها ، ونشرتها لأني كما ذكرت « لا اريد لها ان تحترق » . واليوم اتساءل ، هل كان الخوف من الحريق وحده الدافع الاوحد لنشرها ؟ ام انني احسست بالحاجة الى اعلان حقيقتي كاملة ، وجهي العاقل كما وجهي المجنون ، ووجهي الحائر كما وجهي المتيقن من التمرد ؟ لن أدري ابدا . واكرر : الكلمة كالرصاصة ، لا تسترد بعد اطلاقها ، وكالخطيئة لا يمكن محو اثمها بعد ارتكابها ، ولانني اهوى الرصد البارد للمشاعر الملتهبة ، لاحظت بدهشة ان الصحافيين استقبلوا « الاعمال غير الكاملة » بشيء من الاستخفاف لمجرد انها في معظمها مقالات صحافية . لماذا الصحافي هو اكثر الناس احتقاراً للصحافة في بلدنا ؟ ولماذا تتحكم بافكارنا النقدية نظريات متوارثة من القرن التاسع عشر عن عزلة الانماط الادبية ؟ . عزلة مكرسة مقدسة نهائية ، فالقصة في قفص ، والشعر له قفصه ، والصحافة في زنزانتها الادنى منزلة . اني مثلا معجبة بتيار ادبي جديد في اميركا حيث تمتزج الرواية والصحافة ، اي الخيال والواقع في نسيج ابداعي كتابي حي ، له مذاق جديد ومن السابق لاوانه الحكم نهائياً بفشله وهو قد يكون الادب المستقبلي . . . فلماذا نخشى نحن من التجريب ؟ . انا بنت عصري ، ابتكر قالبي الجديد التجريبي رغم احتمال الفشل . . . ملحوظة اخرى : انني اجد في اقبال الناس على شراء كتاب ، مؤشراً له دلالة معينة . وقد كان اقبال الناس على « الاعمال غير الكاملة » موازياً لاقبالهم على كتبي الاولى . لا احاول ان اجعل من اهتمام الناس معادلا موضوعياً للنقد الادبي ، لكنني اقول ان رصد لهفة القراء ضرورة ، لانها تعبر جزئياً عن مناخ العصر وتساهم في تجديد بوصلة الاديب . هذا عن « الاعمال غير الكاملة » ، لكن اتهامك لا يزال قائماً ، يطال اعمالي الروائية ما بعد مرحلة « رحيل المرافىء القديمة » ، ولست الوحيد الذي يفضلني في اعمالي الاولى ، ولكن في المقابل ثمة نقاد « يلغون » اعمالي الاولى حين يدرسونني ، ويصنفونها « ادباً نسائياً » ويعتبرونني بدأت في «رحيل المرافىء القديمة » ونضجت في اعمالي اللاحقة

الروائية امثال « بيروت ٧٥ » و« كوابيس بيروت » . . . ثمة مؤشر آخر قد تكون له دلالته ، وهو قضية الترجمة . لقد لاحظت ان اعمال المستشرقين منصبة على كتبي الاخيرة ، والترجمات تفضلها على اعمالي الاولى (القصص القصيرة) ، فلماذا ؟ . . . .

انا كاتبة منفردة ووحيدة مثل فارس قديم دون كيشوتي ، لم انتسب يوماً الى حزب يدعمني ، او مؤسسة نسائية تتبناني ، او تكتل ثقافي يروّج لاعمالي ، ويزكيها للترجمة ، كما يحدث في عصرنا . اعمالي كلها التي تترجم حالياً الى لغات اخرى يتم اختيارها بفعل مبادرات ذاتية من شخص المترجمة او المترجم الذي لم التق به يوماً (باستثناء بعض قصصي القصيرة التي ترجمت ضمن مختارات من الادب السوري بتزكية من اتحاد الادباء العرب) . « كوابيس بيروت » مثلا ، تترجم الى البولونية على يدي مستشرقة لم التق بها يوماً ولم تزكني لها دولة او مؤسسة ، وهي تعمل على الترجمة لانها احبت الكتاب . الكلام نفسه ينطبق على المستشرقة التي اختارته ليترجم الى الالمانية ورشحته وزكته لدى المؤسسات الاعلامية في المانيا الغربية . وهي ايضاً باحثة لما تتح إلي فرصة معرفتها على الصعيد الشخصي . روايتي « بيروت ٧٥ » ، ترجمتها الى الفرنسية الهام غالي الطالبة المصرية (باشراف المستشرق جاك بيرك) ، ولما التق بها يوماً او اقدم لها او لسواها كتابي لهذا الغرض . اذن ، مرحلة ما بعد « رحيل المرافىء القديمة » تلقى اهتماماً نقدياً جاداً (كتاب الدكتور غالي شكري النقدي عن اعمالي : « غادة السمان بلا اجنحة » ـ كتاب الناقد نبيل سليمان : الرواية السورية ٦٧ ـ ٧٧ ـ الطبعة الاولى ١٩٨٢ ، الذي يعتبر رواية « كوابيس بيروت » تجديداً في الرواية العربية من حيث الشكل الروائي) .

باختصار ، لا يوجد اجماع على « اعدامي » اعتباراً من مرحلة « رحيل المرافىء القديمة » ، انما توجد وجهات نظر واتهامات احياناً . . . فبعض النقاد يأخذون علي انني صرت في الاعوام الاخيرة من الكتاب العرب الاكثر مبيعاً ، معتبرين ذلك دليل سهولة في بعض اعمالي الاخيرة (القابلة للانتشار) . هذا الواقع ليس تهمة ولا مديحاً ، إنما مجرد وصف لحقيقة علينا ان نتمهل زمناً ما قبل تفسير مدلولها . نعم انا رافضة ومتمردة وقلقة ، ولكن هذه الصفات لا تكفي لتلخيصي . انني « شيء آخر » ايضاً .

● بعد مرحلة من التمرد والثورة خضتها انت تحريراً للمرأة العربية من نومها ونعاسها وعبوديتها ، اين تعتقدين اصبحت هذه المرأة اليوم من خلال تجربتك أنت ، وماذا

استطاعت مرحلة التمرد والثورة تلك ان تفيد المرأة بشكـل عام ؟ هـل تحررت المـرأة حقاً ؟

ـ ثمة وهم نقدي شائع مفاده ان المحرك الأساسي للمرأة الكاتبة هو قضية تحرير المرأة . ربما كان ذلك صحيحاً في البدايات منذ نصف قرن ومـا قبل ، وربمـا كان ينـطبق على بعض اعمال زميلات احترمهن ، لكنني اكذب اذا ادعيت يوماً انني كتبت كوسيلة « غير مسلحة » اخوض بهـا معركـة « تحريـر المرأة » . . . فـأنا فنـانة اولا ، ولست مصلحـة اجتماعية ، ولا تكمن في أعماقي « فلورنس نايتنغيل » وشهواتها السامية للفداء ، ولا « روزا لوكسمبرغ » المنظرة العقائدية . انا كاتبة منحازة الى الحـرية ، احـاول ان القي نظرة على عالمنا لا تخلو من الحنان .

نعم دافعت عن المـرأة في كتاباتي ، لكنني دافعت عن المقهورين جميعاً ووقفت الى جانبها ضمن هذا الاطار ، وكجزء من كل .

لقد دافعت عن الفقراء والثوريين والمجانين والحشاشين والطبيعة والشجرة والنملة والاسرار والتقمص وسكان الكواكب الاخرى والسحرة والصيادين والعشائر والقبـائل الرحل والمجرمين والعشاق والزنوج . فلماذا لا ادافع عن المرأة ايضاً ؟

وحينما اكتب عن المرأة ، افعـل ذلك ضمن اطـار انحيازي الى الحـرية والمحبـة والحنان امام انماط الحياة كلها من نباتية وحيوانيـة وانسانيـة . وارى ان من واجب كل فنان صادق مع نفسه ان يقف مع المقهورين دونما استثناء بما في ذلك المرأة . . . اي ان مهمة « تحرير المرأة » ليست مهمة نسائية ، بل مهمة رجالية اولا . يدهشني ان الادباء العرب بوجه عام يدافعون عن الكادحين جميعـاً والمقهورين حتى في نيكـاراغوا وفيتنـام ويتنصلون من الدفاع عن المرأة ، كادحة الكادحين في الطبقات الرثة . . . لماذا الوقوف الى جانب معذبي الأرض جميعاً بطولة تستحق الاوسمة والجوائز العالمية ، والـدفاع عن المرأة يتطلب من الاديب دفاعاً عن نفسه ونصه اولا ؟ لمـاذا الوقـوف الى جانب الفلاح والعامل قضية لا يجوز ان يخلو منها الادب الثوري الانساني ، والدفاع عن المرأة قضية نسائية تخص الاديبات ؟

باختصار أرى ان مهمة تحرير المرأة تقع على عاتق الرجل ، وهي جزء لا يتجـزأ من مهمات « الثوري » المعلنة اذا كان صادقاً مع نفسه حتى النهاية .

دوماً يسألني الناس وفي اصواتهم لذعة سخرية وشماتة : هل نجحت في تحريـر المرأة ؟

وكيف ننجح في تحريرها ، والانسان العربي غير حر ؟ وكيف نفصل قضية المرأة عن مأساة الرجل العربي مع الحرية ، وكيف نعزل مشكلتها عن المشكلة الأم الشاملة : تحرير الانسان العربي ؟ لن تنال المرأة قضمة من رغيف الحرية اذا لم يكن ذلك الرغيف متوافراً للمجتمع بأكمله ، والمحاولات الساذجة لفصل قضية المرأة عن جذورها الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والدينية ستظل استعراضات حسنة النية لا تجدي .

ثمة انظمة ثورية عربية تبذل جهداً واعياً لتحسين اوضاع المرأة ضمن اطار تحرير الكادحين والمعذبين جميعاً . لكن قضية المرأة اكثر تعقيداً . وحتى اشعار آخر اجيبك باختصار : لا ، لم تتحرر المرأة العربية ، ولا الرجل ايضاً ! . .

لقد علمني الزمن التقشف في الأحلام ، وأرى الدرب طويلة جداً أمامنا جميعاً . وكلنا ساقط في فخ استلاب ما . نخطو قليلاً ونتخبط كثيراً . التناقض مع الذات يفتك بمعظم « الادب الثوري » ، حيث يدافع الاديب عن اخيه الكادح الانسان اينما كان في مختلف القارات ، ويضرب اخته الكادحة المقيمة في البيت !! . . . . كيف يستطيع الفنان ان يكون « عنصرياً » في عدالته ؟ . . . ولماذا التحدث عن العامل أدب انساني ، والتحدث عن العاملة « ادب نسائي » ؟ هل يوجد « كدح نسائي » ام ان القهر واحد والعذاب واحد ؟ ولماذا نتبنى مقموعاً دون آخر ؟

● تجمعين في كتاباتك عن الحب بين اتجاهين : الاتجاه الشهواني والاتجاه الروحي او الماورائي ، دون ان يدخل فعل الحب هذا في معادلات اللغة والنحو ، بل يبقى موقفا تعبرين من خلاله عن هاتين النزعتين في تصور واع . . اي انك بمعنى آخر امرأة لا تكتفي بالحب لذاته ، بقدر ما تتكامل في ما يسبق الحب او ما يرافقه او ما يليه من لذة وفرح وتحرر وتحقق . انت عاشقة لا تتخلى ابداً عن وعيها الروائي وتغيب في الذات الداخلية .

هكذا نقرأك ، وهكذا ننظر الى صورة غادة السمان العاشقة التي لا تهادن .

كيف تنظرين الى ثنائية الشهوة والروح المتفاعلة في كتاباتك ؟

ـ هذه الثنائية تربكني احياناً ، فأنا لا ادري حقاً اين تنتهي الشهوة وتبدأ الروح ، وارى التداخل بينهما وحشي الالتحام كما يمتد لسان البحر اللامتناهي ، عبر الشاطىء ، نحو ثنايا المغاور كلها وحنايا الصخور والاعشاب البحرية ، وسط شهقات الريح الليلية وانفاس الامواج المحمومة . وانت قد ترسم (خارطة الشاطىء) لكنك تعجز عن رسم (حقيقة) الشاطىء . . .

لن اعرف ابداً اين تقع حدود كوكب الجسد ، واين ارسم الخط البياني لمدارات الروح الفضائية . لا خط حدود بينهما ، ولا تأشيرات دخول او خروج ، لا مخفر جمركياً ينبش حقائب ذاكرتك ويصادر الممنوعات الاجتماعية التي تحملها من شهوات وأكاذيب صغيرة ولهفات غامضة شاسعة .

اليس الالتصاق بكائن مذعور آخر محاولة لكسر جدار الغربة ؟

الا يتسلل كل منا تحت جلد صاحبه بحثاً عن لحظة خلود صغيرة ، هرباً من الموت المحتوم ؟

ام ان تلك « الكلمات الكبيرة » كلها ، مجرد اقنعة ثقافية « روحانية » لشهوات بسيطة لا تقاوم بغير الاستسلام .

وثنائية التلاحم تلك ، كيف تحدق فيها بحياد ، وانت منحاز حتى العظم لذلك الجنون العذب ؟

ولأنه من غير « المستحب » ان تتحدث الكاتبة في مجتمعاتنا عن التنويعات والتقاسيم المختلفة على عود الحب الشهواني الجسدي ، ولأنني لا أستطيع تزوير الطبيعة البشرية ، ولأن هذه « الامور » وسواها تقع حتى في مجتمعنا العربي « المحافظ » ، أجدني دوماً « محشورة » في زاوية الدفاع عن النفس ، متهمة بجريمة افخر بارتكابها ، رافضة مذهب الرياء المنافق ، معلنة اني لن اؤكد في كتاباتي ان الاطفال ما زالوا يأتون داخل « الملفوفة » او بين مناقير البط والبجع هدية زواج ، وان علاقة الحب بين العزيزين نيشان وفرح - من ابطال روايتي « بيروت ٧٥ » - قضية لم اخترعها انا شخصيا انما وجدتها حولي وسواها يوم ولدت ، وذنبي الوحيد انني لا اشيح بنظراتي عنها متجاهلة اياها في كتاباتي .

وتهون المشكلة مع « تعقيدات » المجتمع ، أمام غموض ثنائية الحب الراعشة بالأسرار ، الكاشفة لبعض مفاتيح النفس البشرية المعذبة .

أحياناً اتساءل : هل ثمة ثنائية على الاطلاق ؟ هل يمكن اي فنان تحديد النسب المئوية لها في كل علاقة ، مثل عالم يرصد فئران اختباره داخل النواقيس الشفافة والأنابيب ؟

متى يصير الفراش مختبراً ، ومتى يصير كوكباً ؟

ككاتب ، متى ترصد حقاً فعل الحب ، ومتى تتحول الى شحاذ اعمى في ملكوته ؟ . . .

ماذا تملك لك اللغة امام فصول الحب المتداخلة المتبدلة آلاف السنوات الضوئية في كل ثانية عشق كثيفة ؟.

كيف تدخل بلاط الحب فاتحاً جباراً مثل هولاكـو ، ثم تجد نفسـك تهذي مثـل هاملت وتئن غيرة مثل عطيل ، وتحقد مثل شايلوك وتدمر مثل ياغو ، وتعوي حزناً على بوابات الليل العاصف مثل الملك لير ، وتستـكيـن مدهوشاً مثل طفل في دوامة مدينـة الألعاب ؟

مع الحب لن انجح يوماً في حقل التنظير . . . أمام نوافذه التي تنفتح على نوافذ ، وصناديقه المحشوة بالصناديق كل منها داخل الآخر ، تتفتح الحواس كل مـرة على دنيـا مختلفة الألوان والروائح والمذاق والمباهج والعذابـات . مع الحب ، الحـزن هو المنتصر الاول ، لا الفن !

● قلما ارتفـع صوت نسـائي حيال الاجتيـاح الاسرائيـلي لبيروت . اين كـانت غادة السمان من هذا الاجتياح ، ومن بيروت اليوم وغداً ؟

ـ من اي جرح ابدأ ؟

ليت في وسعي ان اقول لك ان المرأة لم تصنع هذه الحرب ولم تقـاتل ولم تكن في موقع صنع القرار ، ولم يسألها احد يوماً عن رأيها ولم ينصت مرة الى صوتها اذا ارتفع ، فلماذا تفتش عن صوتها الآن في معرض التشهير ؟

ليـت المأساة ضيقة لا تتجاوز الحدود المرسومة لها في السؤال . غياب « الصوت النسائي » او حضوره . ولكن ان يكون ثمة « احتجاج نسائي » او لا يكون ليست تلك هي المسألة .

من اي جرح أبدأ ؟

لقد ارتفعت اصوات الادباء والمثقفين نساء ورجالا منذ اكثر من سنوات عشر ، محذرة من هذه اللحظة الراهنة التي نحياها اليوم وغداً ، ولم يبال احد .

كأن قدر الادب العربي الصادق ان يكون صرخة في تابوت او علبة سجائر (لا في واد ، فالوديان قد تكون مأهولة وبالتالي محرمة على صوته) . . .

اذكر بوضوح مقالـة كتبها انسي الحـاج في صفحته الاخيـرة من « ملحق النهار » الاسبوعي يومئذ ، منذ اكثر من عشرة اعوام ، واظن انها كانت بعنوان « ثورة . . . بدم أو بلا دم» . وكانت تتضمن بلورة لوعي جماعي بـوجود ثغـرات خطيـرة في بنية حيـاتنا الاجتماعية ، تهدد بلعب دور فتيل التفجير ، وقد صرخ يومئذ انسي الحاج محذراً ونادى

بالحاجة الى تبديل ما ، صوب البناء لا الدمار ، وتساءل بحنان الفنان : كيف نستطيع ذلك بدون عنف ودم . . . وفي مقالة تـالية أطلق صيحـة معذبـة (وع ع ع ع . . .) بعدما سطر الكلمات العقلانية كلها ، ولم ينصت احد اليه او الى سواه حتى سال الدم انهاراً غسل الحروف والمطبعة وبائع الصحف وعدداً من الكتاب والرسامين والحناجر . .

واذكر بوضوح مقالة كتبتها في ذلك الزمـان (٧٣/٩/١٠) في مجلة « الحوادث » بعنوان « لبنان ، سويسرا الشرق ام فلسطين الثانية » تحدثت فيها عن مخـاوفي من كون لبنان «المرشح الاول ليكون فلسطين الثانية » وتجد المقالة وسواها في كتابي « صفارة انذار داخل رأسي » ـ صفحة ١٤ ـ الجزء التاسع من « الاعمال غير الكاملة » . والكتاب في مجمله يتضـمن معظم صفارات الانـذار التي اطلقتها في ذلـك الزمـان خوفـاً من « زمن كهذا » . وظلت صفارات انذار المثقفين تتوالى دون ان يكلف احد نفسه عناء الانصات اليها .

من أي جرح ابدأ ؟

كلما وقعت كارثة قومية ، يدور المحرر الثقافي على الادباء المساكين ويسألهم : ماذا تكتبون ؟

واليوم ، كلما سألني احدهم مقرعاً : « ماذا تكتبين ؟ » ، اسأله بدوري : لمـاذا اكتب ؟

ثم ان الاديب ليس نابليون ولا رومل ولا جنكيز خان ، وبدلا من سؤال الادباء اين هم من هـذا الاجتياح ، اقتـرح طرح السؤال عـلى السياسيـين وقـادة الميليشيـات و« عباقرة » التنظير والزعماء العقائديين وبعض الحكام العرب وقادة جيوشهم . .

ام ان الاديب الاعـزل « حيطه واطي » ، ولا « عصـابة » تحميـه ، ولا قبضاي « يضبع » من يقترب منه ، ومن الممكن بالتالي توجيه اي اتهام غير مباشر اليه في صيغة سؤال ، بل وعقد الندوات التي تـوقظ حسـه بالـذنب وماسـوشيته ، ارضـاء لساديـة المسؤول الحقيقي ؟ . . . وما يجب استجواب سـواه عنه ، بـل ومحاكمتـه ، يتحول الى استجواب أدبي له من باب الاسقاط ؟

متى نجرؤ على توجيه السؤال المنـاسب للشخص المسؤول حقاً ؟ متى نجـرؤ على طرح الاسئلة ـ التي نتهامس بها في ما بيننا ـ على الناس الذين لا نجرؤ حتى على الهمس في حضرتهم ؟

ربيع ١٩٨٤

ديب عماد يستجوب

● اكتشفت القسوة التي يتعرض لها الانسان حين لا يفشل .

● متى بدأت رحلتك مع القلم ؟

- بدأتها باكراً كمعظم العرب . كأن في أعماق كل عربي شاعر سري . يظل شبه صامت حتى سن المراهقة . ثم يبدأ بالتنهد والاحتجاج والتوق الغامض الى ما لا يدريه . بعض الناس يستجيب لما يمليه عليه هذا الصوت ، فيسطر كلمات شاعرية ، وبعضهم الآخر يقمع شاعره الداخلي ، وربما تتولى قسوة الحياة تأديب الشاعر وإسكاته . كمعظم المراهقين العرب مررت بتلك المرحلة ، وبدأت اكتب حين تعلمت أولى مبادىء أبجدية القلب .

تلك المرحلة الذاتية ، القلقة مثل غزال صحراوي ، لم أنشر شيئاً من حصيلتها . فقد علمتني دراستي الأكاديمية للأدب ذلك الفارق الخطير بين المشاعر الذاتية وبين الكتابة الإبداعية .

اليوم حين ألتقي بإنسان عربي (أو إنسانة) ، في سن المراهقة بوجه متورد بكلمات لم تقل ، واليد ممسكة بالقلم كما لو كان خشبة خلاص . . . أرى وجهي الذي كان . واتمنى باخلاص الا يكتم الزمان انفاس الشاعر الطفل المختبىء في محبرة .

● هل لاحد فضل عليك في إطلالتك الفكرية ؟

- إن قلت لا ، أكون كاذبة ، وإن قلت نعم اكون كاذبة . لقد عرفت في دربي الأدبية أكثر من لمسة نبل من بعض رفاق القلم، ولمست مشاركة واحتراماً لحروفي طالما تحول الى بادرة دعم ايجابية . . وسوف آتي في مذكراتي ذات يوم على اسماء الذين أدين لثقتهم بموهبتي بالكثير. ولكن لو لم تكن نار العطاء متقدة في اعماقي لخمدت مهما حاول الاصدقاء تأجيجها . لو لم تشتعل أصابعي ، برغبة العطاء لما سطرت عشرين كتاباً -

حتى الآن . . . ، ولما تفجرت الابجدية من أظافري كالشرر . . . ثمة أشياء لا يقدر أحد على منحنا إياها ، وعليها ان تنبع من أعماقنا ، وان تكون روحنا هي الوقود .

وهنا أحب ان ابوح لك بسر صغير . وهو انني مدينة بالكثير للذين حاولوا تدميري . لقد اضطروني منذ البداية لبذل مجهود خارق اتجاوز فيه نفسي . فتعلمت منذ خطواتي الاولى في درب الأدب مدى القسوة التي يتعرض لها الانسان حين لا يفشل !! . . .

لقد اتهمت ذات يوم بأن رجلاً يكتب لي قصصي . اتهموا أولا أحد النقاد ، ثم اتهموا والدي وكان رجلاً فاضلاً ورئيساً للجامعة السورية ولا يمكن له ان يتورط في عملية (تزوير) رخيصة كهذه . . . يومها نشر الخبر تحت عنوان « فضيحة أدبية كبرى . من الذي يختبىء وراء غادة السمان » وعلى طول صفحة ، في جريدة بيروتية مرموقة كانت الاتهامات القاسية تتوالى . . . وكنت بريئة وصغيرة حتى أنهم استكثروا علي ما أكتبه .

يومها تعلمت كيف أقف وحيدة في وجه الكيد والحسد والأذى ، وكيف استلهم منها قوة تزيد في زخم عطائي بدلا من ان تدمرني . . . وصرت كلما احترقت ، اغادر رمادي امرأة جديدة صفحتها النار ضد العاصفة الرعدية وصواعق التجني . حين اتصفح تاريخي الطويل مع القسوة ، أقول لك أظنني مدينة بنجاحي لأعدائي !! . . .

● ما هي أبرز كتبك ؟

ـ في نظر النقاد ، روايتي الأخيرة « كوابيس بيروت » . أما القراء ، فإنهم يفضلون فيما يبدو كتابي الشعري « أعلنت عليك الحب » ، فقد صدر الكتاب عام ١٩٧٦ وأنا اليوم أعد طبعته الثامنة ! . .

بالنسبة اليّ ، أبرز كتبي هو دوماً كتابي الذي لم أكتبه بعد . . . وحين انتهي من كتابة عمل ما ، ينتابني شعور حاد بالفراق يكاد يشبه الخواء . . . أعي جيداً ان علاقتي بالكتاب انتهت ، لتبدأ علاقته بالقارىء . . فأفارقه ، وفي قلبي الخبرات التي تعلمتها من انجازه ، وعيني على الكتاب . . . اللاحق ! .

● هل يتأثر الأديب بحياته الخاصة حتى ينطلق الى العامة ؟

ـ نعم يتأثر الأديب بحياته الخاصة ، لكن مفهوم الناس عن « الحياة الخاصة » للأديب بحاجة الى بعض الايضاح . فالحياة الخاصة للأديب هي في جوهرها الحياة العامة للوطن . . . الأحداث التي يمر بها بنو قومه ، تشكل جوهر حياته الخاصة . . . تعرض

إنسان ما للظلم يشكل جزءاً أساسياً في حياته الخاصة . سقوط المطر . هبوب الرياح . هبوط الليل الحزين فوق صدر المدينة جزء من حياته الخاصة ، مرور موكب الناس البسطاء أمام عينيه ، وأمارات الخوف او القلق او الفرح في وجوههم ، ذلك كله تجربة (شخصية ذاتية) بالنسبة للفنان الأصيل . إن انصهاره في الآخرين هو المحرك الاساسي للابداع .

● **هل تأثرت غادة السمان بحياتها الخاصة ؟وهل من قصة تذكر حولت مجراك الأدبي ؟**

ـ انا امرأة عربية ، جذورها في أرض واقعها الاجتماعي والسياسي والفكري . إنني أحمل مميزات وضع كهذا كما أحمل مشاكله وهمومه . . . في دمي خبرات قومي ونقاط ضعفهم .

هذه هي البنية الأساسية لحياتي الخاصة ، ومن هنا نجد ان (الحياة الخاصة) للفنان ليست نسيجاً فريداً إلا بقدر ما يبدع في عطائه . . . القصص التي تلعب دوراً يذكر في حياتي هي نفسها التي بدلت مصائر الآلاف من شعبي العربي الذي أنتمي اليه . . حرب ١٩٦٧ ، الحرب اللبنانية وغيرها من معارك الأمة العربية لعبت دوراً لا يمكن نكرانه في حياتي وفني . . . المزلي ان الكثيرين يفتشون عن دور رجل معين عاش في حياتي ، ولا يلتفتون لدور الرجال الذي شهدت موتهم دون ان أعرف اسماءهم . . . وكان موتهم لحياة الوطن ، أي من أجل ازدهاري الشخصي ، وازدهار الجيل الآتي . .

في هذه المرحلة التاريخية القاسية التي نعيشها ، من الظلم ان نفصل الحياة الشخصية للفنان عن الحياة العامة لشعبه .

● **ما أهمية النقد في غربلة نتاج الأديب ؟**

ـ أنا شخصياً أحترم دور الناقد في الحياة الفكرية العربية بوجه عام ، وأتحدث طبعاً عن « الناقد » بالمعنى العميق للكلمة، وهم قلة .

فالناقد يلفت أنظار القارىء الى مواطن في العمل الفني ربما لم تخطر له ببال . ومن حق القارىء ان يقتنع بوجهة نظر الناقد او يرفضها ، ومجرد عملية القبول او الرفض تزيد من الدرجة النوعية لوعي القارىء .

الناقد المبدع الذي يواكب عطاء الفنان، يمكن ان يساهم مساهمة فعلية في تغذية شجرة إبداعه، والتعجيل في تطويرها في الدرب التي سبق واختطتها لنفسها. لاأعتقد أن الناقد يمكن ان يبدل درب فنان خلّاق،لكنه يستطيع ان يعجل في مسيرته ، عبر مساهمته

في فهم الفنان لذاته . . تقول الحكمة الاغريقية : « اعرف نفسك » . والناقد الأصيل قد يساعد الفنان على ازدياد وعيه بذاته ، وبدربه ، وتلك مساهمة أخرى قيمة للناقد الجيد .

الناقد الأعظم هو الزمن ، وهو وحده يغربل الأشياء . لكن الناقد الجيد هو بشارة الزمن الآتي .

● غادة السمان ، أين هي ما قبل « رحيل المرافىء القديمة » عندها ، ومرحلة ما بعده ؟

- بالنسبة للفنان ، تتطور الاشياء بشكل عفوي وتلقائي وتتنامى . . . وحتى إذا وجدت نقاط انعطاف حادة في فنه الروائي او التشكيلي ، فهي لا تبدو كذلك لعينيه . إنه لا يتنصل من ذاته الاولى ليحل في جسد فني جديد ويتقمص حياة أدبية جديدة . . . هذا بالضبط ما يحدث لي . . . إنني لم اتعمد في اي يوم نقلة من (الذاتية المفرطة النسائية) ، نحو العام والانساني المشترك بين البشر نساء ورجالاً . . . ان الاشياء تحدث بشكل تلقائي جميل ، مثلما تسبح السمكة ، او يكتشف الطائر التحليق . . .

اين أنا ما قبل وما بعد ؟ انا حيث كنت دائماً ، عاشقة للحقيقة ، كاهنة في محراب العطاء الفني الصادق . . مستسلمة لرياح أبجدية جديدة ، أتركها تقودني الى حيث نبعها .

● كتابك « أعلنت عليك الحب » ، هل هو موجه الى رجل معين ؟

- لو كان كذلك ، لأرسلته إليه في رسالة شخصية ، فالكتاب ليس بطاقة بريدية خاصة ! الكتاب عمل فني ، وهو ليس صرخة انثوية لمجرد ان في اسم المؤلفة (تاء تأنيث) ما . . .

« أعلنت عليك الحب » هو صرخة محبة كونية قادمة عبر حنجرة إنسانية . . وكل قارىء يعيشها كما يشاء ، ينادي بها من يشاء . . . فكل عمل فني يقرأ على مستويات مختلفة ، ويخلق من جديد في ذهن القارىء بصورة جديدة ، ويتناسل ويتكاثر . . .

● يقال ان الحب الأكبر هو مما لا يكتب عنه . فما رأيك ؟

- هذا يتوقف على ما تعنيه بـ « الحب الأكبر » . فمفهوم هذه العبارة يختلف من انسان الى آخر . . . وهو ايضاً يختلف لدى الانسان ذاته بين فترة وأخرى . «الحب الأكبر » في حياتي مثلاً هو رجل اسمه « الابجدية » . وهو حب لا يجد تحقيقه إلا في الكتابة ، ولا خلاص منه إلا بالموت . .

أما اذا كنت تعني بـ « الحب الأكبر » حب امرأة لرجل او العكس ، فذلك في نظري موضوع لطيف للكتابة ، ويغني العمل الفني بزخم ملون ، كما الألعاب النارية في ليلة صيف هجرها القمر . .

بصدق ؟ بالنسبة لي ، كل ايقاع تصدره قيثارة روحي هو موضوع قابل للكتابة . . ان ولائي الأعظم هو للابجدية ، وانني اقترب منها وأنا أرتجف وارتعد كما لم أرتجف لمرور إنسان في حياتي ! . . .

هل قلت لك ذات مرة : انا امرأة نزلت ذات صباح لتسبح داخل محبرة ، فغرقت فيها ؟! . . . .

٨٥/١/٢

وصال خالد تستجوب

● لحظة الكتابة أنسى الجميع .
● لست ناقمة على الذين هاجموا كوابيس بيروت ، لكنني فخورة بنجاحها بعدة لغات .

غادة السمان ظاهرة أدبية عربية متميزة . انها الاديبة المثابرة المحترفة . وهي احدى أديبات قلائل في العالم العربي اللواتي يمتهن الانفعال عبر القلم ، وهي غزيرة الانتاج وفي كثير من المجالات (عشرون كتاباً حتى الآن وثلاثة كتب أخرى قيد الطبع) قصاصة وروائية وكاتبة مقال ـ خواطر ـ وكاتبة تحقيق صحافي ، زوجة وأم وأديبة مثقفة وصحافية وناشرة .

تقرأ بنهم وتكتب بسخاء ايضاً كلمتها حلوة وذكية وشاعرية وحرة وآراؤها جريئة الى حد الاستفزاز ومباشرة . ولكنها اذا انفعلت لم تجانب المنطق لكأنما انفعالها جزء من منطقها هذا .

سورية المولد والنشأة الأولى ، عاشت معظم حياتها الشابة في بيروت وفيها صدر معظم انتاجها الغزير .

في باريس حيث تقيم الآن التقتها « الخليج » وكان هذا الحديث الذي تجنبنا فيه الاسئلة التقليدية حول أدبها ورواياتها .

● انت الآن تعيشين في باريس ، ما هي مقدرتك على الانفصال عما عشته في بيروت ؟
ـ لا أريد الانفصال عن بيروت او دمشق او بغداد او القاهرة او الخليج او المغرب العربي وغيرها . . انا هنا لازداد اقترابا من هناك . . . بعد عشرة اعوام من الحرب شعرت انني بحاجة الى اجازة ما ، كي ارى بوضوح ، وانتمي باتقان . وعيت فجأة ان رأسي اضحى محشورا داخل فوهة مدفع . . واصوات القتال الأرعن بدأت تطرد الاصوات

الاخرى كلها من اعماقي . حينما نلصق وجهنا بالصورة اكثر مما ينبغي نعجز عن رؤيتها ، تماما كما لو ابتعدنا عنها الى كوكب آخر .

أنا هنا ، لا لأنفصل ، وانما لأحافظ على الاتصال الصحي الواعي باحداث مسعورة الدوامة ، يسقط فيها الشهداء الحقيقيون الى جانب سارقي الثورات ، كان علي ان ارحل زمنا ما كي اظل قادرة على رصد البركان بدلا من السقوط فيه واحتراق الرؤيا .

● في أدبك وصف لفترة عشتها في انجلترا وكتبت عن ذلك ، وثقافتك انجليزية ، لماذا باريس الآن ؟

ـ ثقافتي انجليزية وفرنسية ، ولكنني بالتأكيد اتقن الانجليزية بحكم دراستي الاكاديمية بشكل افضل . وهذه مناسبة لاتقان لغة ثالثة جميلة وحية هي الفرنسية .

لماذا باريس بدلا عن لندن ؟ لانني لا اعشق الوقوف على الاطلال لفترة اطول من تلك التي تستغرقها كتابة قصيدة .

اريد مدينة جديدة احبها لا مدينة قديمة أمشي داخل ذكرياتي فيها . . . احب ان اتحرك صوب الآتي لا الماضي . اترك الماضي يمضي بسلام في دورتي الدموية خبرات مضيئة ، تساهم في تعميق حاضر جديد أعيشه . . المدن كالبشر حكايا حبنا معهم تستعصي على التكرار . .

● الحرب جعلت الانسان يكتشف في اعماق نفسه مشاعر لم يكن يعرفها : الرعب ، الشجاعة ، الاقدام ، الجبن ، الخ . ماذا جعلتك الحرب تكتشفين في نفسك ؟

ـ الحرب جعلتني اكتشف مدى ولائي لقيم الحرية والديمقراطية بالمعنى الحقيقي العميق لكل ما تمثله ، وبالتالي حقدي الشرس على بعض تجار الايديولوجيا الذين مارسوا القمع باسم التحرير . أقف ضد اضطهاد الانسان تحت اي شعار مورس ذلك وأي لواء ، أرفض رياح الظلم سواء هبت من (اليمين) او من (اليسار) او من (تحت) او من (فوق) ، ايا كان التفسير او التبرير ، طائفيا او ايديولوجيا او شعريا او نثريا ، وحينما اتحدث عن « الحرية » فأنا اعنيها بابعادها الانسانية كلها بما في ذلك « المسؤولية » ، لا عن حرية فضفاضة احادية البعد كنزوة .

● اللعبة الاجتماعية انت ترفضينها ـ كما أعرف عنك ـ لما فيها من زيف وتملق . هل خطر لك يوما ان تكوني رائدة « صالون أدبي » ؟

ـ بالتأكيد لا ، وبغض النظر عن وجهة نظري في الصالونات الادبية كمؤسسة منقرضة ،

أنا شخصيا لا اميل الى « الادب الشفهي » ولا تبهرني الفصاحة الخطابية و« القفشات » المتظارفة التي تخفي في داخلها احيانا خواء فكريا رهيبا . الفنان الأصيل المبدع حرفا ، ليس بالضرورة « نجم صالون » وهو قد يكونمتلعثماً رث الثياب ميالا الى الصمت . . اني دائماً افتش عن الانسان داخل قشرته ، وعن الجوهر الأبعد من مظاهر الألوان والضوضاء . هذا كله أجده في النص المكتوب . سطر واحد مبدع يخطه انسان مجهول هو عندي مهرجان أدبي متكامل ، وهو أقرب الى نفسي من تظارف ملوك « الفهلوة » .

● **معروف عنك حبك للرسم وهذا يظهر ، في ما يظهر ، في اختيارك لأغلفة كتبك . هل لديك « نزوة الرسم » كما لدى بعض الكتاب ؟**

- لدي « نزوة التركيز » .

أحب الفنون كلها ، أعشق الرسم كما الموسيقى وسواهما ، لكنني اعتقد ان العمر لا يتسع لنحقق كل ما نحب . ايدينا البشرية قاصرة عن الامساك بكل ما نشتهي . كي نربح ، لا بد من الخسارة ، وهكذا فأنا اعبر عن نفسي كتابة فقط ، واكتفي بدور المعجبة في الفنون الباقية التي طالما اشتهيت ممارستها .

● **« ليلة المليار » رواية تنشرينها مسلسلة في إحدى المجلات وقلت في المجلة نفسها انك ضد الرواية المسلسلة ، لماذا جاء موقفك متناقضا مع ما قلته ؟**

- لأنني عبرت عن رأي شخصي وذوق ذاتي ، انا شخصيا لا استطيع قراءة اية رواية مسلسلة . انني نهمة ونزقة مع ما احب ، وحين أمسك برواية ما لا اغادرها الا بعد التهامها دفعة واحدة .

ولكن الأذواق تختلف . والقارىء هو الملك ، ويبدو ان ثمة من يقرأ الروايات المسلسلة والا لما رضيت الصحافة بنشرها ، وقد لاحظت متابعة القراء لها من بريدهم ، رغم تحذيري لهم . وللناس فيما يعشقون مذاهب .

● **لديك عمل جديد غير « ليلة المليار » هلا حدثتنا عنه ؟ وماذا فيه من جديد ؟**

- كيف تتحدث الحامل عن صفات مولودها الجديد الآتي وهو ما يزال في ضمير الغيب ؟ كل ما أعرفه هو انني اعمل وابذل كل ما بوسعي وانني اكتب رواية جديدة . اكتب ايضاً « رسائل حب باريسية » - عنوان مبدئي - وهي على سياق كتابي « أعلنت عليك الحب » .

● **غادة المرأة الكاتبة عانت كثيراً من المجتمع وعالم الكتابة وربما كان السبب الرئيسي هو كونها امرأة . الآن تجاوزت المحنة وتكرست كأديبة كبيرة ترجمت أعمالها**

الى لغات أجنبية كما حصل لكتابك « كوابيس بيروت » الذي ترجم مؤخرا الى اللغة البولونية والفرنسية والالمانية والروسية ، ما هـو شعورك الآن وبـالتالي مـا هو رأيـك بموقف الذين هاجموا « كوابيس بيروت » ؟

- كل ما حدث كان طبيعيا ومتوقعا وشكسبير نفسه وجد من يهاجمه بشراسة في عصره . فكل عمل أدبي هو حصيلة جهد بشري وهو بالتالي لا يخلو من مواطن الضعف . مع الزمن يتضح ما للكتاب وما عليه ، واذا رجحت كفة العطاء صمد العمل الابداعي .

ومـا حدث لـروايتي « كوابيس بيـروت » واجهته منـذ زمن بعيد مـع كل كتـاب أصدرته . « رحيل المرافىء القديمة » لقي نقدا قاسيا حتى من اقرب الاصدقاء كـما لقي تأييداً كبيراً من بعض النقاد . وكذلك « بيروت ٧٥ » روايتي التي ترجمت فيـها بعد الى الفرنسية باشراف البروفيسور جاك بيرك . اعمالي كلها واجهت المصير ذاته . ولم اصدر كتابا الا ووجدت من يقول انني انتهيت فيه وان الذي سبقه كان افضل . بالمقابـل ثمة من يرى ان اعمالي تمضي في خط تصاعدي . . .

انا شخصيا اعتقد ان ذلك سيستمر دائما . . . مع « ليلة المليار » وما بعدهـا كما قبلها ، وتلك ظاهرة صحية بوجه عام ، لانها تعني التفاعل مع حروفي سلبا او ايجابا لا اللامبالاة .

تسألين عن شعوري؟لكل نقد مشاعره الخاصة به ، ثمة أشخاص انتقدوا اعمالي احتـرمهم . وثمة نقـد مغرض لـه قصة داخليـة قـد اطلع عليهـا القـراء ذات يـوم في مذاكراتي . ثمة نقد بناء وثمة نقد العقد النفسية .

والمهم انني باستمرار اركز على يقيني الداخلي . واحاول الا ادع الأصوات الخارجية تـزلزل صـمود روحي وانجح في ذلـك . انصت جيدا الى النقـد البنـاء ، واتقن فن اللامبالاة بالهذر الذي يتقمص عباءة النقد . وحينما اكتب ، أرمي ببوصلات العالم كلها الى البحر ، واطير مسترشدة بحدسي الداخلي كما تتقن العصافير معرفة دروب هجراتها دونما حاجة الى مواكبة ملاح وربان ودائرة رصد جوي !

انصت جيدا لكل ما يقال حول اعمالي سلبا وايجابا واتعلم من بعضه او ارفض بعضه الآخر ، اما لحظة الكتابة فأنسى الجميع فيها . فالعمل الفني ليس ثأراً من النقاد ولا من الحياة . انه محاولة خلق عطاء جديد ، يكون بمثابة فعل حب للأجيال .

١٩٨٦/٢/٢

بيار ابي عقل يستجوب

● كل من يروج للفوضى أو الطائفية يكون اول ضحاياها .

● حررتني الصحافة من طبقتي ومن الانبهار الرومانسي بطبقات أخرى .

قبل ايام صدرت رواية غادة السمان الجديدة « ليلة المليار » ـ وفي الوقت نفسه لا تهدأ اخبار غادة السمان : طبعات جديدة من كتب قديمة . . مشاريع تتحرك . . . كتابة اسبوعية . . عمل يومي . كل هذا يجعل لغادة السمان لقباً جديداً هو « الكاتبة الأكثر نشاطاً في الأمة العربية » ، ومع هذا هل يمكن لأحد ان يأخذ على غادة السمان بعض او كل ما تكتبه ؟ غادة السمان ، كأنها تركض . . .

كتابة غادة السمان نفسها في حالة ركض دائم : مواضيع تتلاحق ، جمل تطرد جملاً تسبقها ، نقاط تتتالى ، عبارات تصرخ ، وشخصيات ، شخصيات تركض خوفاً او سعياً او هبوطاً او تسلقاً .

عالم كله يركض . ولكن لماذا تركض غادة السمان ؟ قبل ان تقرأ روايتها الجديدة ـ وهو ما سنفعله لاحقاً ـ نحمل هذا السؤال واسئلة اخرى ونطرحها على غادة السمان . . نلتقطها في لحظة ، قبل ان يولد المشروع الآخر ، وقبل ان يصدر الكتاب الآخر ، وتصبح الكتابة عن الصادر حديثاً او السؤال حوله « موضة قديمة » . . .

● « ليلة المليار » هي اول عمل روائي يصدر لك منذ « كوابيس بيروت » . . . وهذا الواقع يفاجيء الذي سبق ان دهش خلال السنوات العشر الاخيرة بسبب الطبعات المتلاحقة لأعمالك القديمة ،والانتشار المدهش للسلسلة التي اصدرتها في تلك الفترة « الاعمال غير الكاملة »،حتى خيل له ان هناك رواية لك تكتب كل يوم . حدثينا : لماذا كتبت « ليلة المليار » وكيف كتبتها ، علماً بان العمل الروائي يحتاج الى

تركيز زمني ومكاني . . . وانك عشت خلال السنوات الاخيرة مشردة بين المدن والبلدان ، مستعيدة بهذا تقليداً قديماً عرفت به ؟

ـ لماذا كتبتُ « ليلة المليار » ؟ بل لماذا كتبت منذ البداية ؟ لماذا ارتكبت هذه الحماقة الشهية التي لا شفاء منها الا بالموت ؟ لم اعد ادري بالضبط. ثمة لحظات اشعر فيها بان سجيناً يجهل النطق يقطن في اعماقي ويعوي بلا صوت . زنزانته جسدي . وانا متواطئة معه ، واشتهي اطلاق سراحه . انه سجين لا يؤمن جانبه . مجنون حتى الطفولة لا يشبهني من الخارج . شرس . بريء . اظافره شفرات . متوحش . يكره التملق واللعبة الاجتماعية والاقنعة . لا اصدقاء له ولا شجرة عائلة ولا مظلة . يتحرك بين الحلم والكابوس ، ولا نظارات سوداء تقيه نظرة عينه الجديدة دائماً . لا يطيق تسمية الاشياء بغير اسمائها الحقيقية ، ويكره الخلط الدائم بين « البطل » و« الأرعن » . يمد لسانه لمعظم ما تعارف الناس عليه من مسرحيات هزلية وطقوس ومؤسسات ، ويمضي الوقت في قرض كمامته وقيوده ، وقد يمزق جدران زنزانته ويصير خطراً اذا لم امنحه قلماً وورقة . وهو يرضى بها كبديل بائس عن الحرية . . .

لماذا اكتب ؟

اذا طرحت هذا السؤال على سجيني ، فسيقول لك انه ليس متأكداً من شيء . « فالفنان لا يستطيع ان يتحدث عن فنه ، الا بقدر ما تستطيع الشجرة ان تناقش في الهندسة الزراعية » على حد تعبير جان كوكتو .

اعود فأبث سؤالك على طبقة ارضية اخرى في قاع التربة الزلزالية لأعماقي . . . وموجة اخرى . . .

لماذا كتبت « ليلة المليار » ؟ لأنني كتبت « بيروت ٧٥ » فـ « كوابيس بيروت » ، وظللت اشعر انني لم اسبر الجانب الآخر للجحيم ، المكمل لحصار الانسان العربي . فحصار بيروت في نظري لم يكن غير الارتسام الاخير على شاشة الاحداث ، لمن سبق ان حوصروا قبل ذلك . « حصار بيروت » لم يبدأ حقاً بالغزو الاسرائيلي ، وما كان ليصير ممكناً لولا الحصارات الاخرى المكملة له والمتحالفة معه بقصد، او بحسن نية وسوء تصرف . الذين حاصرتهم اسرائيل في بيروت كانوا محاصرين قبل ذلك بزمن بعيد وتحيط بهم دوائر لامرئية من الزنزانات العربية التي تحاصر الشعب العربي في غير قطر ، هذا بالاضافة الى حصار الشخصية العربية لذاتها ببعض رواسب عصور الانحطاط في اعماقها ، وغير ذلك من فسيفساء التخلف .

هـذا الحصار المـركب احسسته بحـاجة الى فضح . الحصار بـالطائفيـة . الحصار بالقمع . بحرب الانانيات . بالصغائر . بـالافتقار الى الـروح الديمقـراطية . بـالسحر بمعناه العتيق ، وبالشعوذة السياسيـة المسرحيـة . بالتخـدير بـأنواعـه كلها ، بـ « السم الابيض » وبالبنج الفكري وغيرها من قوى استلاب الذات العربية ، وتلك الحرب التي يخوضها «خليل» احد ابطال « ليلة المليار » في جبهة الغربة كما في جبهة الوطن ، تقع لأن الحصار بالدرجة الاولى صناعة عـربية يـروج لها بعض الـذين فقدوا صحـوهم او ضمائرهم . .

تسألني كيف استطعت كتابة « ليلة المليار » في احضان الغربة ؟ . . .

التشرد خصب . . .

الاستقرار يخدرني بالاشياء اليومية الأليفة . التشرد يوقظني عـلى حقيقتي . يجرني من شعري كل صباح ويسمرني تحت شلال الوحشة البارد فأصحو .

في باريس ، عرفت استقراراً نسبياً داخل طائرة الرحيل، فانتهزت الفرصة لاعادة كتابة « ليلة المليار » واستغرقني ذلك العام الماضي بأكمله . .

في باريس ، اعلق قلبي على مشجب المساء ، واتركه ينتحب هناك طوال الليل ، وفي الصباح اسجل اقواله في المحضر ، واهجر صديقاتي لأتفرغ لذلك ، واخون احبائي مع ابطال قصصي .

التشرد خصب ، معه اضطر للعمل في كل لحظة بدلاً من التسكع والعبث اللذين يروقان لي . . . واكتب لكي اعلق شمساً على جدران اليأس بدلاً من لوحـات الشقق المفروشة الموسخة بالغم والسعال . . . .

في الغربة ، اخاف ان يطلع الصباح ولا يجد نافذتي . بالكتابـة اترك لـه علامـة يهتدي بها اليّ كساعي بريد يحمل الضوء الى انفاق الفنادق الكريهة .

مـع التشرد تـزدهر الـذكريـات المخضبة بـرائحة زهـر البـرتقـال واليـاسمـين ، واللحظات المغسولة بعسل الحب . . وتنبت اشجار الصنوبر والزيتـون في جحـر المنفى حين اكتب ، ولا يدهشني ان اجد وسادتي قبل النوم مغـطاة بالـوزال ودويكات الجبـل (والشقشقيق النعمان) .

مع الكتابة ، يكف نهر السين الذي اراه من نافذتي عن التمدد في القاع جثة زرقاء هامدة ، وينهض من قبره ويمشي مرحاً حتى مصباته . .

حـين اكتب في الغربة، اكف عن الخـوف من الذهـاب الى النوم وحيـدة ، وانا

اعرف ان الكوابيس تنتظرني داخل غرفه السرية ودهاليزه التي تنفتح على دهـاليز . . . وربما لذلك اكون في تشردي اكثر قدرة على التـركيز الـزماني والمكـاني لأحمي نفسي من الجنون والموت قبل ان احمي عملي من التفكك ! . . .

● **نـأتي الى « الأعمال غـير الكـاملة » هـل تـراهـا اكتملت ؟ ومتى مـذكـرات غـادة السمان . . . ومراسلات غادة السمان ؟**

ـ « الأعمال غير الكاملة » لم تكتمل . أعمـل حاليـاً على الجـزء الثالث عشر منهـا وهو كتاب : « البحر يحاكم سمكة » ، وسيصدر مع الطبعات الخامسة لـلأجزاء الاولى من السلسلة .

وأعمل ايضاً على الجزء الرابع عشر ـ وربما الأخير ـ منها ، وهو كتـاب « قراءات لحفلي التأبيني » وهو مجموعة دراسات نقدية حول اعمالي تمتـاز بأنها لامست جـوهرهـا بتفهم حي . لماذا اريد ان اختم « الأعمال غير الكـاملة » بعمل لم أخط حـرفاً فيـه هو « قراءات لحفلي التأبيني » ؟

لأنني اريد موتي وردة مكبوسة داخل كتاب ، اجففها بنفسي واحفظها على النحو الذي يروق لي .

اريد ان اكون سيدة موتي الذي وعيته دائماً ببساطة ، كما كنت سيدة حياتي حتى الآن . . . ولأنني حاضرة في موتي ، فمن لديه كلمة فليقلها الآن أو ليصمت الى الأبد . لا اريد لـ « قراءات حفلي التأبيني » كلمات يفوح منها (نفتالين) المناسبات ، منخورة بسوس المنابر التقليدية ، وصدأ الاسنان والتكرار ، وعناكب الشفاه المقددة !! . . . في « قراءات لحفلي التأبيني » اشعر وكأنني اخيط كفني بالفكاهة والجنون ! . . .

كلمة اخيرة حول « الأعمال غير الكاملة » ، نبهتني اليها ملاحـظتك في السؤال الأول حـين قلت عن قارئي « خيـل له ان هنـاك رواية لـك تكتب كل يـوم » . هـذا الانطباع ليس خاطئاً . فالأعمال غير الكاملة ليست كلها مجرد قصاصات صحافية كـما توهمتها انا ايضاً في البداية . انها تضم مجموعة قصصية لم تنشر بأكملها من قبل في كتاب هي « زمن الحب الآخر » ومسرحية «الطوفان » كما تضم كتـابين جـديدين كـل الجدة كتبتهـما قبل وخـلال عملي عـلى السلسلة ، ولم انشـرهـما قبـل ذلـك حتى في الصحف والمجلات وهما « اعتقال لحظة هاربة » و« الحب من الوريد الى الوريد » ولم يخطر في بالي قبل الآن ان اذكر ذلك لأنني لا اتعامل مع الكتابة والقـارىء بـ « فواتـير » ، والكتاب السيء لا يشفع له انه لم ينشر من قبل في مجلة او جريدة ، كما ان النشر في الصحافة لا

ينتقص من قيمة الكتاب الجيد في عين القارىء . . . ومعظم الكتابات الابداعية شبه المعاصرة والمعاصرة نشرت في صحف قبل جمعها في كتب، وحتى كتاب البؤساء لفيكتور هوغو، ومعظم اعمال دوستويفسكي ونورمان ميلر ونجيب محفوظ مرت بالدرب ذاتها . .

وهكذا ، حين اصدرت « اعتقال لحظة هاربة » و« الحب من الوريد الى الوريد » واضفت اجزاء جديدة الى « السباحة في بحيرة الشيطان » و« زمن الحب الآخر » لم يخطر ببالي لفت الانظار الى ذلك او نشر هذه الكتب خارج السلسلة . الكلام ذاته ينسحب على كتابي « البحر يحاكم سمكة » الذاهب الى النشر . اجزاء كبيرة منه كتبت في الثمانينات ولكنني لم اشعر ان نشره في السلسلة ينتقص من قيمته او يزيد فيها . فالمحصلة في جوهرها واحدة ، بعد اعوام سأموت ، وسيضطر دارس ادبي الى اعتبارها وحدة متكاملة .

اما مذكراتي فلا اشعر بعد بالحاجة الى كتابتها . وسأفعل بالتأكيد حين تنتابني رغبة كهذه ، وسأكون صادقة حتى الثمالة فيها ، وأطمح الى ان تكون مرآة عن زمني وشاهداً على عصري لا على حياتي الشخصية فقط . . .

مراسلاتي لن انشرها ما دمت وأصحابها احياء . فالذي يكتب لي رسالة يوجهها الى صدقي لا الى الخلود . ولا حق لي في افشاء سرية عالم عهد به صاحبه الي . لدي رسائل من زملاء ومبدعين كبار في انسانيتهم وفي اعمالهم ، ورغم القيمة الفنية الخارقة لها لا اسمح لنفسي بالاقدام على نشرها . . . وتظل للعواطف الشخصية الذاتية حرمتها عندي . حين نموت ويمر الزمان يبطل المفعول (الفضائحي) لرسائلنا المتبادلة وطعم اغمائنا على الورق ، وتبقى القيمة الأدبية فراشة تطير عن بقايا هياكلنا العظيمة . . . وهذا توقيت نشر المراسلات الأدبية في نظري . . . الا في حالات خاصة تراعي هذا الاعتبار الانساني الشخصي الأساسي .

● يرى بعض النقاد ان كتاب « الجسد حقيبة سفر » الذي صدرت طبعته الثالثة مؤخراً ، وهو احد الاجزاء الرئيسية في اعمالك غير الكاملة ، هو واحد من اجمل الكتب الصحافية وأغناها من بين الكتابات الصحافية العربية . والحقيقة ان كتاب « الجسد حقيبة سفر » وبقية كتب « الاعمال غير الكاملة » تكشف لنا انك اعطيت من جهدك ونتاجك قدراً كبيراً للصحافة . . كيف تعاملت مع هذه المهمة ؟ . . . اين تنتهي الصحافية وتبدأ الأديبة في حياتك ؟

ـ لا حدود فاصلة حقاً بينهما ، كعاشقين في لحظة عناق . . . اراضيهما متجاورة ، بلا

اسلاك شائكة ، والرياح تهب بينهما بلا تأشيرات دخول ، والبحر نفسه يغزو مغاورهما وشطآنهما . . .

اشعر احياناً انني مدينة لعملي في الصحافة بأكثر مما يبدو لي ولسواي . لولا مقالاتي الصحافية المجموعة في كتاب « الرغيف ينبض كالقلب » لما كانت روايتي « بيروت ٧٥ » و« كوابيس بيروت » . فمن اجل تحقيقات « الرغيف ينبض كالقلب » ذهبت الى اصقاع لبنان ، منطقة بعد اخرى ، وحين خذلتني الدروب المعبدة الى الناس العاديين والبسطاء ركبت الحصان في وادي قنوبين وتابعت جولتي في ذلك الوادي خرافي الجمال المحروم من طريق . وفي تحقيقاتي عن بيروت في الفجر ذهبت الى المعذبين في الأرض ، في المسلخ لحظة ذبح اللحوم والأحلام ، والى الصيادين والى الفقراء والى احشاء المدينة بسحرتها ومجانينها وثوارها ومعذبيها وجلاديها الصغار . . . وكانت حصيلة ذلك احساسي العميق المفاجىء : هذا وطن مرشح للانفجار . . . وقد ترجمت ذلك الشعور روائيا في « بيروت ٧٥ » و« الكوابيس » ولولا « الجسد حقيبة سفر » ، وتجربتي مع الغربة لما كانت « ليلة المليار » التي تدور احداثها داخل نبض الوطن وبعيداً عن ارضه .

لقد عملت كاستاذة جامعية في بداية حياتي العملية ، لكنني اشعر ان عملي في الصحافة هو الاضافة النوعية الى كمية الوعي في حروفي . . . فالشهادة الجامعية قد اهلتني لكتابة « مواطنة متلبسة بالقراءة » وهو مجموعة دراسات نقدية ادبية ، بعين عربية لا تشعر بالنقص امام ثقافات العالم ، لكن عملي في الصحافة منحني الفرصة للخروج من طبقتي وملامسة هموم الآخرين والانفتاح عليها دونما افتعال . . . وعبر هذه المعايشة اليومية وعيت انتمائي الحقيقي . لقد حررتني الصحافة من طبقتي ، لكنها ايضاً حررتني من الانبهار الرومانسي بطبقات اخرى !

ولعلي من اكثر الأدباء احتراماً للصحافة ، لأنني مارستها من الداخل ، وأجد ان الصحافي المبدع ليس اقل عطاء من الكاتب . صحيح ان الأدب (يبقى) والموضوع الصحافي (يحترق) ، ولكن مفهوم هذا الاحتراق بحاجة الى بعض التأمل . . .

فالتحقيق الصحافي الجيد هو (فن) مكتوب على بياض قلوب القراء ، وقد يؤثر في سلوكهم فيتحول الى افعال وحقائق معاشة ، ويبدل في مجرى التاريخ . . . وبذلك يكون الصحافي المبدع هو الجندي المجهول في حقل الكتابة . . . لأنه يسطر ابداعه في سلوك معاصريه دون ان ينال اوسمة الادباء . . .

● **نعود الى الرواية الاولى بعد « بيروت ٧٥». أعني « كوابيس بيروت » التي ترجمت**

وتترجم الى العديد من اللغات ، والتي صدرت في طبعات عديدة حتى الآن . . . آخرها الطبعة الخامسة هذا الشهر (ومنها الترجمة البولونية التي وزعت على نطاق تجاري واسع منذ الطبعة الاولى) والترجمة الروسية ـ ٥٠ ألف نسخة طبعة اولى ـ انها مناسبة لاستعادة هذا العمل الذي طرح نقاشاً واسعاً في الاوساط الثقافية العربية . . . ويذهب البعض الى اعتباره العمل الذي به انتهت مرحلة مهمة من نتاج غادة السمان الأدبي ؟

ـ بعض الادباء يعتبر كتابي « ليل الغرباء » العمل الذي انتهت به مرحلة مهمة من نتاجي وبعض الاصدقاء يعتبرني بدأت في رحيل المرافىء القديمة . مرحلة بدأت . مرحلة انتهت . أنا شخصياً لا افهم بالضبط هذه التعابير ، وعلاقتي بها كعلاقة طائر النورس بالبوصلة . بالنسبة للكاتب ، علب (المراحل) ليست صفاً من الصناديق البريدية المتراصة جنباً الى جنب والمنفصلة ، ومع كل كتاب يبني صندوقاً اضافياً له قفله . . . أحس أعمالي كلا واحداً ينمو باستمرار ويمشي ، خطوة الى الامام ، وربما الى الوراء ، لكنها المسيرة ذاتها . . .

● **انت كاتبة الحب العربية المعاصرة بامتياز ، هل تعشق غادة السمان لتكتب ، ام تكتب لتعشق ؟**

ـ استطيع ان اعشق ولا اكتب ، واكتب ولا اعشق .. مع الكلمة ، ليست أجسادي هي التي تروي حكاياها ، بل تقمصاتي . احياناً يخيل اليّ انني اعشق الحب واكره الحبيب . فالحب يطلق سراحي ، والحبيب يقيدني . . . كأن الحب حالة وجد كونية ، والحبيب شاشة يرتسم عليها ذلك الاصطخاب البحري الداخلي . . . ولعلي عبرت عن هذا الاحساس في كتابي « الحب من الوريد الى الوريد » في الصفحة ١٠٨ « عاشقة شريرة » والصفحة ١٢٦ « آكلة لحوم . . . العشاق » والصفحة ١٠١ « نموت ثم نحتضر » وسواها . . . ولكنني لست متأكدة من ذلك ! . . . .

● **هنالك بين الصور الكثيرة للمرأة في زواياتك صورتان تلفتان النظر : الاولى هي المرأة العربية والشرقية المعذبة المسحوقة تحت نير التقاليد والتي تختار العصيان وتتلمس طريق التحرر كما في قصة « عذراء بيروت » . اما المرأة الثانية التي عبرت عنها بكثير من الجرأة فهي المرأة الماجنة التي تحمل حقيبتها متنقلة عبر الفنادق والمطارات والمغامرات ، والتي لا تضعها ظروف حياتها المترفة في مواجهة مباشرة مع المجتمع ونظام القيم السائدة .**

ـ انا كاتبة قصة ، وبالتالي أرسم الواقعي وليس المثالي ، واشير الى درب الخلاص دون

السقوط في فخ المواعظ . فالقارىء الذي يفتش عن موعظة يعرف اين يجدها ، وبالتأكيد خارج عمل روائي . . .

ان انعكاس هزائمنا على الواقع العربي ليس جميلاً دائماً . . والنساء لسن قديسات في اعمالي لأنهن لسن كذلك في الحياة . .

وعبر تعاطف القارىء او استنكاره أحاول ان ألفته الى تلك (الطاقة النفطية) الخام الملقبة بالمرأة العربية والتي لم توظف بعد في بعض اقطارنا لخدمة اهداف الأمة. وأنا ببساطة اعتقد ان تحرير المرأة يقع على عاتق الرجل والمرأة معاً . . ويخيل اليّ انه لا خلاص للمرأة خارج تحرير الانسان العربي ككل . ومن هنا لا أميل الى فصل كفاحهما ، بل اجد في اتحاد مظلومي المجتمع نساء ورجالاً ، مؤشر وعي إيجابي . أحاول ايضاً من خلال نسائي المترفات ان ارسم حقيقة : ان انتزاع الحرية كحل فردي وذاتي خارج اطار المجتمع الواقعي هو حالة مأساوية شبيهة بالتخدير وتسبب حتى لصاحبتها الماً بالغاً . . . ولا مفر من الانصهار في قناة جماعية لتحرير المضطهدين جميعاً وعلى رأسهم المرأة العربية .

بطلاتي بخيرهن وشرهن هن الارتسام الصادق للواقع العربي في مرآة قصصي ، ومن لا تعجبه الصورة ، فالرجاء الا يلوم المرآة ! . . .

● **الى اي مدى اردت كتابتك مواجهة للتقاليد ، وتمرداً على الصيغ المتحجرة والذهنيات المحنطة ؟**

ـ الى ابعد مدى ممكن . ان التمزق في بنية النسيج الاجتماعي العربي لم تعد تطاق ، بين اسمال بعض ماضينا ، ورقع بعض حاضرنا . لا بد من صحوة اصالة خارج رقعة الرياء .

● **ما هو مفهومك للحرية ؟**

ـ كمفهومي للشعر : اعرفه حين يحضر وحين يغيب . . . أوافق احد ابطال « ليلة المليار » حين تحدث عن تعريفه للحرية وقال « حاولا ارغامي على شراء منشور فرفضت وطردتهما حتى قبل ان اقرأ اسم المنشور والجهة التي طبعته والافكار التي يحملها . لم يكن في مقدوري ان ارضى يوماً بأساليب القمع للترويج حتى للحرية نفسها . . لم يكن في مقدوري ان ارضى بالاساليب الفاشية وسيلة لنشر افكاري او افكار حلفائي او الذين اؤمن بهم . . . وتصادف ان كان المنشور يخص (اصحابي) ! كنت لا اعرف كيف اعبر لغوياً عن ذلك الشعور بالمهانة حتى المرض العضوي حين ينتهك شخص ما حريتي . لو

سألني احد : ما هي حريتك ؟ لما عرفت ماذا اقول . . ولكنني اعرف دائماً حينما يمسها احد بسوء او يحاول سرقتها مني . . . وأظن ان هذه هي حال البسطاء مثلي مع الحرية » . . .

● **«رحيل المرافىء القديمة» مجموعة قصصية جاءت على اثر نكسة حزيران ١٩٦٧ لتضيف بعداً جديداً الى نتاجك ، فكانت بداية توجه اكثر التزاماً من زاوية سياسية ، لكن دائماً بهذا الايقاع الكابوسي الكافكاوي الذي يفضح التخلف والعجز العربيين . أين انت فيما تنشرين من الواقع العربي ؟**

ـ أنا قطرة صغيرة في الدورة الدموية للواقع العربي . اقع في داخل الجرح ، وما يقع لأشجار طنجة او اطفال الخليج او المذابح فيما بينهما ينعكس على حروفي دونما أي اقسار من الخارج ، لأنني اقطن الداخل . . . أجد علاقة الانسان مع الوطن قصة الحب الحقيقية الكبيرة ، و« الحياة الشخصية » له بالمعنى العميق للكلمة . . وقد ارتبطت وجدانياً بالمستشرق الروسي الكبير فلاديمير شاغال حين وجدته ضبطني متلبسة بهذه الحقيقة عبر حروفي ،وحين كتب يقول اثر ترجمته لاحدى قصصي (الساعتان والغراب) متحدثاً عنها لوكالة نوفوستي عام ١٩٨٤ : « مثال ساطع على توجه الأدب العربي الى مواضيع جديدة تولدها التحولات الاجتماعية . وقصة الحب والواجب هنا تختلف عن القصة العربية التقليدية . ويؤكد ابطال القصة ان الحب لا يسعد الانسان الا اذا استند هذا الشعور الى اساس راسخ من الوحدة الروحية والوطنية . ونجحت الكاتبة في ايجاد شخصية جذابة للثوري العربي الشاب (فضل) الذي يناضل من أجل التحولات الاجتماعية وتحقيق حياة أفضل » .

ان نظرة سريعة الى أعمالي لا تكشف هذه الرؤيا ، لأنني لا أتقيد بالصيغ القصصية التقليدية في طرح الموضوعات المشابهة . بطلة هذه القصة مثلاً شابة ثرية تعيش في جنيف ومن نسل السلاطين . للوهلة الأولى يرى الناقد المتعجل انه امام نموذج (بورجوازي) تجب بالتأكيد مكافحته . . . وهذا ينسحب على معظم مواقفي من الواقع العربي الأليم . . . انني اقف الى جانب كفاح الناس من أجل الحرية والعدالة والعيش بكرامة على أراضيهم لكنني لا أفعل ذلك ضمن اطارات تقليدية . انا كاتبة قصة لا ببغاء شعارات ، وعلى هذا الضوء اتمنى ان تقرأ « ليلة المليار » .

● **يبدو ميلك الى كتابة القصة القصيرة غالباً على ميلك الروائي . حتى رواية «بيروت**

٧٥ » يرى البعض انها من حيث البنية مجموعة من القصص القصيرة التي تتلاقى وتتوحد في اطار عام .

ـ تختلف الآراء حول اعمالي كلها ، وهذه ظاهرة صحية لا تقلقني . مجموعتي القصصية « ليل الغرباء » مثلاً نقدها الكاتب الكبير محمود امين العالم كرواية لأنه وجد فيها وحدة روائية . . . وكان على حق الى حد بعيد . . . وأعتقد ان السبب في تباين الآراء الى هذا المدى بحيث يجد البعض في قصصي القصيرة رواية ، او في روايتي قصصاً قصيرة يعود ببساطة الى انني لا اكتب اعمالاً تقليدية مألوفة ، والصيغ الجديدة التي احاول خلقها تحتاج باستمرار الى نقد حي ديناميكي يواكبها . .

ولعل ذلك ما فعله الناقد السوري نبيل سليمان في كتابه عن القصة السورية ، حين اعتبر « كوابيس بيروت » واحدة من ثلاثة أعمال طليعية تعتبر مجددة للشكل الروائي في القصة السورية . « بيروت ٧٥ » وجدت في الناقد المصري غالي شكري من ينصفها في كتابه « غادة السمان بلا أجنحة » ويترجم بنيتها الروائية ، وكذلك فعلت الدكتورة الهام غالي في اطروحتها للماجستير باشراف المستشرق الكبير جاك بيرك ، حين اختارتها موضوعاً للترجمة والدراسة . وفي كتابها « غادة السمان ، الحب والحرب » الذي يصدر قريباً في بيروت ، (ترجمة اطروحتها للدكتوراه) عن دار الطليعة امتداد للموقف ذاته .

بعد ذلك كله ، اعترف لك كصبي مذنب ضبط متلبساً بقطف التفاح والتين عن الاشجار : نعم ، احب كتابة القصة القصيرة . ولكن الأفكار هي التي تختار الجسد الذي تحل فيه ، ويناسبها ، فالشكل امتداد للمضمون .

● نصل الى بيروت، فهي المدينة التي حضنت بعض نتاجك المهم، كما ان احياءها وناسها وأمكنتها كانت ديكوراً لشخصياتك ومسرحاً لأحداث قصصك . من ناحية هناك علاقتك الشخصية ببيروت أنت التي أتيتها من دمشق مثل بطلة قصتك « لا بحر في بيروت » . من ناحية ثانية ، هنالك نظرة عامة الى المدينة التي تتوزعها الدوامات وتمزقها الصراعات الاجتماعية . فقد رأيت انهار الدماء في شوارعها وقبل اندلاع الحرب الأهلية في روايتك « بيروت ٧٥ » ، حيث يهرب بطلك « فرح » من مستشفى الأمراض العقلية سارقاً لافتة عليها اسم « مستشفى المجانين » مستبدلاً بها اللافتة التي تحمل اسم بيروت على مدخلها . . ثم عدت فعشت سنوات الحرب ، ودونت كوابيسك فيها . .

ـ ثم عدت وعشت حروبها الباقية ، ودونت « ليلة المليار » . . . وغادرت بيروت بحـراً اواسط صيف ١٩٨٤ وأنا اشعر انني بحاجة الى اجـازة من الجبهة كـأي مقاتـل مزقتـه النيران . . ولم أكن أحمل معي غـير مخطوط روايتي « ليلة المليـار » في حقيبة بللتهـا مياه البحر ، وفي الحقيبة الأخرى كنت احمل جثة حلم ، ثقيلة كحجر القبر .

على الصعيد الشخصي جئت ذات يوم الى بيروت لأنها كانت تمثل لي ارضاً عربية ما تزال تطيق هبوب الحرية ، ولمسة الديمقراطية . . . وقد احتضنتني بيروت يـوم رفضني الجميع ، وأخذتني الى صدرها كما أخذت الكثيرين من المنبوذين من قبلي وبعدي . . . وسأظل ابداً أحمل الوفاء لها ، وسأظل ارفض صلبها على أخشاب الطائفية والعشائريـة واهواء لوردات الاقتتال ومصالحهم الآنية .

عـلى الصعيد الفني ، حـاولت في « ليلة المليار » الاشـارة الى الخلل الأساسي في المعادلة ـ المأساة : كل من يروج للفوضى او الطائفية او القمع يكون اول ضحايـاها . ولا خلاص لأحد الا عبر نفق الحرية والممارسات الديمقراطية الحقيقية .

بيروت ؟

أكتب حـالياً (داخـل رأسي) روايـة جـديدة ، الاسم المبـدئي لهـا « الـروايـة المستحيلة » وهي امتداد لولعي بالقصة (الباراسايكولوجية) كما قدمتها منذ عشرة اعوام ونيف في قصة « أرملة الفرح » فـ « السباحة في بحيرة الشيطان » ، والهم اللبناني ما زال يقطن الرواية . . . كأنه أضحى هاجسي . . .

يخيل اليّ ان فـرح ، بطل « بيروت ٧٥ » ما زال يركض كل ليلة على تخومهـا هارباً من « العصفورية » ليقتلع لافتة « بيروت ترحب بكم » التي كانت ذات زمن غابر على مدخلها ، ويدق في موضعها لافتة « مستشفى المجانين » . . .

فمتى يكف مسكيني فرح عن ذلك ؟

ربيع ٨٦

ابراهيم العريس يستجوب

● الحقيقة جارحة ، ما ذنبي ؟

بعد عشرة اعوام على « كوابيس بيروت » تخبط غادة السمان خبطة اخرى ، وتقدم رواية هي اشبه ما تكون بناقوس الخطر . ويأتي نشر «ليلة المليار» في الوقت الذي تصدر طبعات رابعة وخامسة وسادسة لكتبها الاخرى ويترجم بعض اعمالها الى لغات عدة .

« ليلة المليار » كـ « كوابيس بيروت » ، رواية تنطلق من الحرب اللبنانية ، لكنها تختلف عن الاولى في كونها رواية شخصيات بينما كانت الاولى رواية مواقف والم وعذاب . وفي « ليلة المليار » تعود غادة السمان الى العالم وانـاس الحياة ، بما في دواخلهم من نزعات متناقضة ومختلفة ، وتصفهم بعضهم في مواجهة البعض عارين أحيانا ، مقنعين حتى التخمة احياناً اخرى ، وتروح من خلالهم تكتشف عالم المجتمع والصعود والهبوط ، وترسم الصورة التي بها تفعل الاحداث والمطامع والاهواء في حيوات الناس . بهذا المعنى يمكن النظر الى « ليلة المليار » على انها عمل ادبي كبير . غير ان هذا لا يكفي ، اذ ان غادة السمان لا يفوتها هاهنا ان تشتغل على الشكل الفني (او على الاشكال الفنية ، لان لا شكل فني واحد في « ليلة المليار») من تيار الوعي المتدفق ، الى اسلوب الحكواتي الحيادي ، الى اسلوب الامتزاج العاطفي بالشخصيات ، الى اسلوب الراوي المتورط ، الى الاسلوب البوليسي في حبكة تنتهي كفكاهة سوداء على النمط الانكليزي .

حول «ليلة المليار» ذات الأربعمائة صفحة ، كان هذا الحوار مع غادة السمان . . . حوار انطلق من الرواية الجديدة ، ليتناول بعض الهموم الأدبية والخاصة التي لا تكف عن اغراق غادة السمان في بحيرة القلق والانتظار .

● غادة السمان ، ماذا تكتبين حالياً ؟ نعلم انك انتهيت من نشر روايتك الجديدة

« ليلة المليار » في كتاب . . ماذا بعدها ؟

ـ أعمل على كتاب جديد هو « اشهد انني احب »* . واكاد انجزه ، وانوي نشره في حلقات اسبوعية او شهرية قبل جمعه في كتاب ، وهذا العمل يشبه بنمطه كتابي « اعلنت عليك الحب » .

اعد للنشر كتاب « البحر يحاكم سمكة » وهو الجزء الثاني لكتابي « القبيلة تستجوب القتيلة » ، وحين انجزه سأحضر كتاب « الأعماق المحتلة » ويضم مجموعة كتابات منشورة لا اريد لها ان تحترق . . . ومن يحيا فترة في بيروت تحت امطار القصف المتوحش ، يفهم خوفي على اوراقي الهشة ، العاشقة لعناق النيران . . . لقد احترقت مكتبتي في بدايات الحرب ، واستطعت جمع بعض اعمالي من (ارشيفات) المجلات والصحف ، واصدرتها في كتب منها « الجسد حقيبة سفر » و« كتابات غير ملتزمة » و« زمن الحب الآخر » و« السباحة في بحيرة الشيطان » وسواها . . اما اليوم ، وانا ارى (ارشيفات) المجلات تحترق واحدة تلو الاخرى ، والمباني الصحافية تسقط فريسة للقصف والدمار ، اشعر بأنني ملاح وحيد تغرق سفينته وعليه ان ينجو بأوراقه بنفسه . .

ماذا بعد « ليلة المليار » ؟ رواية جديدة تتجمع خيوطها كالسحب النارية في أعماقي ، ولا أظنني سأجد الوقت (لارتكابها) والعمل عليها قبل أوائل الربيع الباريسي المتجلد .

● **« ليلة المليار » تتحدث عن الحرب اللبنانية بطريقة مختلفة عن « كوابيس بيروت » . . . ما الذي تغير ؟ ولماذا رواية أخرى عن تلك الحرب ؟**

ـ بصدق : لا أدري .

استطيع ان اسوق اليك عشرات الأعذار المنطقية والتفسيرات النقدية ، كأن اقول لك ان اسطورة جرمانية واحدة هي مأساة « فاوست » جذبت عشرات الادباء لكتابتها كل على طريقته ، افلا تستحق مأساة وطن ان يكتبها المرء ويتناولها من زواياها اللامتناهية ؟ واذا كان « جوته » كرس اربعين عاماً من حياته لأسطورة « فاوست » ، الا يستحق الموت اللبناني الفلسطيني العربي فيَ لبنان وقفة واحدة على حافة البطولة والعبثية في آن ؟ . .

(*) بدلت اسم الكتاب فيما بعد الى (اشهد عكس الريح) .

ولماذا يكتب عن « فاوست » كل من كريستوفر مارلو (الشاعر البريطاني) ، وجوته ، وتوماس مان ، ولورانس داريل وغيرهم ، ولا نكتب نحن عن انعكاس التمزق العربي على شاشة بيروت الدامية اكثر من عمل واكثر من مرة ؟

استطيع ايضاً ان احدثك عن المادة الروائية الخام الغنية بين اصابع كاتب عايش جرح بيروت نزفاً نزفاً عاماً بعد آخر . . .

ولكنني ، بصدق ، لا اعرف بالضبط لماذا كتبت « ليلة المليار » ! . . . مع اعمالي ، دوماً يحدث الأمر على هذا النحو . . . انني لا ابدأ (بأيديولوجيا) اريد التبشير بها ، او بسبب (منطقي) يقنع الناس . الرواية كالطفل ، تولد ، وحضورها هو مبرر وجودها ! . . .

● **يمكننا ان نتعرف في روايتك على شخصيات تشبه الحقيقة ، ما هي حصة الحقيقة ، وما هي حصة البعد الروائي ، وكيف تنظرين الى الشخصيات ؟**

ـ حصة الحقيقة من الشخصية الروائية هي كحصة النطفة من الانسان ، انها هناك في كل شيء ، لكنها ليست هي نفسها ، فالمرء « سر ابيه » لكنه بالتأكيد ليس نسخة عنه .

وكلما نمت الشخصية خلال الكتابة ، تضاءلت (حقيقتها) المنقولة ، ونمت حقيقتها الروائية ، حتى تأتي لحظات تخرج فيها الشخصيات من يدي ، وتغادر « مرحلة الدمية » الى مرحلة « الحياة الروائية » . . . ويصير سلوكها مستقلاً عن المخطط الأصلي للرواية غالباً ، وتخرج قطارات أفعالها عن السكك المرسومة لها قبل كتابة الرواية . . واشعر بالنشوة والذعر معاً : « ها هي تحيا حياتها المستقلة ، فاستعدي ايتها الكاتبة للمفاجآت » ! . . . دوماً يحمل لي معظم ابطال قصصي مفاجأة في سلوكهم واقوالهم لم تكن على (جدول اعمالهم) قبل كتابة الرواية . . واتحول في بعض اللحظات الى مجرد عين ترصد حياتهم المستقلة ، ويد تسطرها على الورق . . . اي الى اداة . . . مجرد اداة لم تعد قادرة على التدخل في مصائرهم وأقوالهم ، والا قتلتهم انسانياً وفنياً واعادتهم بالقوة الى حظيرة الدمى المتحركة . .

وأحياناً اجدني اصرخ في احدى بطلاتي كما حدث لي في « ليلة المليار » مع شخصية «كفى»: أرجوك يا كفى ، توقفي عن هذا الجنون . . . عيب يا بنت (!) . . . ستتسببين بمنع روايتي ! . .

وكما ترى ، انظر الى الشخصيات كحيوات مستقلة ، لكنها تحمل خصائص المجتمع الذي تنتمي اليه بسموه وسقطاته ، وتتابع نموها المستقل لامبالية بي وبمخططي

الروائي المسبق ، وبرأي الناس في سلوكها ، والنقاد . . . وأنا التي اتعب معها اثناء الكتابة ، ثم اتعب (اكثر) بعد النشر ، لانني اعتبر مسؤولة عن سلوكها . . . وكل ما فعلته هو انني نقلت بصدق حكايتها . . . واذا كان ثمة ما هو غير (لائق) ، فالمجتمع ككل مسؤول عنه ، لا انا ، فهي بنت مناخاتنا العربية بمافيها من سمو نبرزه ، وسقطات نتستر عليها . . . وذنبي الوحيد انني اعلنت الصدق ، بدلاً من قتل الشخصيات وتحويل حنجرتها الى شريط تسجيل يبث كليشيهات تقليدية مكرسة ومحنطة في قوالب الزيف والرياء . .

مع شخصياتي ، قلمي المرآة ، لا المخرز . . . ولكن ما ذنبي اذا كانت الحقيقة احياناً جارحة تصفع العين اللاهية كالمخرز ؟

● **نعلم ان رواياتك تترجم الى لغات عديدة . . كيف تنظرين الى ترجمة الاعمال الادبية العربية الى لغات اجنبية ؟**

ـ أراها ظاهرة صحية تستحق المزيد من النمو . . . لكنني لا أخفي عليك انني معنية بايصال الكتاب العربي الى القارىء العربي قبل الغربي . . . لقد شعرت بغصة مثلاً حين صدرت روايتي « كوابيس بيروت » بالبولونية ، وكانت في طبعتها الاولى تقع في عشرين الف نسخة ، اي اكثر عدداً من طبعتها الاولى العربية وزادت الغصة حين طبعت موسكو ٥٠ ألف نسخة منها . . . لماذا ؟ لأن الكتاب العربي يواجه مجموعة من (الحواجز) التي تعرقل تحركه ومسيرته في مياهه الاقليمية ، كمشكلات التوزيع والبيروقراطية وتخلف مستوى التعامل مع الكتاب حتى درجة تحويله الى سلعة سريعة العطب في بعض الاقطار ، وعدم الدعم الرسمي له احياناً اسوة بضروريات الحياة بصفته الغذاء الحقيقي لطموح الروح . . . والعراقيل التي تواجه مسيرة الكتاب العربي صوب القارىء تتزايد بدلاً من ان تتناقص في غير قطر . . . ان المؤتمرات الثقافية والتواصل بين الادباء والنقاد خطوة جيدة ، لكنها تتحول الى رحلات سياحية فارغة من المضمون الحيوي اذا كانت كتب اولئك الادباء والنقاد ممنوعة من التجول هنا وهناك ، وها هم يجلسون حول مائدة العروبة تحت شعارات التواصل ومد الجسور وليس بينهم من قرأ كتاباً للآخر ـ الا نادراً ـ لأن الكتب غير موجودة في المكتبات ، وبعضنا يضطر الى فتح مكتبة خاصة بتوزيع كتبه على الذين يشتهي ان يطلعوا على حروفه . . . وما اكثر الاحباب في هذا الوطن العربي وما اصعب الدرب الى بعضهم ! . .

● **كيف تنظر غادة السمان الصحافية الى غادة الكاتبة والعكس بالعكس ؟**

ـ نظرة (الضرة) الى غريمتها ! . . .

نظرة غيرة وعداوة وكراهية احياناً ، حين تحاول احداهن ان تستأثر بي .

وانا لا اعدل بينهما ، ودوماً انحاز الى غادة الكاتبة ، واستغل غادة الصحافية لخدمة الكاتبة . .

واحياناً اشعر بان الخلاف وهم ، وان كلاً منهما تكمل الاخرى وتسهم في نموها . . .

ولكن صوتاً مبهماً في اعماقي يحذرني باستمرار من السقوط النهائي في ذلك الفخ الشهي الحبيب : الصحافة . . . ودوماً اطيع ، وابتعد عن الصحافة سنوات ، وحين اعود ، اعرف ان العودة مسخّرة لغادة الكاتبة : فالعمل الصحافي يمنح حروفي نبض الحياة اليومية الاليفة ، وايقاع الهموم العملية لابناء وطني . . . والعمل الادبي يخمر ذلك كله في خابية الاعمق والابقى . . .

● نعلم جيداً رأي القارىء العربي بك من خلال اقباله الشديد على قراءة اعمالك . . . فما رأيك انت بالقارىء العربي ؟

ـ انا معجبة به اكثر من اعجابي بالذين يدعون الوصاية على افكاره ويعصبون عينيه بحجة حمايته . . اعتقد ان القارىء العربي أذكى مما يتصور الكثيرون واكثر عمقاً ، وهو يمتاز على القارىء الغربي بالخصوبة الانسانية العاطفية المرهفة ، الى جانب الوعي العقلاني الهادىء . .

ربما كانت علاقتي مع قارئي هي علاقة الحب الوحيدة التي لم تسبب لي ألماً في حياتي . .

● منذ زمن بعيد لم نعد نقرأ قصصاً قصيرة لك ، فما السبب ؟ هل هو فقدان للحظة الموقف ، ام انك ترتاحين اكثر للعبة بناء الشخصيات والعبث بها وبصراعاتها ؟

ـ انا مثلك ، اطرح على نفسي هذا السؤال ولا اجد له جواباً شافياً ، لدي مجموعة من القصص القصيرة التي اشتهي كتابتها ، لكنني لا ادري كيف ، اجدني غارقة في كتابة رواية جديدة وقد ازحت قصصي القصيرة جانباً ، مثل حب لا يُنسى ، لكنه غير ممكن التحقق الآن لأسباب اجهلها ، واطلق عليها اسماً شائعاً مزوراً هو « ضيق الوقت » .
الدكتورة الهام غالي في كتابها « غادة السمان الحب والحرب » تطبق على اعمالي مبادىء علم الاجتماع الأدبي وترى ان عزوفي عن كتابة القصة القصيرة مرتبط بالحرب .
كيف ؟ لا بد من قراءة اطروحتها التي تصدر قريباً في عملها الأول المنشور .

● أخيراً . . . هل تعتبرين نفسك كاتبة منفية . . . ام انك تبتعدين عن الوطن لترينه بشكل افضل ؟

ـ اعيش « محطة انتظار » على أمل العودة الى الوطن في أسرع وقت .

حينها ينفي الوطن القيم الانسانية ، وينفي الحوار العقلاني والعدالة والمحبة ، يصير كل مقيم في الوطن منفياً الى الوطن . . .

حينها حكم علينا بعض سارقي الثورات بالاقامة داخل فوهات المدافع ، وحولوا بيوتنا الى خنادق وأماكن عبادتنا الى جبهات واطفالنا الى قتلى بلا وجوه ، صرنا في الوطن منفيين الى الوطن ! . . . فرحلنا وقلوبنا تدمى على الشهداء الذين سقطوا في مواجهة العدو الحقيقي الصهيوني ، وتم نفي ذكراهم حينها لم يمش بقية المسلحين على خطاهم . . .

حينها تدور الحرب في بيروت بين ابناء الصف الواحد بدلاً من ان تدور في تل ابيب ضد العدو الواحد ، نتحول جميعاً الى منفيين عن تاريخنا واهدافنا واوطاننا واحلامنا اينها تحركت اجسادنا .

لقد كنت منفية الى الوطن حينها كان القتال يدور في برج المر وبرج رزق في بيروت ، بقدر ما انا منفية الى الغربة تحت برج ايفل وبرج مونبارناس في باريس . . .

ـ ٥ ـ

من كل بحر موجة

● ما يجعل المساواة عسيرة هي اننا نريدها مع المتفوقين علينا .

ـ هنري بيك ـ

● الثورات تجتذب اولئك الذين لا يملكون المؤهلات للدخول الى المؤسسات الاجتماعية التقليدية كما تجتذب اولئك الذين هم أفضل من ان ينتموا الى تلك المؤسسات .

ـ برناردشو ـ

● الزمن معلم عظيم ، لكنه للأسف يقتل جميع تلامذته .

ـ برليوز ـ

● يقول الناس « العدالة » ولكنهم يعنون « الثراء » .

ـ امرسون ـ

١٩٧٧/١/٨

حليم الاعرجي يستجوب

● اعيش انتمائي الوحيد والحقيقي الى أرضي العربية .
● بغداد ؟ عمر كي تعرفها وعمر كي تنساها .

خبر في احدى الصحف . . . يقول ان غادة السمان في بغداد ، احمل أوراقي لالتقي بها . .

وجه شاحب . . تغطي نصفه نظارات معتمة . . ترتدي بنطلونا ازرق وبلوزة جوزية . . تتدلى فوقها « رصاصة » محمولة على سلسلة دقيقة . . . تشدني الرصاصة المعلقة على صدرها . . . اركز عليها اكثر فأكثر لا شك ان هناك الف الف علاقة ما بين الرصاصة والكلمة . . . وها هي ترقد على صدر غادة تعبيرا عن هذه العلاقة ، وتفطن غادة لنظراتي المركزة على الرصاصة .

« انها تذكرني بكل لحظة صراع مرير عشناها من اجل البقاء من اجل التقدم والرخاء . . . »

حقا . . . الانسان تخلقه الحوادث والتجارب الكبيرة .

غادة تتحدث الآن بنضوج سياسي مركز . . هي الآن غواص تجاوز حدود الذات ليلتهم من قعر الاحداث ، عواملها الحقيقية ودوافعها الاساسية . . .

وابدأ معها . . . عن الاحداث الدامية .

ـ سجلتها على طول ٥١٠ صفحات في روايتي الجديدة « كوابيس بيروت » . . . التي قضيت عاما كاملا انزف كلماتها على اوراق غابات الليل . . . »

● اذن غادة تكتب وسط الدم والدمار والدموع . . . تكتب رواية تسجل فيها كل الاحداث . . . كل الالام والاحزان . . .

لا شك انه تطور جديد يستحق الدراسة والتحليل . . . واعود ثانية اسأل . . .

وماذا عن النتائج المتحققة بعد ان اوقف القتال . . ؟

ـ القتال لم يتوقف بعد . . . ولم ننتقل من الحرب الى السلام ، لكننا انتقلنا من الحرب الى الحرب . . .

ارفع جلد الغابات والثلوج والشواطىء وأنهار العسل والنبيذ عن جسد لبنان ، وحدق جيدا . . . انه الجرح هناك ، ساكن وحي كاللغم ، شاسع كالليل .

أقول لك : نحن الآن في حالة حرب « مع وقف التنفيذ » . . . وما دامت « الانعزالية » تحاول تقسيم لبنان وتغريبه عن عروبته وقوميته وثوريته ، سيظل الجرح ينزف . . . وسيظل الفداء دربنا الوحيدة .

● **وهل كان للأدب والفن في لبنان دوره في تفجير التناقضات داخل المجتمع العربي في لبنان . . . ؟**

ـ هذا سؤال جميل لانه يتضن اعترافاً بمقدرة الفن على اداء دور تفجيري . . . قد تكون تلك مقولة بدهية الا ان اكثر النقاد والكتاب العرب لا يؤمنون بذلك حقاً رغم تشدقهم به .

اليك هذا المثال الحزين : حين انفجر القتال في لبنان ، الغت الصحف صفحاتها الادبية . . . من الطبيعي ان تقدم على ذلك بعض الصحف لان الفن بمفهومها هو مدح الحاكم والتهريج في بلاطه . لكن المفجع انه حتى اكثر الصحف « الثورية » سقطت في الفخ نفسه . وعبرت بذلك عمليا عن رؤيتها القاصرة لدور الفن كأداة حقيقية للتبديل حيث يصير الحبر بارودا والقلم رصاصة . .

نعم كان للفن دوره في تفجير التناقضات اللبنانية . . . لا المبدع منه فحسب ، بل والسيء ايضاً . . . « فالفن » السيء الرسمي المزيف كان يزيد الفرد اللبناني وعيا بغربة الحاكم عنه وغربة اجهزة اعلام ذلك الحاكم عن جراحة وعن تطلعاته .

● **والى اي مدى تستجيبين للتجربة الذاتية في نتاجاتك الادبية . . . ؟**

ـ استجابة ليس مبالغا بها الى حد تحويل نتاجي لمجرد تسجيل يومي لمذكراتي الذاتية ، وليس مبالغا بالهرب منها الى حد تحويل نتاجي لمجرد سجل خيالي لانسانة مكبوتة حياتيا .

ولكنني اعترف لك : هنالك لحظات يخيل الي ان غادة الاديبة تقبض على غادة الانسانة باصابع حديدية لا ترحم ، وتسخرها لاجل اكتشاف المزيد عن الطبيعة البشرية وبالتالي اغناء فنها .

يخيل الي احيانا ان غادة الانسانة ومن حولها مجرد فئران اختبار في قلعة جهنمية تسيطر عليها غادة الكاتبة . . .

لكن ما يعيد الطمأنينة الى قلبي ، هو ان هذه اللحظات تمر كومضات الرعب ، سريعة وعابرة ، وفيما تبقى هنالك نوع من الوحدة المتناغمة بين حياتي وفني . . وهنالك انسجام حقيقي اكبر من مجرد التواطؤ .

● في كتبك قبل الاحداث الدامية . . . كان يبرز واضحا اعجابك بلندن وضباب لندن وحياة لندن . . . فهل لا زلت كذلك . . . ؟

ـ من يقرأ كتبي بامعان يكتشف انني لست « معجبة » بلندن بمعنى الانبهار ، ولكني درست في لندن عدة سنوات وبالتالي أقمت فيها . . وكان لا بد من ان يظهر اثر ذلك في اعمالي بصورة مرحلية .

ولو كان اعجابي بلندن قضية اساسية في حياتي لما وجدتني أقضي الحرب الاهلية في بيروت ، اعيش انتمائي الوحيد والحقيقي الى ارضي العربية ، ولوجدتني تائهة في ضباب لندن مهاجرة الى خدرها وحاناتها وقطاراتها وفجرها المغبر الحزين كما فعل الكثيرون .

● غادة السمان ليست اديبة فقط . . . بل هي صحفية ايضا . . . . والعمل الصحفي عمل مرهق قاتل . . . يمنع المرء من الابحار في عالم البحث عن الحقيقة في داخل الاحداث ، فكيف امكن لغادة التوفيق بين التناقض القائم في كونها اديبة وفي كونها صحفية في آن واحد . . . ؟

ـ تقول غادة السمان :

نعم تتناقض في احيان كثيرة ، ولكن الصحافة هي وسيلتي لكسب رزقي « فأنا لا انظر الى الزواج كوسيلة لذلك » ، وقد جربت عملاً آخر « عملت كمدرسة جامعية بعد تخرجي مباشرة » وكانت تجربة بائسة بالنسبة الي ، لانني افتقر الى الانضباط الاكاديمي ، وطبيعتي تؤهلني للعمل مزارعة في الحقول اكثر من استاذة في الجامعة .

ولكن الصحافة اغنت عملي الادبي برافد اساسي هو الاحتكاك بالبشر والحياة اليومية على المستويات كافة ، وانقذتني من السقوط في « البرجعاجية » التي تدمر الاديب بشكل نهائي وتحوله الى صائغ الفاظ لمعان وافكار وقيم حياتية ببغائية .

● كان لا بد للجلسة مع غادة من ان تنتهي فالوافدون اليها كثيرون . . . والاستحواذ

عليها من دونهم امر مرفوض على المتعطشين لسماع الكلمة العذبة وسط ركامات المدافع وانهار الدم . . .

سؤال اخير . . .

بغداد . . . روض الادب والشعر . . . مبعث وحي الالهام . . . كيف تراها غادة الآن وهي ترفل بمجد الثورة تبني الحضارة والتقدم . . .

ـ اراها ولا اراها . . اراها كما رأيتها دائماً ، حلما ذهبيا طالعا من النار والماء ، منشورا على قباب المستقبل . . . اراها كخبز الالهة ، كلما ذقته ازددت جوعا . . . ارى جهلي بها كلما رأيت المزيد منها . . فأنا امر بها كفراشة الذكرى،ما اكاد احط على اسوراها حتى يأتي وقت الرحيل . . . بغداد ككل المدن العربية العريقة : تحتاج الى عمر كي تعرفها ، والى عمر آخر كي تنساها .

١٩٧٨/٥/٨

عبد الغني طليس يستجوب

● لحظة الشعر مخدر يطلق اللسان والذاكرة واللاوعي .

كل المصابين بالشعر غرباء ، طيبين غرباء ، مقتولين غرباء ، وحين تكشفهم قصائدهم يهربون خوفا وحياء ، ويجلسون على عرش الجزيرة : رعيتهم العصافير ، وفي ثيابهم يختبىء فرح الحقول البعيدة ، وحزن الحقول .

« اعلنت عليك الحب » تصرخ غادة السمان . السيدة التي تشتعل اللغة بين أصابعها . امام السنابل تشتعل ، وخلف القمح . خصوصيتها واضحة في ارتفاع الشمس وفي انخفاض الوادي . في وقوف الشجر وفي نوم العشب . قويا تصرخ السيدة . الشرق ايضا . تبقى للعاشقين الامكنة ، وينتصر الحب .

● **طير « البوم » نذير شؤم وخطر . الا عندك فهو الوداعة والبراءة . وقد جعلت منه شعارا لدار النشر التي تسمى باسمك ، « منشورات غادة السمان » . فسري رؤياك المعارضة هذه ؟**

ـ ان كره الناس للبوم ناتج عن افكار متوارثة . واكثر الذين يكرهونه لا يعرفون شيئاً عنه غير الشائعات . انه طائر « سيىء السمعة » واكثر الناس تتخذ الشائعة لديهم صفة الحقيقة القاطعة فلا يكلفون عيونهم عناء نظرة جديدة حيادية .

ان هذه النظرة تكشف انه طائر بريء كبقية كائنات الطبيعة ومن حقه هو كـ « بوم » ان يتشاءم من الانسان ، ولديه اسباب « موضوعية » لذلك ، فان الانسان يعتدي عليه ويبيده ويؤذيه دونما مبرر .

ان البشر ، بشكل عام ، يخافون من صوته ويعتبرون زعيقه نذيرا بالشر ، ولكنه حين يزعق لا يقصد تخويف الانسان ، بل كل ما في الامر ان حباله الصوتية شبيهة بالحبال الصوتية للانسان ، وصوته نداء لممارسة الحب مع الحبيبة والاصحاب وبقية الخلان ، انما ما ذنبه اذا كان صدر الخلق ضاجا بالمخاوف ، ويجد في « الموال الغرامي »

للبوم مرآة مخاوفه وخطاياه ؟

صحيح ان نظراته ترعب الانسان ، ولكنه كطائر ليلي يمتلك عينين شاسعتين توحيان انه يتأمل في الغيب ويعرف الاسرار . وهو في الحقيقة يتأمل اوكار القوارض والاسماك وغيرها كي يحمل الطعام الى صغاره . وليست مسؤولية البوم اذا كان الضمير البشري مثقلا بالحس بالذنب والنوايا السيئة فترعبه عينان تحدقان فيه بصمت اتهامي .

بصراحة : الناس يتشاءمون منه وانا اتشاءم من الناس . ولا اعتقد ان صرخته قادرة على ايذائي اكثر من همسة حب كاذبة من حنجرة بشرية .

ثم ان موقفي منه هو مجرد تعبير بسيط وجزئي عن موقفي العقلاني العام من الاشياء . انني اكره الهرب من مجابهة اسباب الشر الحقيقية في هذا العالم وارفض ان ارمي بها على تفسيرات غيبية . فمثلا : اذا رسب « احدهم » في الجامعة ، لا يكون السبب ذلك البوم الذي نعق امام بابه ، بل السبب هو ان المناهج سيئة ، او الاستاذ لم « ينعق » في الصف جيدا ، او انه ، هو ، كان ينعق في احد المقاهي أو الهاتف بدلا من الدراسة . . . لكن احدا لا يريد ان يواجه خطاياه الشخصية ويجد انه من الاسهل ان يحمل البوم المسؤولية بدلا من ان يطالب بتبديل المناهج او الاساتذة ، او تبديل ذاته ! .

انني اتفاءل بالعمل . بمواجهة الواقع . بالصدق . بالمحبة . بالتفهم . وارفض ان احمل بوماً ، حتى ولو كان بوماً بشرياً ، مسؤولية تغطيسي في الغم .

تاريخيا : من المعروف ان البوم كان رمز الحكمة لدى الاغريق ، وما زالت صورته الجميلة تصك فوق عملتهم المعدنية .

● الفن عموما ، بنواحيه الخصوصية يكون مرآة الشعوب ومقياس الحضارات . وعندنا ، يقال ، ان الفن العربي يجتاز الآن مرحلة الانتقال من العادية الى القمة . كيف تتصورينه في المستقبل ؟

ـ ذلك يتوقف على ما يقصدونه « بالقمة » . فاذا كانوا يعنون بذلك قمة كوم من النقود فهذا ممكن . اما اذا كانوا يقصدون قمة العطاء الفني الى حد اختراق الاقليمية ووصول الحدود الانسانية العالمية فتلك مسألة فيها نظر !

لكن ، ليس في وطننا العربي فنان مثل « فون كارايان » يطير الناس من انحاء الدنيا كلها للاستماع اليه وهو يقود (الاوركسترا) متوجاً بحق على عرش الشهرة ، والمكانة العالمية، وله جمهور حقيقي على المستوى الانساني . وحين استمع الى « فون كاريان » يعزف برامز او بيتهوفن، فأنا لا امارس متعة الشعور بالتفوق على شعبي العربي

الذي انتمي اليه حتى نخاع عظمي وانما اشعر بذروة التفجر والحياة والموت والعشق والانكسار في آن معاً : اي اعي وجودي كانسانة في المطلق واخرج من جلدي الاجتماعي الهزلي .

تمر بمرحلة انتقال ؟ لمراحل الانتقال عادة مؤشرات وانا لا ارى شيئاً منها . أبرز مراحل الانتقال الى القمة هي : الجدية . الثقافة . احترام التراث المحلي والعالمي . الوعي . بذل الجهد حتى الاحتضار. اني اقول هذا الكلام وفي خاطري عباقرة ماتوا دون لمسة حنان من عصرهم . « موزار » مجهول القبر . « باخ » استعملوا نوطاته الموسيقية كاوراق مهملات يلفون بها بضاعة البقالين « شومان » قذفوا به في مصح للمجانين دونما وعي بعبقريته . . والامثلة كثيرة . فأين الفنان العربي من نماذج كهذه ؟

● **والفن بمعناه الحقيقي ؟**

ـ الفن رائع عندما يتخذ معناه الحقيقي الشاسع : البحث عن الحقيقة . عن الانسان . عن الصدق . عن الابداع . واكثر الفن لدينا ما زال يركب موجة البحث عن التصفيق ، عن الشائعات ، عن التهريج ، عن الركاكة ، عن القالب الصغيرة الحقيرة ، عن الشيكات ، وباختصار ، عن العهر الفكري والمالي والاجتماعي ، من مستنقع كهذا لا يمكن لصرخة حق وصدق ان تولد وتنطلق . والفن هو الحق والصدق .

اتحدث هنا بصورة عامة لان صيغة السؤال جاءت عامة ولكنني لا استطيع الغاء بعض الذين ينحون باخلاص في مراحل حياتهم الفنية الجيدة ، وقبل ان يتم تدجينهم وقص اظافر ابداعهم . ولا الغي بعض الذين مازالوا في هذه اللحظة يكافحون بصدق ليخرج صوتهم الى الناس وهم يعون ، ان بيع حنجرة الصدق هو احيانا الثمن لامتلاك ميكروفون .

من هنا ارى اهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه المجلات الفنية . دور تثقيفي ، توجيهي ، عادل ، يسهم في ردم مستنقع التفاهة ويحرمها من اية مساحة في الصفحات ، ويساهم في تكريس العلم والثقافة والتراث الحضاري كخلفية ضرورية واساسية لبناء فن يمس ولو حدود القمة .

● **وكيف تتصورين الفن العربي في المستقبل ؟**

ـ اقول لك بصدق : لا اتصوره منفصلا عن روح الانسان العربي وتراثه (كان لي صديق ينشد اغاني عبد الوهاب القديمة ليلاً فيفجر روحي نهرا من العذوبة والحنان والرغبة في العطاء على الصعيد الانساني) لكنني ايضا لا اتخيله خارجا عن روح العصر

وتراث الشعوب المذهل في هذا المجال . ان عصرنا ينتظر عبقريا حقيقيا قادرا على مزج العناصر في بوتقة ابداعه . ونتمنى لهذه المرحلة الانتقالية الا تطول كما طال تطور البشر من قرد الى انسان . فالانسان لم يولد بعد حقا ، والتطور ما زال برسم المجهول .

● **كلام لحبيبتي نازف في وجه المدن ومرور ليديها على العنق ، هي الموسيقى . اكثر : حبل انتشال من قاع الصحارى . وردة الركوع عند باب الله . وحين غيابها ، اول الكون ينهار وآخر الكون . ويسقط الزمن فارغا . اية موسيقى تستمعين ؟**

ـ استمع الى اية موسيقى اصيلة . احب الشرقي المفرط في الشرقية . والغربي المفرط في الكلاسيكية او الحداثة . وحين اتحدث عن الشرقي القديم ليس بوسعي ان ادعي وجود تسجيلات للموصلي او زرياب ونجوم كتاب « الاغاني » للاصفهاني . وانما اعني الذين استطاعوا ان يحافظوا في موسيقاهم على اصالة فنية غير هجينة بالاضافة الى ابداع ما ، ضمن اطار عصرهم ، وبالتالي ضمن اطار التراث الانساني المشترك . وهذا ، للاسف ، نادر في موسيقانا ، والذي يحدث ، حتى لدى اكثرهم (عبقرية) ، هو انك تستمع الى خليط من المقاطع المسروقة . فمن شرقية اصيلة الى «بيتهوفنية » الى « موزارية » الى « كازاتشوكية » الى موال لبناني جميل من حرقة قلب الصخر الشاهق . ان موسيقانا مجرد موزاييك تجميعي ، وهي بذلك تشبه قيمنا الاخلاقية ، وتشبه ثيابنا وسلوكنا الاجتماعي ، وتعبر تعبيرا اصيلا عن المرحلة الهجينة التي نعيشها .

● **كما ارى تستمعين اولا بكل اصيل ؟**

ـ وثانيا ، بكل ما اعتادت اذني التقاطه في الطفولة . الاستمتاع الاول اكثر غنى وعقلانية . والثاني طفولي قائم لا مفر منه كعاهة فرويدية لذيذة . فقد كان والدي ، الدمشقي العتيق ، يعشق عزف العود ، وقد ورثت عنه ذلك رغم تفضيلي لآلة الارغن . في هذه اللحظة اتذكر بشكل خاص ذلك الارغن في كنيسة صغيرة بقرية بلودان ، كنت ارافق اليها الفلاحة « وداد » وانا في العاشرة من عمري . واذكر كنيسة في روما اسمها سانتا ماريا في حي تراستيفري العتيق حيث كنت اجلس ساعات بانتظار الارغن دون ان افهم شيئا من كلام الكاهن . واذكر كنيسة في لندن بحي لانكستر حيث شاهدتها هذا الصيف تتساقط فتساقط قلبي . كان فيها ارغن مذهل الاصوات . واذكر كنيسة كينغز كوليدج في كامبردج وكم رافقت اليها المرحوم الشاعر توفيق صايغ لاستمع الى ارغنها يشق صدري وصدر السماء بموسيقى «باخ » .

انتزع نفسي من الارغن واعود الى الاستمتاع غير العقلاني بالموسيقى . انني ،

مثلاً، رغم قراءاتي الحديثة، عاجزة عن الاستمتاع بما يدعونه اليوم في أوروبا «الكلاسيك الاولترا مودرن» ومن أشهر نجومها «بيلا بارتوك» و«روبرتو جيرهارد». «بارتوك» لا يقول لي شيئاً وجيرهارد أيضاً. فمع الحركة الثانية من سمفونيته «ميتامور فوسز» اشعر بحنين الى « انا هويت وانتهيت » . لكنني اقف بحذر من موقفي هذا ، ولا اتجرأ على القول بما احسه : « انها رهيبة ، مزعجة ، مملوءة بضجيج سخيف مفتعل » . لماذا ؟. لان النقاد استخدموا هذه العبارات نفسها حين هاجموا منذ قرن ونصف القرن موسيقى بيتهوفن ، وبالضبط سيمفونيته الثالثة الرائعة « هيروييكا » ، وكان ذنب بيتهوفن الوحيد انه سبق يومئذ عصره . والعبارات نفسها وصف بها « نيقولاي روبنشتاين » مقطوعة تشايكوفسكي الرائعة « بيانو كونشرتو رقم واحد » يوم عزفت للمرة الاولى عام ١٨٧٤ .

وهكذا ، فأنا اقف بحذر من الموسيقى الحديثة جدا « لبارتوك وجيرهارد » وغيرهما . ورغم عدم استمتاعي بها اقرر : ربما سبقوا عصري . انا العربية البدوية مهما قرأت وتثقفت واطلعت ، انا المفتقرة الى مناخ حضاري موسيقي حقيقي ، تعرفت الى « باخ » في سن المراهقة بينما يعيه اطفال اوروبا في الساحات والحدائق العامة وهم في المهد .

● **اي مغن او مغنية ولماذا؟**

ـ الجميع ، ولا أحد عربياً او غربياً . فلكل فنان تحليقه وسقطاته ، وانا استمتع بلحظة التحليق المبدعة وأطير ، ولكنني لا أجد نفسي ـ بالضرورة ـ مضطرة لتبني اغانيهم الرديئة فأنا لست من عبدة « الاسماء » والاصنام . لست وثنية . انني استمتع بلحظة التحليق المبدعة واطير . وهكذا ليس لي « مغن » او « مغنية » لي « اغنية » .

● **الانسان العربي ، تربطه خيطان ودمع الطرب ، وجسور . كيف يحدد هذا الرباط تاريخيا ، خصوصا وقد كان الطرب ، قديما ، ملازما للشعر والشعراء ؟**

ـ اعتقد ان الطرب يبدأ داخل رحم الام ، وان اول موسيقى يسمعها الانسان هي ضربات قلب امه . من هنا عشق « الايقاع » في الموسيقى ، عشق «الحنان» ، عشق « اللامتناهي » ، عشق حلم الطيران الذي هو غوص في آن معاً . الايقاع ، في ضربات القلب . الحنان ، في ضمة الرحم ودفئه ، اللامتناهي في لحظة سباحة الجنين في الداخل : الدفء المائي الشاسع بالنسبة اليه كما لو كان الابدية . من هنا تبدأ لعبة الايقاع انسانيا وشموليا ، يضاف اليها لدى العربي لعبة ايقاع الهودج . . . . البعير . . . الخيل . . . ان ايقاع حوافر الخيل الراكضة الى الحبيبات او القتال هو الذي اوحى

للفراهيدي بأوزانه الشعرية اكثر مما فعلت مطارق سوق الحدادين كما تدعي الكتب !

لكن لعبة العربي مع الطرب بدأت تصير خطرة لانها انتقلت من مجال الطرب الى السياسة ، ومن الليل الى «البرلمان»، ومن الخيل والبيداء الى الميليشيات . . . وحينما يخطب اي سياسي فيهم ، لا ينصتون تماما الى مضمون كلامه بقدر « طربهم » له ، ولا يفكرون في ما اذا كان اعلانه لقرار ما ، سياسي ، عملا صائبا بقدر ما تلعب مواهبه المسرحية دورا في الاستزادة على طريقه « آه . . . يا سلام » والنتيجة احيانا حرب او سلم . والسياسي في واد والشعب « المطروب » في واد . والخطر في « الطرب » العربي انه يكاد يتحول الى ظاهرة سلبية سياسية تعطل ممارسة الديمقراطية وتسهم في عبادة الفرد النجم الذي هو هذه المرة سياسي . وهنا المأساة الكوارثية . مأساتنا اننا نطرب في المكان الخطأ للشخص الخطأ وللنغم الخطأ ، كأن بنا ذلك الجوع التاريخي الى الطرب ونحن على استعداد لممارسته على الطبلة او على المدفع !

● مرات يسري نوع من الارتجاج في علاقة ، المبدع مع العالم . ومرات يحدث نوع من الهوى بينهما . اين انت من العالم ؟

- انا اسكن المسافة بين الزلزال والنسيان . بين الشرخ ، والمحبة التي هي ذروة التلاحم . . .

انا اتقدم من عالم يصر على العنف واصرخ فيه : « اعلنت عليك الحب » ، لكنه يعلن علي الحرب بتهمة المسالمة . . . .

انا لا استطيع احتمال عالم راكض في مدارات الرياء والخبث والزيف ، لكنني ايضا اجد الركض وحدي في الفضاء ، ككوكب رمادي الثلج ، لعبة موجعة . . .

انا الانتماء الرافض ، لن اغادر تربتي وسأظل اشهق رعبا من الزلزال المحتوم .

غادة السمان ، اعلم ، انها لحظة هاربة ، تقترب وتبتعد ، تجيء ولا تجيء .

سألتها :

● الشعر لحظة . سقوط مطر او هبوب ريح . هل تستطيعين فتح لحظة شعرية امامي ؟

- استطيع . . . لا استطيع . . . الشعر لحظة صدق . سقوط مطر الذاكرة فوق قحط الحاضر . رقصة شمس المستقبل فوق صقيع اليوم العادي . هبوب ريح الاصوات الهاربة خلف الزمن المنطفىء . **التقط لك في هذه اللحظة بعض الأصوات. التقط ذلك الدفء ، اللون ، الليل ، المناخ ، الضحك . . . وكنا على الشاطىء وغرقت دواليب**

السيارة في الرمل وغرقنا في الذهول ، وتفجر صوته في اغنية قديمة لعبد الوهاب ـ كان يغنيها ابي ـ وامتد الجسر بين اللاوعي والوعي ، بين حنان الذاكرة وحنان الممكن ، وحاولت استيقاف السيارات « اوتوستوب » لانتزاع سيارتنا الغارقة من الرمال بعد منتصف الليل . . .

تشرد غادة السمان نحو العميق . تتفتح الرسوم في عيونها ، تكمل :

ـ كنا قبيلة الضياع في ليل الغرباء . . . « والاوتوستوب » طريقنا الموهومة الى بر السلامة الذي هو مؤسسات تنتظرنا ، وهي في حقيقتها مؤسسات اغراق صدقنا وحقيقتنا .

الآن ، بعد مرور سنوات ، ما يزال صوته يثقب ذاكرتي : « يا وردة الحب الصافي » ، واتخيل باخلاص وصدق ان السيارة بحرية اللون ما تزال غارقة في الرمل ، وضحكتي المتفجرة في احشاء الليل صار صداها يشبه البكاء ، والشاطىء اضاف الى ذكرياته من ايام سفن الفراعنة والفينيقيين حكاية ليلة براءة وجنون .

ولحظة الشعر محرمة لانها مخدر يطلق اللسان والذاكرة . . في تلك الليلة كانت النجوم تنشد « هذه ليلتي » وكانت ام كلثوم تسرق الالفاظ .

● **في هذا الخراب الكبير ، والذئاب ، تحول الانسان الى الضد . من العدل الى الظلم ، من المحبة الى الحروب . . . والحديث طويل . اي انسان تنادينه في حال استطاعتك الفعل ؟**

ـ لا انادي الانسان . الانسان حيوان منقرض يعاود تحوله الهزلي من انسان الى قرد كما لو ان للطبيعة دائرة عليه ان يعيد مراحلها . قرد : متخلف . انسان متخلف وعدواني وقادر على الدمار ، والدمار يعيده الى قرد . . . . هكذا ، الى ما لا نهاية .

آه . انادي الفرح الشاسع ، الضحك البريء العطاء المجاني . . . انادي الدين كان قتل النمل لديهم يتضمن مراجعة ذاتية . يا اخي الا ترى ان النمل بدأ يتدفق من حناجرنا السيئة التحنيط ؟ اننا اموات مع وقف التنفيذ : تنفيذ التعفن العلني لجثثنا المتحركة .

تقول : في حال استطاعتي الفعل ؟ وحدي العاجزة . وحدي المسلحة ، ومثلي كل من يمسك بقوس الابجدية . وحدي املك ولا احكم . اعلن الصدق واعجز عن تطبيقه آنيا . انا الفنان ، الملك الاسطوري المجرد من صلاحياته ، والذي ستثبت الايام نقاءه كأي كاهن اسطوري . فالمحبة ، دين التاريخ .

● **ساعة الوحدة ، ماذا يخطر في البال ؟**

- الوحدة كلمة رمزية . لا وحدة الا لحظة التخدير الكيميائية . ليست مأساتك الوحدة. مأساتك هي انك لا تستطيع ان تكون وحيدا ابدا . انهم يطاردونك : كل الذين عرفتهم وتوهمت انك نسيتهم . كل الذين لم تعرفهم وتوهمت ان شوقك الى اختراق مداراتهم مات . كل نبضة الم عشتها . كل لحظة توق ، كل لحظة خيبة ، كل لحظة هزيمة ، كل وهم بانتصار ، كل حلم ، كل جرح ، كل طعنة وردة وكل حنان شوك ، كل صرخة اتهام في وجهك ، كل قناع ارتديته وعجزت عن اخفاء ملامحك خلفه ، كل جبل ليلي عبرته الى حقيقة ليست حقيقتك ، كل هذيانك الصامت في بيروت الكابوسية، كل كلمة حب كاذبة قلتها واقسمت عليها ، وكل نداء حب زائف اغمدوه في صدرك . . .

الفنان محاصر بالصدق حين يكون وحيدا . محاصر بمئات الصور والاصوات . محاصر بشريط الماضي الذي كان والمستقبل الذي لن يكون . محاصر بالجرح . الفنان هو ذلك المحكوم بالحرمان مع الوحدة . ذلك المحكوم بالسجن مع الزحام الداخلي . لا وحدة ولا التصاق : ذلك قدرنا الفاجع .

طال بنا الحديث . عن كل شيء تكلمنا . لم تزد في حماسة غادة السمان في الكلام الا شهية للاستزادة . دخل الحب عند هذا الحد دائرة الضوء :

● **حبيبتي القت جدائلها فوق وجهي ليلاً، وليلا رأيت الصباح . كيف يمكن لامرأة ان تكون مثل حبيبتي ؟**

- ليست هنالك امرأة تستطيع ان تكون مثل حبيبتك . لا فينوس ولا مدام كوري . فحبيبتك ليست حبيبتك ، وانما هي قدرتك انت شخصيا على الحب . انت تخترعها . انت ترسمها . انت تملي عليها صوتها وكلماتها . انت تراها عبر الصورة التي خلقتها لها ، لا عبر ما هي عليه . . . انها ليست جمالها الشخصي او ذكاءها ، انما هي الجمال الذي تحلم به والذكاء الذي تخططه لها .

المرأة المحبوبة غير موجودة في العالم الموضوعي. انها توجد فقط داخل وجدان المحبوب . ومن هنا يحدث الانكسار البالغ بعد فراق العشاق . فالانسان لا يفارق حبيبه فقط وانما يفارق ايضا صورة ذاته الجميلة في خاطر العاشق .

من هنا ، الهزيمة في الحب مزدوجة . انها هزيمة الحب اولا ، ثم هزيمة النرجسية ثانياً . وهزيمة النرجسية تخلف في الذات الما لا يطاق خصوصا لدى المبدعين .

تبقى حالات الحب النادرة : حين يحب الانسان بعقله . حين يحب الطرف الآخر كما هو ، لا كما يتمناه . يحبه بسموه وسقطاته . ذلك هو الحب المفقود والفردوس المفقود . . .

● ليلا رأيت الصباح . . .

ـ ليلا رأيت الصباح يا اخي ؟ . . . (وكانت العتمة ضوءا يقودك اليها ؟) هذا هو الحب . ان تصير الشمس محرق الظلمات ، وان يتفجر الضياء من عتمة الليل . هذا هو الحب في قلبك ، في قلبها .

قلبي ؟ لا تسلني عن بئر الصمت !!

. . . واقفلت غادة السمان الكلام على كلام غريب بقي عندها في العمق متساقطا كالضباب او كالرغبة او كالثلج .

اول السطر : الى امرأة : قصيدتي احترقت . اليوم الذي يحويني خنق نفسه ، والرصيف الرمادي قطع الطريق علي . حبيبتي : يا قصري الجميل الذي اسكنه آمنا مطمئنا ، سلاما ، سلاما . لو امسكت الكواكب وعصرتها . لو حملت الارض وطرت بها . لو رجعت اشرب حزنك وأسقيك حزني لما استطعت ان افعل الا ان اسقط كغبار كروم الصيف عن ظهر القطيع ، واهتف باسم رجال العالم : ايتها الملكة . احبك ، احبك ، احبك .

١٩٨٠/٧/٢٢

دنيا جابر تستجوب

● التدجين يخدر الموهبة ويخنقها ببطء ولكن باستمرار .

● من أنت ، الانسانة والأديبة ؟

ـ أنا كالناس جميعاً ، جرح وابتسامة . غيم وصحو . براكين مزروعة بالقمح وفي باطنها تغلي الحمم . طيور تستقر حينا وتستكين الى غصن ما ثم تغلبها غريزة الهجرة والترحال . قلب مقيم وظل عابر . أما غادة الاديبة ، فتترك كتبها الـ ١٨ تتحدث عنها . . . ولعل عناوين بعض هذه الكتب تلخص حكايتها أمثال « عيناك قدري » . « لا بحر في بيروت » . « ليل الغرباء » . « حب » . « اعلنت عليك الحب » . « الجسد حقيبة سفر » . « السباحة في بحيرة الشيطان » . « مواطنة متلبسة بالقراءة » . « ختم الذاكرة بالشمع الاحمر » .« كتابات غير ملتزمة » . وغيرها . ككاتبة عربية استطاعت غادة الاديبة ان تمد جسراً بينها وبين قرائها ، واقبالهم على كتبها هو الجانب الجميل الذي يميز فنها . فهي تؤمن بأن الكاتب بدون قارىء هو كالممثل في مسرح فارغ .

● في حديث سابق لك كان شعارك ان الكسل سر نجاحك فإلى اي حد لعب الكسل دوره في حياتك ؟

ـ الكسل سر نجاحي لسبب طريف ، فأنا كما ذكرت اعشق الكسل والاستمتاع بالحياة ، وبما ان الوسيلة الوحيدة للتخلص من العمل هي بإنجازه ، لذا فانني أقبل على العمل بشراسة كي اتفرغ فيما بعد للكسل . لكن الذي يحدث هو ان العمل مثل كرة الثلج ، يتضاعف حجمها كلما تدحرجت . . . وها أنا غارقة في العمل مثل قطة سقطت في البئر ! . . .

لقد لعب الكسل في حياتي دور المحرض على العمل ! . . .

● ما هي اسباب ولوجك باب الادب وما هي المراحل التي مررت بها ؟

ـ كأنك تسألين البحر عن المد والجزر وتطلبين من الأمواج شرحاً لركضها الدائم كالاحصنة الزرقاء . . كأنك تسألين النحل لماذا العسل . كأنك تسألين الزهر لماذا الشذى . كأنك تسألين الشتاء لماذا العاصفة . لماذا الأدب ؟ لا ادري بالضبط . لقد حدث الأمر على هذا النحو ! ! المراحل التي مررت بها هي باستمرار : تكرار لحكاية التحدي . . . تحدي الانسان لبعض قوى القمع المحيطة به . . . وتحدي الفنان لذاته ومحاولته المستمرة لتجاوزها .

● تعشقين الرحيل والتشرد والصداقات المجانية والحب العابر والمقيم كما الذكرى المقيمة والمطارات النائية . هل هنالك اسباب وظروف حولت حياتك وشخصيتك للسير في هذا التيار المميز ؟

ـ الروتين هو العدو الأول للفنان . الروتين يسدل على الرؤيا الفنية جفناً سرية . التدجين يخدر الموهبة ويخنقها ببطء ولكن باستمرار . العادة تجعل اوتار عود الابداع تسترخي ، وتذهب برهافتها .

الرحيل للفنان عملية غسل دماغ من الأفكار المسبقة. التشرد تعرية لجهازه العصبي الذي يستعيد حساسيته المفرطة لنسمة ريح . أحب كثيراً ان أرحل ، كي التقي بذاتي أكثر ! . . . .

● هل لإحدى شخصياتك القصصية تأثير خاص على نفسك ، وأيها تطابقك ؟

ـ ليس بين أبطالي وبطلاتي من (يطابقني) ، ولكن لبعضهم مكانة خاصة في نفسي مثل « نوف » بطلة قصة « حريق ذلك الصيف » في مجموعتي القصصية « رحيل المرافىء القديمة » .

● التقلب في الأحاسيس من يوم لآخر . وكونك ملولة تحبين التغيير . ألا يعطي هذا شخصيتك ، ومواقفك من الأمور اللون الرمادي ؟

ـ لست وحدي المتقلبة الملولة . . . كثيرون مثلي ، وكل ما في الأمر هو انني اعلن حقيقتي وأعترف بذلك ! . . . هذا الطبع الرديء جيد بالنسبة لي كفنانة . إنه قد لا يمتع اصحابي ، لكنه صحي بالنسبة لعملي . الابداع لا يطيق الالتصاق بحجر واحد ، وزهرة الابداع برية ومتوحشة تنبت حيث لا نتوقع لها ذلك ! . . . إنني اجرؤ على الصراخ في وجه الدنيا : هذه أنا على حقيقتي . خذوني او ارفضوني . المهم ان تحيا حروفي وتبقى .

● الى ماذا تعزين كثرة انتاجك الأدبي ؟

- الى الكسل كما ذكرت لك . إنني ببساطة أحاول ان اقول كل ما اشتهي قوله وانتهي واتفرغ لكسلي ! حسناً لندع المزاج جانباً . اعتقد ان كثرة انتاجي الادبي ترجع الى عاملين : ١ - انني لا أرضى في غدي عما اكتبه في يومي . لست راضية عن حرف كتبته في الماضي واعرف انني لن ارضى عن حرف اخطه في المستقبل . ولذا فانني استمر في المحاولة . ٢ - اقبال القراء العرب على كتبي يدفع بي الى المزيد من العمل . ان العلاقة بين القارىء والكاتب شيء رائع ، كالحب . ان حبهم لحروفي يزيد من شهيتي للقاء بهم على ذلك الجسر المضيء المدعو باللغة .

● ما هي أمنيتك ؟ مشاريعك ؟

- امنيتي هي باستمرار نفسها : بطاقة طائرة ، ورحيل جديد ومدينة لم أرها بعد ، وبحار لم استحم فيها بعد ، وأصوات لم اسمعها بعد .

أما مشاريعي ، فقد علمتنا بيروت التقشف في الحلم . وأضحى المشروع اليومي هو ان لا أقتل برصاصة طائشة لا أكثر ! . . . إننا نعيش هنا يوماً واحداً كما لو كان عاماً ، فالحياة في ظل الموت تصير حادة المذاق شرسة الطعم . . . ونعيش يوماً بيوم . . . ومع ذلك ، فقد بدأت بكتابة رواية جديدة ! . . .

● ماذا تحبين . ماذا تكرهين ؟

- لا شيء نهائياً . ما أحبه اليوم قد اكرهه غداً . ما اكرهه اليوم قد أحسن فهمه غداً وأحبه . هنالك اشياء نادرة أحبها باستمرار ، كالبحر والغابات والرحيل ، والنفوس الصادقة مع ذاتها وسواها دونما خوف من حقيقتها ! . . .

● اللون والفصل المفضل عندك ؟

- اللون الأسود لعيني حبيبي . الابيض لزهرة في شعري . البنفسجي لسيارتي . الأحمر لأزهاري . الشفاف لأحجاري الكريمة . الأخضر لشرفتي .

اما عن الفصول ، فأنا احب الشتاء حينما اكتب . الصيف حينما ارحل . الربيع حينما اتأمل . والخريف حينما أكون عاشقة !

١٩٧٨/٩/٢٩

عاصم الجندي يستجوب

● عملت وأعلت نفسي مادياً منذ غادرت دمشق لأستقل .
● لا شيء ثابتاً غير ثبات الإنسان في وجه بعض المكرسات

● انت على ابواب مرحلة جديدة من انتاجك هي مرحلة « الأعمال غير الكاملة »فما اثر او آثار ذلك في عطائك الجديد ، بالاضافة الى الربح المادي ؟ ألا تخشين ان يؤثر ذلك على جديد عطائك ؟

ـ للوهلة الاولى خيل اليّ انه لن تكون هناك « آثار » غير آثاري التي اطبعها . . .

هكذا نخطىء التقدير دائماً حينما نخطط للاشياء فكرياً ودونما ممارسة .

طبعاً ، كنت اتوقع الحصول على مبلغ من المال في مقايل كتبي هذه ، وكنت اعرف سلفاً كيفية انفاق هذا المال . . . المال يعني مزيداً من حرية التحرك . السفر . الكتب . اللوحات . الموسيقى . القدرة على القراءة وتمثل السطور . المال يعني لفنانة مثلي المزيد من الحرية والثقافة ، لا الثياب والتشاوف .

المال يعني ان اقرأ هيغل بدلا من القيام بالاعمال المنزلية . وان اشاهد معرض هنري مور في لندن بدلا من الاكتفاء بالقراءة عنه في الصفحات الثقافية .

واتجول في متاحف العالم الشهيرة بدلا من الجلوس في المقهى . المال يعني ان استمع الى اوركسترا بقيادة فون كارايان تعزف لبيتهوفن بدلاً من الاستماع الى اغنية « الطشت قاللي » للرفيقة المطربة (؟ لا اذكر اسمها !) .

ومحصلة ذلك كله ان « جديد عطائي » سيمتلك فرصة اضافية ليكون جديداً حقاً .

اعتقد ان صورة الفنان العربي التقليدية يجب نسفها . وان قدرتك على اكتساب

المال عبر فنك ليست بالضرورة الدليل على انك انحدرت به .

يجب ان نعي وجود معادلة لا يقتل الفنان بها ولا يفنى الفن . . .

لكن المحرك الاول والاساسي للموضوع هو حفظ آثاري التي احترقت مرة بصاروخ الحرب اللبنانية واطبعها الآن كي لا تحترق مرة أخرى لكنني ايضا اقول لك بصدق : لو حدث ان ضرب صاروخ الليلة مكتبتي واحرق مخطوطات « الاعمال غير الكاملة » التي اعمل عليها ، لوجدتني على استعداد للعمل سنوات والانفاق من جديد للحصول عليها . فانا كالفنانين جميعاً . اعتبر اعمالي السابقة ككل ماض ، لا يمكن تبنيه ولا انكاره . لكنني ارى فيها جزءاً حقيقياً من ذاتي لا ارغب في التفريط به . وساتابع حياتي الادبية مثل فراشة شيطانية فقدت جناحاً من اجنحتها المستمرة التكاثر ، (لكن شيئاً لا يستطيع ان يعوضها عن ذلك الجناح) .

اثر آخر في (جديدي) توقعته وتفاهمت مع ذاتي حوله : ان اهتمامي باصدار اعمالي غير الكاملة سيستهلك بعضاً من وقتي .

لكنني قررت لذلك زمنا لا يتجاوز العامين . وتأكدت فيما بعد من عجزي عن الالتزام بذلك المخطط .

الآن ننتقل الى الآثار التي لم اكن اتوقعها ، ويمكن تلخيصها بالخوف من عشقي اللعين للصحافة .

ها انا جالسة ، وامامي كتاباتي في الصحافة بين العامين ١٩٦٤ - ١٩٧٦ . اي ها انا جالسة في قلب الليل وحولي ترقص ١٢ ساحرة هي سنوات عملي الجاد في الصحافة . وانا احدق بذهول وارقب الحصيلة : نصف ما كتبته تلك الاعوام انما كان بدافع تأمين اقساط الدراسة الجامعية واجرة غرفتي بفندق « الكسندر » ببيروت . (فأنا قررت اعالة نفسي مادياً منذ غادرت دمشق لاستقل) .

اتذكر بذاكرة طازجة كرغيف . اي جهد انفقت كي اكتب تلك الحروف . بل اكاد اتذكر اين كُتبتْ . وفي اي ساعة من الليل او الفجر ، وفي اية غرفة مفروشة او حانة او رصيف . بل واكاد اتذكر لون مفرش الطاولة او السرير او السجادة او القطار او لون جناح الطائرة ، واعرف ان ذلك كله يجب ان يذهب الى بئر النسيان .

في البداية ، اوجعني ذلك ، ان اكثر ما استمتعت بكتابته هو آني وعابر . والمقالات التي تصلح للنشر في كتب سلسلتي « الاعمال غير الكاملة » والتي قاومت اثر

الزمن تكاد تكون نصف اعمالي والنصف الآخر يجب ان أرمي به الى النسيان . وقد فعلت .

في البداية قررت : منذ الآن فصاعدا لن اكتب الا ما سيبقى . . . لكنني الآن دخلت في مرحلة جديدة ، انني افكر : كم هو رائع ان تمنح بصدق وان لا يبقى اثر . كم هو رائع ان تخلف اثراً . لكن الأروع هو ان لا تخلف اي اثر كان . . .

الليلة افكر : ما هو الأثر ؟ ما الذي يبقى ؟ وتلك الكلمات التي كتبت بدم الليل ونبض الصدق ، أحقاً انها لم تخلف اثراً لمجرد انها لا تصلح للنشر في كتاب ؟ اولئك الذين قرأوها حارة طازجة نابضة بالصدق كجسد طفل ، الم تطبع بطريقة ما ـ سلباً او ايجابا ـ داخل خلايا روحهم ؟ من يدري ، لعلهم في هذه اللحظة يترجمونها سلوكاً وافعالاً . . .

وفي الوقت ذاته افكر بنقيض النقيض : ان الفنانين لا يعدمون تبريرا لما يوجعهم ، وهم دوماً على استعداد لتوليد الافكار من اجل تعزيتهم الشخصية . . . وان عليّ في المستقبل ان اكون انتقائية لما اكتبه . . .

لكن غادة تصرخ من الداخل : كوني انت كيفما كنتِ ، وليكن ما يكون !

افكر ايضاً احياناً : ايتها المرأة ، ماذا لو اجهضت « الاثار غير الكاملة » ما تكتبينه الآن ؟ يرد صوت من داخلي باصرار : العمل الفني ليس ولادة قطة . . . انه يتطلب جهداً وتركيزاً واذا كان حقيقياً فالزمن لا يجهضه ولا الحب ولا الفراق ولا الهجر ولا اللقاء وانما يخمره . اقول لنفسي : ايتها المرأة ، الا تخافين ؟ ويرد صوت : بلى ، اخاف ، ولذلك استمتع بالاستمرار في لعبة اللاضمانات حتى مع عملي المقبل !

هذه هي آثار « هوسي » الجديد على جديدي . اني واثقة حيناً قلقة حيناً ، لكنني مستمرة ومستمتعة ! .

ثم ان احدا لم يقلق من اجلي حقاً طوال سنوات كفاحي لأستمر . حين جعت وتشردت وتمزقت لم يقلق احد على نتاجي . بل حين توقفت عن الكتابة القصصية تماما طوال ستة اعوام لم يقلق احد من اجلي . فقد عملت بين ١٩٦٦ ـ ١٩٧٢ في الصحافة وكان عملي يستنزفني وعجزت في خلال تلك الفترة عن اصدار اي جديد كان ، ففي العام ١٩٦٦ صدر كتابي ليل الغرباء ، وكان عليّ ان انتظر حتى العام ١٩٧٢ حتى يصدر « رحيل المرافىء القديمة » .

وحين نزفت وسقطت وتعذبت ، لم يقلق أحد على جديدي طوال اعوام طويلة .

فـما سر هذا الحـرص المفاجيء عـلى « جديـدي » ؟ لقد تعـودت عـلى الـطيـران **فـوق** مستنقعات الرمال المتحركة التي طالما حاولت ابتـلاعي فلا خـوف علي اليـوم من **أهون** « محني » !

● **ولكن ما هي اسباب تسميتك « الاعمال غير الكاملة » ؟**

ـ ولماذا تكون لـدي اسباب ابعـد مما اعلنت ، وانـا امرأة الصـدق الى ما هـو ابعد من الجنون ، اي الصحو ؟ حسناً . لاساهم معك في اتهام ذاتي ، فالمعرفة متعة ـ معك او ضدك ـ ماذا لم تعلنيه يا غادة ؟ لا شيء بالضبط . هنالك فقط شيء صغير خبيث مختبيء في ركن اللاوعي ، وله قناعه المشروع : انه لم يختبيء حقا ابدا .

انه رغبتي المستمرة في تدمير المكرسات . اريد ان ادمر التتابع الزمني في اصدار ما تعـارفوا عـلى تسميته « بـالاعمال الكـاملة » ، والتي تصدر عـادة بعد وفـاة الاديب او شيخوخته ، واريد ان يكون اسمها هذه المرة « الاعمال غير الكاملة » .

واريد ان اصدرها حينما اشاء لأنني اشاء واريد ان ادمر التقاليد المتعـارف عليها بهذا الخصوص ما دامت ظروف الحرب اللبنانية قد خلقت حاجات جديدة وهي امكانية احـتراق ما كتبت مـرة جديـدة كما احتـرق كـل شيء منـذ سنتـين . اريـد ان اصـرخ باستمرار: لا شيء ثابتاً ، غير ثبات الانسان في وجه المكرسات وقدرته على تدمير ما كان يجب تدميره منذ زمان طويل . اريد ان اقضم تفاحة عطائي من اية ناحية اشاء وكيفما اشاء واقذف بها حينما يحلو لي رافضة صحن التقاليد وسكينه وقفازاته . الا ترى معي ان (التقاليد الادبية) اكثر بؤسا من التقاليد الاجتماعية لأنها مجرد امتداد لها في حقـل من المفترض انه وجد اصلا لرفضها وبيان هزالها ؟

● **ماذا تشعرين حين تنظرين الى الوراء ، الى رحلتك الطويلة ؟**

ـ رحلتي الطويلة ؟ ولكنني لم ابدأ بعد حقا . صحيح ان كتابي الاول (عيناك قدري) صدر اواخر عام ١٩٦٢ وان ست عشرة سنة انقضت منذ ذلـك اليوم وآلاف السـطور والكلمـات والكتب اصدرتهـا بعد ذلـك ، ولكن ذلك لا شيء بـالنسبـة لمـا ارغب في تحقيقه .

باستمرار تتنازعني رغبتان : الموت ، فورا ، والعيش الى الأبد .

(الموت فورا) لأنني ما ازال افريقيـة الدفء ويـوتوبيـة السعادة ، والمـوت يحلو لتجميد اللحظة البديعة ، (والعيش الى الابد) حين ارى تلك المكتبات الشاسعة مثل درب معبدة للابدية تضم كل تلك الكتب التي لم اقرأها بعد ، والافق اللامتناهي حاملا

كل تلك الاتجاهات التي لم اطأها بعد ، وتلك الدفاتر البيضاء في المكتبات التي لم اسطر فيها جنوني وصحوي وحماقاتي واتزاني بعد . . .

اريد ان اعيش الى الابد ، واريد ان اموت في هذه اللحظة لانني قد لا اكون اكثر صدقاً والماً وتوهجاً وعطاءً ونزفاً وتوقاً في اللحظة التالية . . .

● **بعضهم يقول انك تجاوزت « الادب النسائي » منذ مجموعتك « رحيل المرافىء القديمة » .**

ـ اكرر: حين بدأت الكتابة ، لم اكن انوي الاشتراك في بطولة سباحة للنساء . كنت اكتب فحسب . وصحيح ان ارقام بطولة السباحة للرجال مختلفة ، وتتجاوز النساء ، وبالتالي تحتم وجود رقمين مختلفين للرجال والنساء ، لكنني لم احس ان ذلك له علاقة بالفكر . حين اكتب لا افكر بتجاوز النساء او الرجال وانما افكر بتجاوز ذاتي . انني اسابق ذاتي واسابق الزمن واسابق طاقتي على التفجر والجنون والنزف والابجدية والصمت والصمت . . .

● **لكل فنان بل لكل انسان هاجس لا يفارقه ما هو هاجسك ؟**

ـ لن اتنكر لجرحي ، ولن انظر الى نهر نزفي كما لو كان ساقية الجيران . . .

احمل ذلك كله ، واحمل اكثر منه . . . احمل هاجس حب لم يتحقق واحمل جنون البحث عن هاجسي الذي يستيقظ مع شروق كل شمس ، واعرف جيدا طعم ان تتنازل عن حبك كي لا تفقده وان تختار دور الشاهد بدلا من دور الضحية او الجلاد . واعرف جيدا معنى ان يكون للذاكرة لذع السوط ، واتقن اخفاء شهقة الشوق في مغاور حنجرتي . . . لكنني ايضا احمل بصدق عذاب المعذبين المستلبين بطريقة او باخرى ، لأنني من بعضهم ، واحمل عذاب لبنان المستعصي على « التغريب » حتى في غربته لاستعصائي على ذلك .

واحمل عذاب الوطن العربي الممزق بين التصاقه بجذوره وتطلعه الى المستقبل وبحثه عن الجسر بين ارض لن يدمرها ومستقبل لن يضحي به . .

ويخيل اليّ احيانا ان حياة الافراد هي مجرد حكاية اطفال مصغرة عن حكايا الشعوب والامم ، وانه بقدر ما يعي الفنان تلك العناصر الاساسية (الاساسية كجذور نبتة) بقدر ما يزداد اقترابا من ذاته ، وبالتالي من ابداعه ومن ادوات ذلك الابداع . . .

١٩٨٥/١٠/٣١

ميشيل النمري يستجوب

- اطالب بالحرية في وجه قوى القمع المتكاثرة
- الكلمة نافذة ، تستطيع ان تنظر خلالها باتجاهين صوب الافق الشاسع او الى داخل البيت الضيق .

عشرات الصفحات مزقتها ، غير آسف وانا اعيد صياغة المادة التي ساقدم بها غادة السمان الى القراء في هذا الحوار ، الذي لا اعرف كيف اصفه .

« الصفيف » الذي يلتهم الكلمات بشراهة عجيبة كان يلح علي ان اسرع بالخلاص من هذه المادة التي يفترض ان تسبق غيرها الى الطبع . ومدير التحرير يقف فوق رأسي متأففا من بطئي غير المعهود .

.. في احدى المحاولات كتبت عن ادب غادة ...

.. وفي مرة ثانية كتبت عن غادة الانسانة كما تعرفت عليها عبر سنتين لا يعادل مجموع ما قيل فيها من كلمات ، حجم ما قيل في هذه المقابلة .

.. وفي مرة ثالثة كتبت عن الصراعات التي كنت اخوضها مع بعض الاصدقاء والزملاء حول ادب غادة السمان .

.. عشرات المحاولات انتهت الى سلة القمامة والصفيف اللعين يلاحقني دون ان تأخذه رحمة او شفقة .

اخيرا اتخذت قراري بان يقدم « الحديث » نفسه بنفسه . قضية واحدة سمحت لنفسي فيها بالتدخل . اقصد الجانب التقني في الموضوع ، اذ صممت على ان تنشر هذه المقابلة بدون صور . سكرتير التحرير ضرب على رأسه مستنكراً ، فالمقابلة بالنسبة له بصورها .

لا اعرف لماذا شعرت ان الصور من شأنها ان تضعف من قيمة هذا الحديث .
غادة قالت اشياء كثيرة ، جميلة ولطيفة ، وأشياء اخرى سوداء ، وتثير الحزن في الصخر . . .

● **غادة . . . ماذا تعني لك تعابير كـ « السياسة . . . الايديولوجيا . . الاحزاب . . . السلطة » ؟**

ـ تعني لي تماما ما تعنيه تعابير كـ « التكنولوجيا . . . الكهرباء . . . العقاقير . . . الطاقة الذرية » . كل شيء يتوقف على طريقة استعمالها والغاية منها ، ولماذا وكيف ، ومن !

● **هل يمكن ان تكوني متصالحة مع « سلطة » دنيوية !**

ـ قديما قالت العرب : « الصلح سيد الاحكام » ، وذلك خير لي من الدخول في حكاية الصلح مع السلطة « الدنيوية » ، ناهيك عن السلطة « الدينية » !

● **كتبت في وقت من الاوقات عن رموز وصفت في حينها بانها رموز مناضلة . . اين اصبحت هذه الرموز ؟ هل تلتقين بها ؟ وماذا لو عدت للكتابة عنها مرة اخرى . . . هل ستبقين عليها كما كانت في اللقاء الاول ؟**

ـ الرموز تزداد توهجا . صحيح ان بعض الذين كانوا يمثلونها قد سقطوا بمعنى او بآخر ، لكن خيانة « انسان » لا تعني لي التخلي عن « الانسانية » . لو عدت للكتابة عنها ـ وهذا ما افعله باستمرار ! ـ لكتبت بحرارة اكثر ، وبحب اكبر ، ولكن بحذر . بحذر من لدغ من جحر اكثر من مرتين لكنه يعرف ان الجحر مسكون بعشرات الكائنات الملدوغة مثله .

● **أتخيل انك على خصام دائم مع الانظمة والقوانين . . . مع كل ما له علاقة بـ « السلطات » . كيف تجدين السبيل الى الحصول على ما يكفيك من الاوكسجين مع هذا الحجم الهائل من « السلطات » ؟**

ـ في البداية تعلمت حرفة « التنفس الفكري الغلصمي » تحت الماء على طريقة الاسماك . وحين صارت المياه مكهربة خرجت الى الاختناق ومت عدة مرات ريثما تمرست في فن تنفس الحقد على سارقي الاوكسجين ، واتضحت لي الصورة : ليس بوسعك التنفس وحدك ، فالرئة الفكرية جماعية ، ومن الضروري التكاتف لمحاولة استعادة الفضاء لنا جميعا . بالمقابل انك لا تستطيع التنفس بحرية بينما يدك تربط كمامة على انفاس اخيك !

● **ماذا يفعل المثقفون بالسلطة لو قدر لهم ان يتسلموها ذات يوم ؟**

ـ آمل ألاّ تفعل هي بهم (اي السلطة) وتعيدهم الى الأمية !

● **هل فكرت ذات يوم بالتوجه إلى العمل السياسي بشكل مباشر وبالمعنى الشائع ؟**

ـ لا . لم . لن . لا اصلح له « بالمعنى الشائع » .

● **هل تقبلين مثلا بترشيح نفسك لرئاسة جمهورية عربية متحدة من المحيط الى الخليج ؟**

ـ لا ، لان روح المنافسة منعدمة عندي في هذا المجال !

● **اذا فرض عليك ان تختاري بين قراءة خطاب لزعيم سياسي او حل كلمات متقاطعة في صحيفة « رخيصة » فايهما تختارين ؟**

ـ اختار الكلمات المتقاطعة الاكثر طرافة : خطاب السياسي . (لي ملاحظة على صيغة السؤال : التعميم في هذا المجال تعتيم على بعض الذين احترمهم) .

● **متى تشعرين « بالقرف » من الكتابة ؟ هل فكرت ذات يوم بالرغبة في التوقف عن ممارسة رسم العوالم الخاصة بك ؟**

ـ لا اشعر ابدا « بالقرف » من الكتابة . لكنني اشعر احيانا « بالقرف » من طريقة البعض في القراءة ، وبالتالي اشعر بعدم الشهية في الكتابة ، او بعدم القدرة على الكتابة او بالخوف من استخدام كلماتي لغير الغرض المقصود منها .

● **وسط هذا الركام من « الانتاج الادبي » المبرمج الذي يبعث على الكآبة والمحيط بنا من الجهات الست . كيف يمكن لمن يكتب عن نبض الحياة ان يستمر ؟**

ـ انه يستمر ، لا بالرغم من ذلك ، بل بسبب ذلك ! وسط هذا الركام تتوهج شهية الاستمرار وتستيقظ حاسة التحدي المقترنة بالدهشة : ها انت من جديد مضطر لاثبات كروية الأرض . . . الى آخره . . . الى آخره . . . إلى آخره . . . يا للهول !

● **كيف يمكن ايقاف مهزلة صفحات « الاعلانات » الثقافية في الصحف اليومية ؟ اذا كنت تشاركيننا هذا الرأي ، فهل لديك برنامج . . . فكرة ما . . اي شيء يمكن ان يساعد على التخلص من « ادب » الاعلام والدعاية ؟**

ـ ولماذا ايقافها ؟ ولماذا التخلص مما تدعوه بالركام الادبي ؟ لقد نبتت الاعمال الجميلة دوما وسط الركام والهشيم دون ان يحول ذلك بينها وبين النمو ، كما تنمو ازهار الصخور . إن ما يدور حدث دائما ، وسيحدث الى ما بعد زمن طويل . لا تنسَ يا عزيزي ان العمر البيولوجي للانسان قد يعود الى ما قبل مئات الآف السنين ، لكن

عمره الانساني ربما لم يبدأ بعد !.

● **هل حدث وان ضبطت ذات يوم قارئاً يتلصلص عليك من وراء كلماتك المطبوعة ؟ مثل هذا القارىء هل هو نموذجك المفضل ، ام انك تبحثين عن قارىء له مواصفات اخرى خارقة ، يدفعك الى السهر طويلا بحثا عن الفكرة والكلمة التي تضاعف من عدد نبضات قلبه ؟**

ـ الكلمة نافذة : تستطيع ان تنظر خلالها بطريقتين وفي اتجاهين مختلفين . تستطيع ان تتلصص عبرها على ما يدور داخل البيت ، وتستطيع ان تقف بالاتجاه الآخر لتحدق عبرها في الافق الرحب وتستطيع ان تمارس الأمرين .

انا شخصيا اترك لقارئي الحرية في ان يكون نفسه وان يقرأني كما يشاء . حين اكتب ابذل حقا كل ما بوسعي للاقتراب من النار المقدسة والتسلل الى صندوق الآثام ، لكنني لا أتعمد زيادة نبضات قلب قارئي الا اذا كانت تلك هي الوسيلة الوحيدة لاقناعه بانه حي ومن واجبه ان يفعل شيئا ما بحياته تلك . . كالانتحار مثلا !!

● **بصراحة ، لمن من الادباءالعرب تقرأين ؟ ثم الا يغريك الوصول الى حالة من الاحساس بمساعدة القارىء على الوصول الى العمل الجيد ؟ استطرادا ، الا تفكرين بممارسة « بدعة » كتابة النقد الادبي ؟**

ـ ولماذا تعتقد ان البوح باسماء الذين اقرأ لهم يحتاج الى (الصراحة) ؟ وهل تجد المناخ الادبي ارهابيا الى هذا الحد ؟ وبعد هذا الانطباع (القمعي) الذي خرجت به من سؤالك ، لماذا تريد توريطي في (النقد) وانت تعرف انني قد درست بعض اصوله ، لكنني لم ادرس اصول الكاراتيه بعد !

● **من من الشعراء العرب تقرأين له ولا ترتاحين لما يكتبه ؟**

ـ الحطيئة !!

● **هل تشعرين انك مع « منشورات غادة السمان » قد تحررت فعلا من قيود دور النشر ؟**

ـ نعم تحررت من قيودهم ، وسقطت فريسة قيد صنعته بنفسي !

● **حينما تتصارع غادة الادبية مع غادة الناشرة الى جانب من تقف غادة المحايدة ؟**

ـ غادة المحايدة غير موجودة . . . هناك فقط غادة الكاتبة والصراع غير موجود بسبب صدفة رائعة هي ان زوجي ناشر يعرف مدى ارتباك غادة النشر ، فيأخذ عنها عملها مشكورا .

● **غادة الاديبة . . غادة الزوجة . . . غادة الام . . . غادة العاشقة . . . غادة ربة العمل . . . كيف استطعت ان تجمعي كل ذاك في غادة السمان ؟**

- لم استطع بعد ، وما زلت اتعذب !

● **هل تخشين الشيخوخة ؟ ماذا تفعلين لمواجهتها ؟**

- الانسان لا يخشى ما حدث له منذ زمن بعيد ، ولعدة مرات !!!

● **هل توصلت الى رأي قاطع بشأن المكان الذي تذهب اليه الروح لحظة خروجها ؟ وهل يساعد ذلك في الخلود الى الاطمئنان ام انه يبعث على المزيد من القلق من وجهة نظرك ؟**

- يبدو ان الروح تحب النزهة والتشرد وتكره الاقامة الاجبارية ولا تكتب الرسائل او البطاقات البريدية ولا الاحاديث الصحافية . . . وهذا جميل ! . . . ثم إنني لا ابحث عن الاطمئنان ، ولا عن المعادلة التي تحيل المعادن الى ذهب !!!

● **باستمرار كنت تبحثين عن « حب آخر » او عن زمن لـ « حب آخر » هل هناك خط احمر ينتهي عنده هذا البحث ؟**

- نعم هنالك خط احمر ، ولكن يبدأ عنده هذا البحث !

● **ما الذي ، يغريك في التحديق بالاشياء من وراء نظارة سوداء ؟ هل يساعدك هذا « القناع » على رؤية الاشياء بوضعها الاكثر قربا الى الحقيقة ؟**

- النظارة السوداء تساعدني على رؤية الاشياء ، وانا بوضعي الاكثر قربا الى حقيقتي !! . . . فانا احب دور المتفرجة ، لا دور البطلة . المتفرج يتقمص الجميع . البطل يتقمص ذاته فقط . ككاتبة احب دور المراقب . احب ان ارى لا ان اكون « المرئي » . حين ارتدي النظارة السوداء . اكون كمن رفع علما ابيض دلالة اعلان السلام على من حولي ، مع دخولي في برج المراقبة غير العاجي حيث اكونهم جميعا القاتل والقتيل في آن معاً . . . !

● **اشعر ان غادة المرأة التي قاتلت من اجل حرية من نمط معين للمرأة العربية قد تراجعت قليلاً باتجاه الانسجام مع السائد . هل هو ضغط الواقع ام الشعور بالاحباط ، ام ماذا ؟**

- لقد تراجعت باتجاه الجوهر ، وتخليت عن المعارك الهامشية الاستعراضية . لقد تراجعت باتجاه قلب المعركة ، حيث المطلوب ليس مجرد « حرية من نمط معين للمرأة العربية » ، ولكن المطلوب هو الحرية للفرد العربي ذكرا وانثى في وجه قوى القمع

المتكاثرة التي تدمر محاولاتنا لارساء قواعد ديمقراطية حقة وعدالة لكل فرد في المجتمع ، لا لبعض نساء بلادي فقط .

● **ماذا فعلت بك الحرب ؟ اقصد غير ذلك الذي تعرفنا عليه في « كوابيس بيروت » هل تركت شيئاً من تلك الحرب للاحاديث الشفوية مثلا ؟**

- الحرب ؟ ايهما ؟ الحرب الماضية ام الآتية ؟ ما يفعل بي الآن هو دبيب الحرب الآتية . أحسها قادمة نحونا . . .

● **بودي ان تجيبي على سيل الاسئلة التي تدور في ذهني ، والتي لم اجد سبيلاً الى تدوينها . هل لك ان تتركي لقلمك ان يعبث قليلاً في نهاية هذا اللقاء المبعوث لاسلكيا ؟**

- يا لشراهتك الابجدية يا عزيزي ميشيل . . . اذ ماذا كنا نفعل حتى الآن ؟؟؟

١٩٨٣/٦/١٣

مندوب مجلة الأفكار يستجوب

● الشكوك هي الموصلة الى الحق

غادة السمان واحدة من ظواهر العصر . انها الكاتبة التي اختارت لطريقها عربة غجرية ، لا هودج اميرة ، ورحلت في عيون الناس واعماقهم عبر سلسلة من الكتابات والكتب ، او هي القطة البرية على سقف عربي ساخن . وكما ارتدى شاعر الجيل نزار قباني « روب » الدفاع عن المرأة في المحاكم الشرقية ، كذلك اختارت غادة السمان ، كاتبة الجيل بدورها ، ان تقف وراء منبر الدفاع عن الرجل . فالمرأة المظلومة عند نزار يقابلها رجل مظلوم عند غادة . وضربة كرباج من شاعر « رسالة من تحت الماء » على ظهر الرجل لانه اذل المرأة في بعض الاحيان ، يلعلع امامه كرباج من غادة السمان على ظهر بعض النساء لانهن لم يعرفن قدر الرجل كما ينبغي ، ولم تفهم الواحدة منهن كيف تقول لرجلها « عيناك قدري » .

● ما عدد مواليدك الادبية حتى الآن ؟

ـ دزينتان .

● اي المواليد احدث لك شيئاً من المتاعب ؟

ـ كلها . فأنا لست كاتبة مقولات اجتماعية جاهزة ، ولا خطاطة كليشيهات مستهلكة .

الكتابة عندي موقف من الاشياء يرفض لغة الزيف والاقنعة ولا يملك الا تعرية عالم من الاكاذيب . . . والفنان هو طفل الأسطورة الذي قال للسلطان: ولكنك عار أيها السلطان . هذا ، بينما كان الجميع يتدحون جمال حلة السلطان العاري وبهاء ثوبه الموهوم . . .

وإذا كانت الصحافة مهنة البحث عن المتاعب ، فان الادب مهنة اعلان الحب على المتاعب . . .

مجموعة من كتبي ممنوعة في هذا القطر او ذاك ، او ممنوعة بأكملها . . . وحينما (اتبلغ) نبأ من هذا النوع ، لا اغضب ، ولا ادهش ، بل اجده حصيلة طبيعية

للتصادم بين الفنان الجاد في عمله ، والنظام الجاد في قمعه . . . شيء واحد يؤسفني ، هو ان المجرم يلقى في بعض الاقطار العربية معاملة افضل من تلك التي يحظى الكتاب بها . . . فالقاتل او مهرب المخدرات قد يحظى بمحاكمة ، ويسمح له بالدفاع عن نفسه ، أو يقال له ما جرمه قبل ادانته . . . اما الكتاب فلا . . . ان احداً لا يكلف نفسه عناء قول حيثيات الحكم . . . ولماذا منع هذا الكتاب . . . ولماذا قصت تلك الصفحات ؟ وما الذي اغضب السلطات في هذه الاسطر او سواها . . . ان الامر يتم في جو من التعتيم الذي يقطر استخفافاً بالكاتب . . . معظم الانظمة ما تزال تتوقع من الاديب ان يؤدي نمرة تهريجية او دعائية في سيرك السلطان وسط زحام المتملقين ومتسولي الوجاهة . . . هذا جوهر الخلاف بين الفنان الصادق ، وبعض الاجهزة العربية . . .

● **هل ستكتفين بالنشر بالعربية ، ام تفكرين بترجمة كتبك الى الفرنسية والانكليزية ؟**

ـ تمت ترجمة بعض اعمالي الى تسع لغات اخرى منها الفرنسية والانكليزية وانجز طبع بعضها الى اللغات الروسية والبولونية والرومانية والاسبانية والفارسية والالمانية وغيرها من اللغات الحية .

● **لماذا اخترت الاستقلال في النشر ، مع ان زوجك الدكتور بشير الداعوق صاحب دار نشر رائجة ؟**

ـ صرت اتوجس شراً من الزيجات « الشاملة » التي تتحول احياناً إلى اداة تدميرية للفن والبيت معاً . . . افضل ان يكون جوهر الزواج هو التعاون ، لا التلاحم الكلي المستحيل ، وانا افضل الرفقة الانسانية والعملية في ظل احتفاظ كل من الزوجين باستقلاله الفكري والمهني .

هنالك واقع لا يستطيع اي عاشق تجاهله : كل فرد عالم مستقل بذاته ، والزواج لا يلغي هذه الحقيقة ، وليس مطلوباً ان يلغيها . . . استقلالي في العمل الصحافي في مجلات اخرى غير المجلة التي يصدرها زوجي (مجلة دراسات عربية) ، وفي دار للنشر مختلفة عن داره الناجحة ، خاصة بي هي « منشورات غادة السمان » تكريس لحقيقة انسانية يعرفها الجميع ويتكتمون : الزواج لا يجعلنا « واحداً » لكنه يجعلنا حلفاً واحداً في مواجهة شراسة الاقدار والايام . . . ويظل لكل اسلوبه في المقاومة . . . وانا افضل بناء حياتي الزوجية والعملية انطلاقاً من صدقي الداخلي لا من المجاملات الموروثة . فالصدق صخر قد يخدش قليلاً ، لكنه يصلح اساساً متيناً للعلاقات المتبادلة . . . والكذب ليس ملحي . . .

● كان لك سلسلة من المقالات عن تقمص وتحضير الارواح بين لندن وبيروت . . . فلماذا لم يكن لك كتاب عن عالم ما وراء الطبيعة ؟ ام ان الحب يبقى الموضوع المركزي للكاتب او الشاعر ؟

ـ في كتابي « السباحة في بحيرة الشيطان » الصادر عام ١٩٧٩ تعبير عن ولعي بعالم ما وراء الطبيعة واسرار النفس البشرية ، وفيه تجارب عملية مع : السحر ، الجنون ، المخدر ، التقمص ، اسرار الدماغ ، التنويم المغناطيسي ، الشيطان والراقي ، جيراننا في الكواكب والمجرات الاخرى . . . وأعترف ببساطة ، انني كنت اتمنى متابعة درب الاسرار هذه التي تشدني إليها ، وتوقد في اعماقي القاً روحياً مسكوناً بالاضواء النائية كالنجوم وظلالها اللامرئية . . . لكن واقعنا اللبناني اليومي يجر الفنان من اذنه كالطالب الكسول الهارب الى الغابة ، ليرمي به في بحر الاحداث الواقعية الفاجعة المتلاحقة . . . ليس سهلاً تحضير الارواح تحت ظلال القصف والحواجز في زمن ترتجف فيه الاشباح ذعراً . . . وتقضي نحبها ! . . . اتمنى ان تهدأ (الاحوال) بحيث نعاود حوار الهمس الكوني مع الاسرار . . .

● في معادلة متداولة ، ان الشاعر نزار قباني انتصر للمرأة ورفع لواء تكريمها ، وانت انتصرت للرجل واعطيته الموقع الذي يستحق ، ما حقيقة هذا المفهوم ؟

ـ هذا صحيح . . . وجوهر هذا المفهوم هو الانتصار للمحبة اينما وجدت ، وللانسانية في اي جسد تقمصت . . . الانتصار للانسان بعيداً عن التطرف (الشوفيني) الهزلي . . . ان كوني امرأة لا يعني ان انتصر للخطأ المؤنث ضد اي شيء آخر . . . انا مع الضوء ، وإذا كان قنديله جسد رجل ، فلماذا ارفضه ؟

● معروف عنك انك تكتبين عن بيروت وأنت في عزلة لندنية او بجولة سويسرية . فهل الكتابة عن بيروت من بعد ايسر للمؤلف من الكتابة الميدانية ، ولماذا ؟

ـ ارحل ، لانفرد بصوت قلبي . حينما اكتب اصير مرهفة كجرح مفتوح ، شرسة وبرية وعاجزة عن التكيف مع (الاعيب) الحياة اليومية . . . حينما ارحل ، اسافر من القشرة الى الجوهر ، ومن اسفلت بيروت الى روح بيروت . . . وقلبها . . . نحن لا نرحل حقاً عن الاشياء حين نبتعد ، لكننا احياناً نرحل اليها ، ونكون اكثر قرباً من كل لحظة سابقة . . . فالبعد يلغي التفاصيل الهامشية ، ويجعل النظرة اكثر شمولية . . . كأن الوصل يشوش (موجات) البث والحب لا تتضح صورته الا في مرآة الفراق . . .

وزنابق الفن لا تتفتح الا فوق برك العزلة النائية ، تحت ضوء قمر غريب في غابات منسية . .

● **هل تعتبرين كتبك وعاء لمشاكل العصر ؟ وهل هناك مواضيع « تابو » تحبين ان لا تطرقي على بابها ؟**

ـ انا لست كاتبة (برجعاجية) ، وبالتالي لا مفر لحروفي من ان تمس مشاكل قومي وانعكاس العصر عليها . . . وانا كاتبة مقاومة بمعنى ان حروفي لا تقرع الا ابواب الـ «تابو» ، إذ ما جدوى مناقشة ما ليس موضوعاً للمناقشة ، الفكرة الاساسية التي تستولي عليّ هي انني « مواطنة » عربية ، مصرة على حقها في مناقشة مفهوم « المحرمات ـ التابو» ، وتمييز ما هو «حرمان» غير عادل لي من بعض حقوقي الانسانية البديهية. . . إنني انادي بضرورة اعادة النظر في هذا الركام الهائل من الـ « تابو » وغربلته ، ونبذ ما اسقطه الزمن وضرورات الحياة والتطور ، والتمسك بما قد يكون انساني الجوهر وعادلاً . انني لا ادعو الى نسف غبي شامل « للمحرمات الاجتماعية » ، بل الى اعادة النظر فيها . . . وحروفي لا تتورع عن قص الشريط المكهرب الذي سورت به طيلة عصور . « . . . الشكوك هي الموصلة الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقي في العمى والضلال ـ الغزالي» ، وانا مصرّة على ممارسة حقي في الشك بكل المقولات الاجتماعية الموروثة . . . .فاليقين هو الوجه الثاني لعملة الشك .

● **من هو السياسي الذي لفت نظرك كأديب ؟**

ـ محمود درويش .

● **ومن هو الاديب الذي ينفع للاشتغال بالسياسة ؟**

ـ منح الصلح .

● **اختارت اذاعة لندن كتابك « ليل الغرباء » لتحويله إلى مسلسل اذاعي ، من بطولة امينة رزق وعماد حمدي . فهل تشوه العمل الادبي في رأيك وهو يدخل ثقوب الميكرفون ؟ ام اعجبتك التجربة ولا تمانعين في تكرارها ؟**

ـ لم يتشوه العمل وانما اعيد خلقه اذاعياً وهذا هو الامر الطبيعي . . . كل عمل ادبي يعد كمادة اذاعية او تليفزيونية او سينمائية ، لا بد وان تعاد كتابته بلغة تليفزيونية او سواها . . . اي بلغة اخرى هي اداة البث . . . وللاديب ان يرضى بذلك او يرفضه . انا شخصياً بنت هذا العصر ، وأنتمي الى تطوير الاداة الابداعية ، وللوصول الى قلوب

الناس ارضى بأي جسر خلاق له « مستوى لائق » . . . وقد اعجبتني التجربة ، وارحب بالتكرار . . . ما ارفضه هو ان يطلب مني كتـابة السينـاريو ، كـما هو الحـال في معظم العروض السينمائية والتليفزيونية التي تقدم اليّ . . . لانني حالياً غارقة في العمل الذي يروقني ، ولا اميل كثيراً الى كتابـة السيناريـو حتى لاعمالي ، وافضـل ان يقوم بـذلك « اخصائي » . . . فالفن علم واختصاص ايضاً .

● **هل ما زال الثوب الغجري بشكل عام يحلو لك ، ام ان الثمانينات فرضت عليك لوناً آخر من الادب ؟ وما هو ؟**

- في اعماق كل انسان طفل مرح يحب ان يرصع شعره بالازهار والنجوم ليرقص عـلى شطآن الدهشـة وللاحتفـال بـالحياة والشمس . . . هـذا الشعور الجميـل عتيق عرفـه انسـان الكهف منذ اقـدم العصور ، ومـا زال . . . واحيـانـاً يـربط النـاس بـين هـذا الاحساس ، وظاهرة اجتماعية ما في مرحلة زمنية معينة . . . كما « هيبية » الستينات .

انا اعي انني في زيارة قصيرة على هذا الكوكب ، وان الفرح ليس خطيئة ، وان اشاعة البهجة وكهارب الضحـك المتوهـج قضية مستحبـة دائماً حينـما تنبع من اعمـاق المرء . . . واحاول ان اعكس ذلك باستمرار في ادبي ، الى جانب الوجه الآخر للحقيقة البشرية : الالم ، الموت ، الحزن ، الحرب ، الكوارث الـطبيعية ، الفـراق ، هشاشـة الحب المضيء والعـابر . . . الثمـانينات تـأتي متجهمة ، حـاملة لواء الحـرب النوويـة والمصائب . ينعكس ذلك طبعاً على وعي الفنـان العام بشتـاء مكفهر لـلانسانيـة . . . ولكن ، تظل في اعماق القلب رقعة تشرق الشمس فيهـا بعض الليالي . . . وتستحق هذه الرقعة ان نحافظ عليها ونرعاها .

يتحدث الناس عن « رجوع الشيخ الى صبـاه » ، وارى ذلك غـير ممكن ، لان الشيخ لا يفارق صباه ليرجع اليه . . . وفي اعماق كل انسان يظل ذلك الطفل العتيق البريء حياً ، يستعيد ذاته احياناً في ومضة فـرح حاذقة ، ويعود بريئاً ونقياً ومتفجراً مثل اي تمساح استوائي صغير يطارد ذيله بحبور فوق الرمال الحارة . . .

ومن جهة اخرى ، من لا يراهق صغيراً ، لا ينضج فيما بعـد ، وانما يجـد نفسه منزلقاً من عالمه ليراهق سراً . . . ويخيل اليّ انه من الافضل ان يعطي المرء كل سن حقها عليه ، ويركض عاري القدمين على ارصفة البهجة صغيراً ، كي لا يتسلل اليها في سن النضج ، منافساً اولاده على قطف عناقيد العبث .

● ما هي حدود الحرية في مفهوم غادة السمان إذا سألتها عنها بنات الجيل ؟

ـ لا حدود غير المسؤولية . ان يكون المرء قادراً على تحمل مسؤولية اعماله علناً ، امام الناس جميعاً دونما خجل وبكل قناعة . وذلك لا يتوافر في نظري لغير الصبية العاملة . . . فالعمل هو الشرط الانساني الاساسي للحرية . . لا نريد حرية ذئب يهيم على وجهه في براري التخدير . . . نريد حرية ضمن شرطها الطبيعي الاجتماعي . . . نعمل ، ونكون ، نقرر وننفذ ، وندافع عن خيارنا شرط عدم التنصل في حال الخطأ . . . اي قبول المسؤولية الاخلاقية عن افعالنا ، او عدم الاقدام عليها اصلاً .

● في كتابك « الجسد حقيبة سفر » تحدثت عن حكايات الى الامير الصغير في بغداد . فمن هو هذا الامير الذي عرفته باسمه الاول بشار ؟ وما هي قصته معك ؟

ـ الامير الصغير هو اي فتى عربي في العاشرة من عمره او اكثر قليلاً . .

وقصتي معه هي أنني فوجئت بانهم يسمون الاطفال بـ «الجهال» . . . ولو انصفوا لاسموا بعض من تجاوز سن الطفولة بـ « الجهال » . فالمآسي التي تدور في عالمنا العربي يصنعها الكبار الذين يثبت معظهم « جهله » عملياً ، لا الاطفال الابرياء امثال بشار . . . لقد سقط الكبار في شرك الحياة ، وتحنطوا نهائياً في اطاراتهم الاجتماعية والتزاماتهم وتحولوا الى « جهال » عاجزين عن مطاردة غزال الحقيقة المراوغ الراكض في غابات الابدية . . وللاطفال وحدهم امكانية متابعة صيد الفرح في عالمنا الحزين ، والتحديق بعيون جديدة في كوكب هرم عتيق انهكه تدمير الذات والآخر . . .

١٩٨٣/١٠/٢٤

نصري عكاوي يستجوب

● من حق البوم ان يتشاءم هو من البشر
● الكاتبة العربية قدمت شرارة ثورة للمرأة العربية .

● غادة السمان مسرفة في كل شيء ، الى درجة انها لا تترك للموت شيئاً يسرقه منها ، فهل تأخذين بذلك موقفاً من الموت ام من الحياة ؟

- كان لي صديق (جبلي) عزيز ، يتناول كل صباح زجاجة (خطيئة) مع إفطاره ، بينما أنا أرشف قهوة الصباح ، وزوجته تحاضر عن موته المحتوم بتشمع الكبد . المسكين مات برصاصة في كبده ولما يتجاوز الثلاثين من العمر .

لي صديقة لا تدخن ولا تشرب الكحول محتفظة ببكارة رئيتها لدود المقابر ، ولا تتزوج خوفاً على مشاعرها من الخيانة ، ولا تنجب الاطفال خوفاً من الترهل ، ولا تستحم خوفاً من الغرق . . . وهي الآن تعيش سعيدة في مصح عقلي .

موقفي هو النقيض . . .

انا أعي بوضوح انني ضيفة على هذا الكوكب ، لا ادري من اين جئت بالضبط والى اين أمضي بعد زيارتي ، كل ما اعرفه هو انني الآن هنا . . وان الموت والحياة وجهان لعملة واحدة هي الحضور الانساني العابر . . . وكل لحظة حياة تحتوي ضمناً لحظة موتها ، فالموت لا يزورنا مرة كما نتوهم ، لكنه يرافقنا باستمرار ريثما نرحل معه . . . وضربات القلب هي ضربات الطبل الذي يعلن مسيرتنا نحو القبر . . .

انني اعي بشراسة مدى هشاشة الوجود البشري ، وكم هو عابر وزائل ، ولكن ردة فعلي ليست سلبية . . . انني لن اعلن الاضراب عن الحياة لمجرد انني سأموت ، بل سأعلن الاضراب على الموت ما دمت حية . . وسأكافح ذلك الموت اليومي البطيء المسمر ، موت حرارة القلب ، موت الرقة والعذوبة ، موت الصداقات القديمة

واللحظات الدافئة الحنون وبقية اشكال الموت الأخرى التي نمارسها في كل لحظة إرادياً حين نتحنط ونتبلد وتذوي في قلوبنا شهية التبديل نحو الافضل، وتتحول أحلام المراهقة لبناء عالم أفضل الى كوابيس بلا نهاية . .

يوم وعيت حضوري الروحي والفكري والجسدي في هذا الكون ، قررت ان أساهم قدر الامكان في ان يكون كوكبي - يوم أغادره - أقل بشاعة مما كان لحظة وصلت . . . وذلك لا يتم بغير الاسراف في العطاء والحب بمعاني الكلمة كلها ، وعلى الصعيد العام والشخصي . . . وبكل طاقات الفكر والجسد . ويوم تقلع بي طائرة الموت ، اتمنى ان احدق في صالات الترانزيت الكثيرة التي مررت بها هنا ، وأراها تشتعل بالمحبة والحنان والتعاطف . . . بكل اسراف . . .

● **حياة غادة السمان تعتبر رواية مكتملة العناصر التشويقية فهل فكرت بكتابة سيرة حياتك . وهل حدث أن استوحيت من صدف حياتك حوادث لرواياتك ؟**

- لدي شهية مفرطة لكشف الحقيقة في ذاتي والآخرين . . . بعض العرب يهربون بوجه عام من مواجهة كل حقيقة غير تقليدية في اعماقهم . . . يخافون ويرتبكون وسيف التزمت المحنط مسلط على صدقهم . .

من هذا المنظار أشعر برغبة في كتابة مذكراتي ذات يوم . وحياتي قد تكون رواية مشوقة وقد لا تكون ، لكنها ستكون سيرة مواطنة عشقت الحرية في زمن القمع العربي ، وعشقت الصدق باسراف في زمن التقشف في الحقائق ، ومرحلة تصنيع أقنعة للكلمات والخلجات . . الزيف يجتاح حياتنا في مختلف المجالات . . . اقرأ مثلاً ما يكتب من أقوال بعض السياسيين والقادة . . . انك ستفهم الشيء ونقيضه في آن ، وبالتالي لن تعرف شيئاً على وجه التأكيد . . . لقد نشأت لغة جديدة تحرص على عدم تسمية الاشياء باسمائها ، وصارت لمشاعرنا (أسماء حركية) وتعابير رمزية ، وتحولت اللغة الى أداة هلامية لتمييع المعايير والمفاهيم بدلاً من تطوير القيم الانسانية والفكر البشري . . .

كمواطنة متلبسة بالصدق والغضب ، سأعلن حياتي بكل هزائمها وسقطاتها كدعوة لافتتاح مرحلة جديدة من مصارحة الذات على الاقل . . . تلك المصارحة التي تعتبر الخطوة الاولى في درب اي حوار انساني وتبادل في الخبرات والمعارف املاً في صنع حيوات أفضل للآخرين . . .

تسألني هل استوحي من حياتي لرواياتي ؟

الجواب ببساطة : نعم ولا .

فالكاتب الذي ينفي العلاقة بين حياته وحرفه نفياً باتاً هو كاذب . . .

والكاتب الذي لا تجد في حرفه غير حياته هو كاتب رديء . ثمة مزيج خاص غامض وفقاً لصياغة سرية تلقب عادة بالابداع . . . فيها من حياة الكاتب ومن حياة مجتمعه والاحلام الجماعية لقومه في مرحلة تاريخية معينة .

● أيهما يفجر المبدع ، برأيك ، الحب الحنون ام العلاقة المحمومة ؟

ـ العلاقة المحمومة تفجر المبدع، لكن الحب الحنون ضروري لاحتضان ذلك الانفجار وسكبه في مجرى الخلق والكتابة . .

العلاقة المحمومة كالشلال الأهوج ، والحب الحنون هو المجرى الذي يحتوي هيجان المياه ويحولها الى ما يروي بذور العطاء ، بدلاً من فيضان يكتسح وجود الفنان ويزلزله ويقتلع ما تقدم من أشجاره ، وما تأخر من براعمه . . .

● ايهما كان له الحضور الأبرز في حياتك الادبية ؟

ـ لأنني هوجاء مثل قطة برية اشتعل ذيلها تركض في غابة ، أشعر دوماً بالحاجة الى حب حنون ، يظللني من بعيد كغيمة دون ان يحاول بناء الاسوار حولي بحجة حمايتي . .

والحضور الأبرز في حياتي الادبية هو للحب الحنون الهادىء الذي يدفىء دون ان يحرق ، ويفسح المجال لحروفي كي تتبلور في مناخ صحي متوازن عقلاني . .

● كانت المرأة الشرقية تستأثر وحدها بكل الغزل إلى ان جاءت غادة السمان وقلبت المقاييس فكتبت غزلاً في الرجل ، فهل يندرج هذا التوجه نحو الرجل في باب مساواة الرجل بالمرأة ككائن يتمتع بالجمال ، ام هو مجرد ثورة على التقاليد ؟

ـ في روايتي « بيروت ٧٥ » تقول احدى بطلاتي : « ما أبدع جسد الرجل . لماذا لا تلحظ النساء ذلك ؟ لماذا يصدقن اسطورة ان المرأة ، كحيوان ، أجمل من الرجل ؟ لماذا لا ينظرن حقاً ولو لمرة الى جمال جسد الرجل وروعة تكوينه ؟ إنه أجمل حيوانات الغابة وأعظمها » . . .

في موضع آخر تقول البطلة نفسها « في دمي شهوات النساء العربيات المسجونات على طول اكثر من ألف عام . . . ارتجف كمدمن محروم وافقد كل قدرة على التعقل . . . لقد نسوا حين حبسوني في قمقم التقاليد انهم بذلك يجردونني من مقاومتي » . . .

والعبارة الاخيرة لبطلتي هي ما أحب التشديد عليه . نعم ، كتبت غزلاً في الرجل وفي ذلك مساواة له بها وثورة على التقاليد ، ولكنني أيضاً أحاول التأكيد على أن

قمع المرأة يجردها من ردود الفعل السوية وبالتالي من المسؤولية . . . ومن القدرة على المقاومة او التمييز الواعي لا الببغائي المتوارث . . .

التغزل بالرجل مرحلة تعبر ببساطة عن الثورة على التقاليد ، وعن المساواة المتبادلة في المشاعر والمصارحة ، مما يقود الى تنمية شخصية انثوية سوية لا تخشى من الرفض كما لا تخشى من القبول . . . وتختار . . . وفعل الاختيار لا قيمة له الا داخل إطار الصدق الداخلي والحرية والانعتاق من العقد المتوارثة . . .

همسة على الهامش : من غير المألوف ان تبوح المرأة بكلمات الحب للرجل رغم التوق احياناً الى ذلك . كان لا بد لامرأة ما بأن تبدأ . . . وتُلعن طبعاً ثم تُقَلَّد . . . فبدأت ! . . .

● انت مولودة الشام وربيبة بيروت . الى اي من المدينتين تشعرين بالحنين عندما تكونين في اوروبا ؟

ـ كل ليلة أحلم بدمشق ، مسقط رأسي وقلبي ، لكنني في اليوم التالي أشتري تذكرة العودة . . . الى بيروت ! . . .

● يقولون : « وراء كل رجل عظيم امرأة » ، فمن يقف وراء النساء العظيمات برأيك ؟ . . .

ـ وأقول : « وراء كل رجل عظيم امرأة تحاول تدميره » . . . وقد تعارف الناس على حذف الشطر الأخير من الحقيقة تلطيفاً لها . . . والأمر ذاته ينسحب على النساء . . .

ببساطة أقول لك : وراء كل امرأة ناجحة رجل حاول تدميرها ذات يوم ـ باسم الحب طبعاً ـ وفشل . . . ان أبشع ما في حياتنا يتم غالباً تحت أجمل الشعارات وأنبلها . . . وكم من تدمير نعيشه تحت شعار الحب . . . وكم من نساء عاملات ناجحات كان عليهن دفع ثمن باهظ من حياتهن الشخصية هرباً من « الحب الدامس » . . . الرجل الشرقي يريد غالباً تسوير امرأته بحبه ، ثم يأخذ عليها بعد ذلك ضيق أفقها . . . يريدها ناجحة مثل مدام كوري شرط ألا تغادر المطبخ . . . كيف ؟ . . . ذلك لا ينفي وجود علاقات انسانية نادرة ، بين المرأة الناجحة وبعض (الذكور) ، وهي ليست بالضرورة علاقة (عشق) ، بل صداقة تقوم على احترام متبادل لإنسانية الآخر . . . واعتقد ان على النساء العاملات مسؤولية تنشيط نمو تيار كهذا من المشاعر ، وذلك يتطلب بالطبع تخلي المرأة نهائياً عن (اتكاليتها) . . . فالحرية لا تعني حريتنا في انفاق نقود رجال سوانا يعملون . . .

● لكل انسان هاجس يهدد سكينته، فما هو هاجس غادة السمان ؟

ـ هواجسي، كثيرة ، كلحظات طمأنينتي . . . أتبنى الحزن ولا اتنصل من الفرح . . . وأعي انني نملة في بلاط العذاب البشري . . .

هاجسي المحوري موت الذين أحبهم . . .

معظم الذين احببتهم ماتوا ميتات مبكرة ومفجعة ، حتى كدت اتشاءم على حبيبي من نفسي !! . . .

● لم يظهر على الساحة الادبية ادباء جريمة عرب ، بعكس الغرب حيث نال ادباؤه شهرة عالمية . ما السبب برأيك ؟

ـ الاسباب عديدة ، أبرزها ان الرواية فن اوربي عريق (كالشعر عند العرب) له تراثه الطويل ، بينما هو من الفنون العربية الحديثة نسبياً . . .

وثمة عامل نفسي ، هو الوهم الشائع عندنا بأن أدب الجريمة أدنى منزلة وأقل شأنا من أدب الحقول الانسانية الأخرى . . .

● ماذا قدمت الكاتبات العربيات للمرأة العربية ؟

ـ شرارة ثورة على الذات الخانعة ، والمجتمعات (القامعة) .

● ألا تشعرين بالحنين الى الصحافة التي زاولتها مدة من الزمن ؟ وماذا يمنع عودتك اليها؟

ـ الكتابة الروائية والقصصية هي المانع الموقت . . فأنا مخلصة لنزواتي ، وفية لخيانتي . . . وأشعر باستمرار انني أخون الأدب مع الصحافة . . . واستغرق في عملي الصحافي حتى أنسى كل ما عداه . . . ذلك الحب الرائع الملعون لن اشفى يوماً منه ، ودوماً سأعود . . . لكنني بين دهر وآخر ، أعود الى ينابيعي الى الكتابة الروائية والقصصية وأعرف ان حقيقتي الداخلية وفعاليتي الاساسية تكمن في عملي الأدبي . . .

ولا شيء يمنع عودتي الآن الى الصحافة غير انجاز رواية جديدة أعمل عليها .

● كان لغادة السمان محاولة شعرية يتيمة ، لم تكررها ثانية . . . ما السبب ؟

ـ هل هي حقاً محاولة (شعرية) ؟ هل كانت يتيمة ؟ لن أدري أبداً ، فأنا أعتقد ان الخيط الذي يفصل بين مملكة القصة والشعر ليس كسور الصين ، لكنه أحياناً يشف ويرق كشعرة خرافية . . . أحب النصوص اليّ هي تلك التي تضم روح الشعر في حناياها . . كل كتابة فنية تخلو من لمسة الشعر أراها مثل مصباح فاخر لكنه بلا ضوء يشع من داخله . . .

● **لماذا تتفاءلين بالبوم ؟**

ـ انشد الحرية في شؤون حياتي الفكرية كلها ، صغيرها وكبيرها . . . وأعني بالحرية ، حرية ألا تقتل إذا كان رأيك مغايراً . . . ولحسن الحظ ان حرية حب البوم ليست من تلك الحريات القاتلة . . . لكنها أيضاً حرية رمزية . . . اؤكد من جديد : كره الناس للبوم ناتج عن افكار متوارثة لا عن موقف عقلاني . وانا أرفض النظرة السلفية التي لا مبرر لها غير انتقالها إلينا بشكل آلي تقليدي .

ببساطة : انني اكره الهرب من مواجهة اسباب الشر الحقيقية في هذا العالم ، ولا أرمي بها على قوى ما وراء الطبيعة ورموزها التي يفترض انها شريرة كالبوم .

حين يجوع الفلاح ، فهذا معناه انه لا يتقن أساليب الزراعة او ان (الاقطاعي) يسرقه ولكن البومة التي مرت بحقله ليست هي المسؤولة عن كوارثه . من مصلحة الاقطاعي او (المستغل) ان يستمر الفلاح في صب نقمته على البومة والشؤم . . . الى آخره . . . وهذا ينسحب على معتقداتنا كلها ، وعلى الذين لديهم مصلحة من (تغطيسنا) في بحر الغيبيات كالتشاؤم والتفاؤل ، وتخديرنا عن مواجهة واقعية لجوهر كوارثنا . . أنا أتفاءل بالعمل ، وأتشاءم من شر الناس والكسل . . . لكنني لا أتفاءل بالبومة ، ولا اتشاءم منها . . انني ببساطة أحبها حبي لبقية الطيور وكائنات الطبيعة كلها ومخلوقات الله المذهلة .

وبصراحة ، انا اعتقد ان من حق البوم ان يتشاءم هو من البشر ، ولديه اسبابه (الموضوعية) لذلك ، فهم يكرهونه ويقتلونه ويبيدونه . .

ولكن هل سمعت مرة ان بومة مسكينة انقضت على رجل وقتلته كما يفعل الرجال بها ؟

البومة مكروهة ، لأن في عينيها الواسعتين مرآة لضمير الناظر اليها . يتوهم نظرتها اتهامية ، ويتذكر آثامه . . و« يكاد المريب يقول خذوني » ، فيأخذها بذنبه ويقتلها . . ولكن ، متى كان كسر المرآة يجمّل سحنة الواقف أمامها ؟

● **ما هي آخر مشاريعك الأدبية ؟**

ـ السر الوحيد الذي يشتهي الانسان تحويله الى فضيحة فيما بعد ، هو كتابة الرواية . . . وانا ما زلت في مرحلة السر ولم انجز روايتي. . . لذا لن اقول المزيد . .

اقــرار

محتويات هذا الكتاب نشرت في المجلات والصحف العـربية التـالية (بـالترتيب الابجدي) :

مجلة الاسبوع العربي اللبنانية
مجلة افكار اللبنانية
مجلة ألف باء العراقية
جريدة الانوار اللبنانية
جريدة بيروت اللبنانية
مجلة الثقافة العربية الليبية
جريدة الثورة العراقية
جريدة الجزيرة السعودية
مجلة الجزيرة اللبنانية
مجلة الجمهور اللبنانية
جريدة الجمهورية العراقية
مجلة الحسناء اللبنانية
جريدة الخليج الظبيانية
مجلة الدستور (لندن)
جريدة الرياض السعودية
مجلة زهرة الخليج الظبيانية
مجلة الشاهد (باريس)
مجلة الشبكة اللبنانية
جريدة الشرق اللبنانية
مجلة صباح الخير المصرية
مجلة صوت الطلبة السورية

مجلة الصياد اللبنانية
جريدة العراق العراقية
مجلة العطاء اللبنانية
جريدة العمل التونسية
مجلة فنون العراقية
مجلة فيروز اللبنانية
جريدة القبس الكويتية
جريدة اللواء اللبنانية
مجلة المسؤول اللبنانية
مجلة مشوار اللبنانية
مجلة المقاصد اللبنانية
مجلة المنار (لندن)
وكالة منار برس اللبنانية
مجلة الموقف العربي اللبنانية
مجلة نادين اللبنانية
جريدة النهار اللبنانية
مجلة النهار العربي والدولي اللبنانية
مجلة الوطن العربي (باريس)
مجلة ياسمين (باريس)
مجلة اليقظة الكويتية
مجلة اليوم السابع (باريس)

الـفهـرس

(٤) استجواب حول قضايا ادبية

(٥) من كل بحر موجة





● هذا هو الجزء الثالث من كتابيّ .. « القبيلة تستجوب القتيلة » و« البحر يحاكم سمكة » ، والكتاب الرابع عشر في سلسلة الأعمال غير الكاملة لـ « غادة السمان » وقد صدر من هذه السلسلة حتى الآن : « زمن الحب الآخر » ، « الجسد حقيبة سفر» ، « السباحة في بحيرة الشيطان » ، « ختم الذاكرة بالشمع الأحمر» ، « اعتقال لحظة هاربة» ، « مواطنة متلبسة بالقراءة » ، « الرغيف ينبض كالقلب» ، « ع غ تتفرس » ، « صفارة انذار داخل رأسي » ، « كتابات غير ملتزمة » ، « الحب من الوريد الى الوريد » ، « القبيلة تستجوب القتيلة » ، « البحر يحاكم سمكة » .

منشورات غادة السمان